رواية

أولاد لوسيفر

الجزء الأول (فارس وجواد)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

إهداء

إهداء إلى أبي وأمي اللذان لولا حلوهما ومرهما لما كانت تشكلت شخصيتي كما أنا عليها الآن.

إهداء إلى أخي وصديقي وحبيبي أيمن، الذي أنعمني به الله كي يكون لي عضدي، ويشتد به أزري.

إهداء إلى صغيرتي وحلوتي وأول داعم لي في الحياة وشريكتي في كل شيء، التي ستظل طفلة في نظري برغم رجاحتها التي تفوقني الكثير.

إهداء إلى مشاغبة حياتي، إهداء لأول فرحتنا في كل شيء، إهداء إلى نشوة حياتنا أم أجمل طفل في العالم (زينو).

إهداء إلى الجندي المجهول الذي كان ومازال له أثر كبير فيما وصلت إليه.

إهداء إلى كل من دعمني وأعجب بما قمت به في أعمالي السابقة.

وفي النهاية أهدي هذا العمل كذلك لكل من خذلني ولم يدعمني، لأني متأكدة سيأتي يوم وتصفق لي.

أحبكم جميعًا رانيا رمضان بنت البروفيسور

رواية أولاد لوسيفر تنقسم لعدة أجزاء

تدور أحداثها حول صراع

بين الأنس والجن خلال مغامرات

وأزمنة مختلفة فهل يا ترى

من سينتصر...!

خليفة الله أم خليفة لوسيفر...؟!

أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري؛ حياتك ستصبح جحيم.

*****

أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليك يا مصدر الأمان بالنسبة لي.

*****

لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن أتخلى عنك أبدًا.

*****

أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي... أصدقاء وأخوة إلى الأبد.

*****

الفصل الأول

الهروب

في فجر اليوم العاشر من شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ في الإسكندرية يهرول شاب أسمر طويل ذا ملامح حادة تدل على قسوة الحياة التي مر بها، ذا جسد رياضي مما يدل على قوته، ذا عيون واسعة مكحلة ذات رموش سوداء كثيفة، وشعر أسود طويل ناعم منسدل على كتفيه.

يجري بسرعة ويده ملطخة بالدم، يهرول باكيًا بطريقة لا تتناسب مع هيبة هيئته، يبكي بطريقة توحي بأنه له قلب حاني برغم قسوة الدنيا.

صار يبحث عن أول مصدر للماء كي يغسل يده إلى أن وجد صنبور في شارع من الشوارع المظلمة الهادئة التي لا يوجد بها إلا القليل من الشباب في الزاوية وغير واعيين بما حولهم، لأنهم يتعاطوا المخدرات.

غسل يده وهو مستمر في البكاء، من ثم ضرب الماء على وجهه بقوة أملًا أن يكون كل ما يمر به حلم لا حقيقة.

ولكن لا يوجد أي تأثير مزال على نفس الحال مما يؤكد له أن ما حدث واقع لا مفر منه.

صار يبكي أكثر وأكثر لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أنه سيصل إلى هذه الحالة في يوم من الأيام.

وضع رأسه تحت الصنبور عسى أن يفيق من ذلك الكابوس.
رفع رأسه من تحت الصنبور والماء يقطر من شعره الطويل الناعم على ملابسه مما أبرز عضلات صدره أكثر، عندما وجد أن لا مفر من ذلك الواقع، استمر بالهرولة إلى أن وصل كورنيش البحر ووقف أمامه باكيًا مفكرًا في الانتحار.
امسك بسور الكورنيش وهو يهم بالانتحار، ولكنه توقف للحظة وهو ينظر لماء البحر من علٍ يتذكر حياته للوهلة الأخيرة، تذكر حياته القاسية برؤية ظلمة البحر، تردد لوهلة كيف له أن ينهي حياته بالانتحار يعني إنه لم يهنأ في حياته وفي النهاية يقرر أن يخسر أخرته بيده، ترك السور وعدل من وقفته ولكن قدماه لم تعد قادرة على حمله فخر واقعًا على ركبتيه وصار يبكي بحرقة رافعًا رأسه للسماء وصرخ قائلًا:
-ياااااارب... ساعدني... أنا لا استحق ما أنا به الآن يا الله.
ومن ثم شعر بضعفه أكثر فخر برأسه على الأرض باكيًا...
ولكن قبل أن تلمس رأسه الأرض سمع صوت الأذان:
-الله أكبر... الله أكبر.
هنا شعر بيد الله الحانية... شعر أن الله معه يشعر به وبضعفه وانكساره، وكلمة الله أكبر جعلته يشعر أن ليس عليه أن ينكسر ما دام معه الكبير الذي بيده وحده أن ينتشله مما وقع فيه.
فجأة شعر أن الله القوي مده ببعض من القوة، فجمع شتاته من جديد ولم يجد أحد يهرب له في ذلك الوقت سوى الله.
تنفس الصعداء ومسح دمعه وهم ماشيًا بمنتهى الوهن إلى الجبار كي يجبر قلبه مما لحق به.

وضع قدمه على عتبة المسجد حينها شعر بأن الحمل قد زال عن ظهره، لا يدري كيف ولكن يشعر أن هناك طاقة روحية تحيط به كالهالة رافعةً إياه، إلى أن صار جسده طافيًا من شدة خلاء روحه من كل الطاقة السلبية، ولكن سرعان ما أفاق من شروده بمجرد أن وضع قدمه الأخرى داخل المسجد، رأى أمامه لفظ الجلالة الله بشكل ضخم ومبهر، لم يستطع أن يتحمل عظمة وهيبة ذلك الاسم وهو الاسم الأعظم للرب، خر ساجدًا باكيًا لله طالبًا منه العون، بكى بحرقة إلى أن تقرب منه رجل مسن ذا جلباب أبيض وابتسامة صافية، حاول أن يلمس كتفه بلمسة خفيفة فرفع فارس رأسه وعينه صارت حمراء من شدة البكاء، ظل الرجل واضعًا يده على كتفه مهونًا عليه قائلًا:

-هون عليك يا ولدي، سامحني لأني قطعت دعائك مع الله، ولكن أنا قلبي ألمني جدًا بمجرد أن رأيتك داخلًا المسجد.

الرجل يتكلم بتأثر ولكن فارس ينظر له فاقد التركيز يفكر في الله هل سينجده من الكارثة التي هو بها أم لا؟

حاول الرجل أن يرفع فارس من على الأرض وقال له:

-قم يا بني هيا توضأ، الصلاة سوف تقام، قم يا ولدي ولا تقلق من شيء ما دام لجئت لله وحده فلن يخزيك الله أبدًا.

وقف فارس ورفع رأسه فرأى اسماء الله الحسنى المزخرفة بها

المسجد فأخذ يطلب المدد بكل اسم تراه عينه، ومن ثم وهو يهم واقفًا رأى اسم الرسول محمد صل الله عليه وسلم فطلب منه المدد والعون، ترجى الله أن ينجده بحبه لحبيبه محمد، ومن ثم توضأ وأثناء وضوئه طلب من الله أن يغسله من كل ذنب أذنبه سواء كان يعلمه أو لا يعلمه.

الصلاة قد أوشكت على البدء والناس اصطفوا حينها طلب من الله وهو يبكي بصمت رافعًا رأسه:

-يا رب ليس لي سواك، يا رب سخر لي من ينجدني مما أنا به، أرجوك يا الله أعطِ لي سبيل للنجاة، يا منجي نجني.

ومن ثم بدأت الصلاة ومع كل آية يسمعها يبكي، وكالعادة عندما تضيق بنا الحياة نشعر أن ليس لدينا سوى الله، مع كل آية من كتابه العزيز نشعر برسالته لنا، وكأن أثناء رخائنا عقلنا لا يستوعب رسائل الله لأن العقل مشغول بالنعم عن المنعم، بينما عندما تظلم الحياة وتغلق الدنيا كل أبوابها في وجهنا لا نجد سواه الواحد الباقي حينها لا نجد أحد قابل أن يسمعنا أو يكلمنا سواه.

وبمجرد أن سمع فارس آية {إياك نعبد وإياك نستعين} ظل يكررها وأجهش بالبكاء إلى أن سمعه من حوله، استمر على هذا الحال في ركوعه وفي سجوده لم يكن يرغب في أن يرفع رأسه منه لأنه يعلم أن العبد يكون قريب لله أثناء سجوده، يريد أن يكون قريب لله كي يستجيب له.

انتهت الصلاة فأخذه الرجل السمح الملامح والروح وجعله يسند على أحد أعمدة المسجد، وقام من مكانه وجلب له ماء

بارد، وعندما رجع وجد فارس أجهش في البكاء، فربت على كتفه وقال له بلين ورفق:
-هون، هون عليك يا ولدي، أنا مثل أبيك وأنت مثل ابني ومنذ أن رأيتك شعرت بطاقتك أنت شاب صالح، صدقني لن يخزيك الله، إن حياتنا مثل محطة القطار، عندما جئنا للحياة لم نختار القطار الخاص بنا ولا حتى وجهتنا، ولكن بمجرد أن نشب بإمكاننا في حالة أن لم يعجبنا وجهة قطار حياتنا أن ننزل منه وأن نستقل قطار آخر ينتقل للوجهة التي نريدها، ولكن الغباء هو أن ننزل من القطار الذي لا يعجبنا وجهته ونظل هكذا في المحطة واقفين محلنا لا نفعل شيء سوى أننا ننظر للناس الذين يتعايشون في حياتهم سواء الراضين عن وجهتهم ومن هم غير راضين ولكنهم مستمرين، في النهاية سوف ترى أن الكل وصل للنهاية، منهم من وصل لهدفه ومبتغاه ومنهم من ضيع مجهوده في طريق لا يحبه ولكنه تعايش مع ظروف ومواقف ليست على هواه، ولكنه سيظل أفضل ممن نزل من قطاره وظل محله سر لا يحرك ساكنًا.
مسح فارس دمعه وهو ينظر للرجل السمح وقال له متسائلًا:
-أتظن أن الله سوف يخرجني مما أنا به...؟
-كل ما عليك أن تغير وجهتك وكفى يا بني.
غير وجهتك وهناك سوف تجد يد الله وعونه.
ظل فارس ينظر له يحاول أن يفهم، ينظر له بنظرة من يريد أن يطمئن بأي كلمة تعيد له الأمل من جديد:
-ولكن كيف؟ قل لي كيف...؟ أرجوك.

-لا أستطيع أن أقول لك كيف... كيف هذه عند الله وحده، اتركها على الله، هو وحده مدبر لك أمرك للنهاية، هيا قم معي وقرر من الآن من ستكون...؟

هم فارس واقفًا مع الرجل السمح طيب القلب، ومن ثم نظر له الرجل وابتسم له وقال:

-أنا واثق بك يا بني، وأنت كل ما عليك أن تثق في الله وحده.

من ثم تركه وهم خارجًا من المسجد، وفارس لا يدري ماذا عليه أن يفعل...؟ ومن ثم التفت له الرجل عندما كان يرتدي حذائه ومن ثم أشر على أذنه لفارس وابتسم ورحل.

*****

خرج فارس من المسجد ولكنه لا يدري إلى أين ستأخذه قدماه، ها هو النهار قد بزغ، فجأة وهو يمشي سمع صوت قطار، تذكر الرجل الكبير وكلامه عن الحياة وتغيير وجهة حياته، تذكر إشارته الأخيرة له، قال فارس في قرارة نفسه:

-يمكن الله أرسل لي هذا الرجل كي يدلني على سبيل النجاة.

دخل فارس محطة القطار ولكنه لم يكن يدري ماذا عليه أن يفعل، ولكن كل ما يدريه أنه يريد أن يبعد وكفى، فجأة رأى أن القطار الذي أوشك على الرحيل هو القطار المؤدي للقاهرة.

ولكنه شرد لوهلة وقال في قرارة نفسه:

-ولكن ماذا سأفعل في القاهرة ليس لي أحد بها...؟!

ومن ثم تنهد بحسرة وأردف متألمًا:

-ليس لي أحد في أي مكان لا القاهرة فقط... أنا خلقت وحيد وسأظل وحيد... يبدو أن الوحدة مكتوبة عليّ للأبد.

ومن ثم هم بشراء تذكرة وركب القطار غير مفكرًا كثيرًا مما سوف يجده في القاهرة قرر أن يتركها على الله كما قال له الرجل الكبير.

ولكن بمجرد أن ركب القطار شعر أن التعب سيطر على كل أعضاء جسده، سرح قليلًا في مستقبله، فكر قليلًا وسأل نفسه: "ترى ما يخبئه لي القدر...!".

ولكن سرعان ما غلبه النعاس وراح في سبات عميق، ولكنه استيقظ بعد مرور بعض الوقت عندما مر مسؤول التذاكر مرة أخرى كي يسأله عن تذكرته، تعجب فارس بأنه كيف نام من دون أن يشعر...! ومن ثم عدل من جلسته ونظر لمسؤول التذاكر باستغراب وقال له وهي يفرك عينه كي يفيق:

-ولكنك قد رأيتها أول ما ركبت القطار.

كرر الرجل كلامه بصرامة تليق بضخامته وشاربه الكث:

-قلت لك أريد أن أرى التذكرة لا تكثر الكلام.

هم فارس بإخراج محفظته ولكنه لم يجدها، هم واقفًا كي يتأكد من وجودها، بحث جيدًا في كل الجيوب من دون أي فائدة، لم يجد شيء، توتر فارس، لقد سرقت محفظته بكل ما لديه من مال وهويته الشخصية.

نظر فارس لمسؤول التذاكر وقال له بدهشة يتخللها التوتر:

-لقد سُرقت، أنا أعلم أنك متأكد بأني كان معي محفظة وتذكرة أنت شاهد على امتلاكي محفظة وعليك الآن أن تساعدني في إجادها.

نظر له مسؤول التذاكر باستحقار وقال له بقسوة وهو يمسكه من ذراعه:

-هذا المشهد أراه يوميًا، لو تركت كل من يقول لي ذلك سوف تصير غابة، أنا التزم بالقانون والشروط وكفى.
أمسك فارس بقبضته القوية يد الرجل الممسكة به ودفعه بقوة وصرخ قائلًا:
-لا تتجرأ على لمسي، أنا لست بكاذب بل أنا من تمت سرقتي.
ومن ثم نظر فارس لمن يجلس بجواره وقال باندهاش من عدم دفاعه عنه:
-قل شيء أنا كنت بجوارك ولقد رأيتني وأنا أعطِه التذكرة.
تظاهر الرجل بعدم الانتباه ولم يرد.
زاد غضب فارس وهم ممسكًا بالرجل وقال له:
-لمَ لا تتكلم...! قل ما رأيته وكفى.
نظر له الرجل وهو يحاول أن يفك قبضة فارس وأردف ببرود:
-لم تعطه شيء، أنت كنت نائم.
صرخ فارس به وأردف وهو ينظر حوله للناس وقال:
-كاذبان، كاذبان أنا أعلم جيدًا أنكما متفقان سويًا، على الأقل دعوني أفتش ذلك الرجل أكيد هو من سرق المحفظة.
سحبه مسؤول التذاكر من ياقته بقوة وقال له بقسوة:
-هيا أنزل في هذه المحطة لن تكمل إلى القاهرة.
هنا لم يتمالك فارس نفسه وأمسك بمسؤول التذاكر ودفعه بقوة ومن قوة الدفعة ارتطمت رأس مسؤول التذاكر في إحدى أعمدة القطار.
هنا عندما وضع المسؤول يده على رأسه ورأى دمه صرخ قائلًا وهو يأشر بيده ناحية فارس:

-امسكوا هذا الكلب، يجب أن يلقى القبض عليه الآن.
نظر فارس مصدومًا مما حدث يود أن يدافع عن نفسه ويقول إنه لم يقصد بل إنه هو من تمت سرقته... ولكن في نفس اللحظة أفاق من شروده وأطلق قدمه للريح ودفع من هم أمامه وقفز من القطار يهرول بسرعة وصار لا يدري يهرب من ماذا أو ماذا؟
فخرج من المحطة من ثم اختبأ وراء إحدى الأشجار وهو يسند بيده على جزع الشجرة، يحاول أن يلتقط أنفاسه وهو منحني، ولكن سرعان ما خر على ركبتيه وسند رأسه على جزع الشجرة وهو يقول متحسرًا:
-لمَ يحدث معي ذلك يا رب...! لمَ عندما أهرب من مصيبة أقع في مصيبة أخرى، لمَ يا رب...؟! أرجوك ساعدني، أنا تعبت.
نظر حوله لا يدري أين هو بالضبط...؟ قام من مكانه وعدل من ملابسه وسأل أحد المارة:
-لو سمحت ما اسم المنطقة التي أنا بها...؟
نظر له الرجل مستغربًا:
-نحن في دمنهور...
نظر له فارس مستغربًا وقال:
-دمنهور...!
تركه الرجل ولم يعره انتباه.
ولكن فارس الآن يشعر أنه ضائع لا يدري أي شيء في هذا المكان وكل المال الذي كان معه ضاع منه لا يدري أين سينام وكيف سيعيش وسيأكل...!
الآن فارس لا يملك سوى هاتفه والساعة التي يرتديها.

قرر أن يبحث عن عمل ولكنه ظل طوال يومه ولم يجد أي فرصة له في أي مجال.
كان كلما يتعب من كثرة المشي والتجول يذهب للمسجد لتأدية الصلاة الحالية، منها كي يرتاح من المعاناة التي يمر بها ومنها طالبًا للعون من المعين.
ولكن في المساء بدأ الجوع يقرص معدته، لذا قرر أن يبيع ساعته كي يستطيع أن يشتري طعام.
ابتاع شطيرتين أحدهما كبدة والأخرى سجق وأردف قائلًا والدمع ينهمر من عينيه ولكنه رسم ابتسامه منبعثة من الحنين والاشتياق:
-سأكل السجق من أجلك يا صديقي، أعلم أنك تحبه.
ولكن سرعان ما اختفت البسمة عن وجهه وصار يبكي بجنون وقال باكيًا وهو يزيل طرف الشطيرة عن فمه:
-أطلب منك أن تسامحني يا صديقي، لم أكن أقصد، صدقني.
ومن ثم بعد أن هدأ من بكائه حاول أن يأكل ليس لأنه يشتهي الأكل ولكن لكي يسكت معدته التي تقرصه من شدة الجوع.
بعد أن أنتهى من الأكل أي أثناء منتصف الليل شعر أن النعاس كاد أن يغلبه والجو قد ازداد برودة فقرر أن يبحث عن مأوى له. بحث بعينه يمينًا ويسارً إلى أن وجد بيت قديم تعرض للاحتراق الكامل... ولم يرى أي ضوء ينبعث من داخله... لذا قرر أن يتسلل بخفه من جوار محل البقالة المجاور للبيت المهجور، ومن ثم تمكن من التسلل ودخل من البوابة الحديدية الصغيرة الصدئة، الباب كان مواربًا قليلًا ولكنه أصدر القليل

من الصرير عندما حاول فتحه فاكتفى بفتح القليل منه وأندس للداخل.
صعد درجات السلم، كانت أغلب الدرجات متآكلة، والجدران ملطخة بالدخان الأسود ومليئة بالشروخ إلى أن وصل أمام باب الشقة، كان الباب ملقى على الأرض والشقة كانت مفتوحة، وكل الأبواب في الشقة متفحمة وساقطة أرضًا حتى النوافذ الخشبية انتهى بها الحال بنفس الوضع، وبمجرد أن وضع رجله عن أرضية الشقة بعدما تجاوز الباب الذي عندما مر عليه أصدر صوت حشرجة وكأنه مر فوق صدر رجل ينازع الموت، التفت حوله ولكنه لم يجد أحد، فعلم أنه مجرد صوت عادي صادر من حركته، ومن ثم عندما وطأت قدماه أرضية الشقة سمع صوت تكسير زجاج، فنظر للأسفل فلم يرى بوضوح لأن الضوء في الشقة مجرد ضوء قليل منبعث من إضاءة الشارع، اضطر أن يقوم بتشغيل مصباح هاتفه ولكن بطارية هاتفه قد أوشكت على النفاد ولكن قرر أن يلقي الضوء قليلًا ومن ثم يغلقه.
وجد أسفل قدمه أرضية الشقة كلها فتات زجاج قد غطاءه الرماد الأسود، والأثاث متآكل ومتفحم تمامًا، بدأت القشعريرة تسري في جسده، يشعر أن عامود الفقري قد أثلج لأنه شعر أن هناك حركة وراء ظهره مع فحيح، ولكنه التفت سريعًا وصوب ضوء هاتفه مباشرة لمصدر الحركة والصوت، ولكنه لم يجد شيء فتنفس الصعداء وحاول أن يلتقط أنفاسه وتذكر أنه في شهر نوفمبر وأن الجو شديد البرودة والرياح هي سبب الحركة والصوت أكيد.

من ثم سمع صوت فهم مفزوعًا، ولكنه سرعان ما تدارك أن هاتفه يصدر صوت تحذير أن بطاريته سوف تنفد، لذا قرر أن يبحث عن مكان ينام به ولا يراه أحد من الجيران داخل الشقة، صوب ضوء هاتفه إلى داخل الغرف، كل الغرف تعرضت للاحتراق التام وتهشم كل ما بها، ومن ثم قرر أن ينام في غرفة في آخر الشقة لأنها الوحيدة التي لم تنزع نافذتها الخشبية فحاول مواربة النافذة ومن ثم نام أسفل تلك النافذة وحاول أن يستأنس بالقليل من الضوء المنبعث من خلالها لأنه أغلق هاتفه تمامًا.

حاول أن ينكمش في ذاته كي يشعر بالقليل من الدفء ولكن استمر جسده في الارتجاف، لا يدري أهو يرتجف من الخوف أم من الصقيع، ومن ثم وهو يتنفس دخل لأنفه بعض من الرماد والتراب الذي على الأرض فبدأ في السعال ولكنه حاول مسرعًا أن يكتم سعاله كي لا يدري عنه أحد ولكن بمجرد مرور دقيقة أخرى على سعاله سمع صوت خطوات قادم من الردهة في الخارج...

صوت وقع الخطوات يقترب منه ببطيء وصوت تهشم فتات الزجاج يفتت قلبه من شدة الخوف، لا يدري ماذا عليه أن يفعل، أيهرب قافزًا من النافذة أم يواجه...؟

ولكن في النهاية قرر أن يواجه.

وبسرعة هم بضم النافذة فحل الظلام في الغرفة، وبذلك يمكنه أن يرى القادم من الخارج على أثر الضوء الخافت ولكن لن يراه من هو قادم إلا بالتدقيق لأنه منزوي في ركن الغرفة

وسوف يستغل تلك الثواني للانقضاض مسرعًا ومن ثم الهرب.
ولكنه انتظر لأكثر من دقيقة وهو كاتم أنفاسه متأهب للهجوم ولكنه لم يعد يسمع أي خطوات.
فقرر أن يخرج لكي يتأكد بنفسه مع أخذ الحيطة والاستعداد للهجوم... ولكنه بحث في الشقة كلها ولم يجد أحد، حينها بدأ يرتاح قليلًا وقرر أن يعود مرة إلى تلك الغرفة كي ينام، أخذ يتحسس على أثر الضوء الخافت القادم من الخارج كي يفتح النافذة قليلًا ولكن قبل أن يهم بفتح النافذة سمع صوت وقع الخطوات ولكن هذه المرة لا يرى شيء، يحاول أن يتفحص المكان حوله جيدًا ولكنه لا يرى صاحب صوت تلك الخطوات ولكن بمجرد أن وقعت عينه على تلك المرآة المكسورة وجد بها انعكاس لعيون...
عيون صفراء مضيئة للغاية...
عيون أشبه بعيون ال...

ولم يكمل تخمينه أو تفكيره وهو يهم بفتح النافذة كي يرى جيدًا إلا ووجد ذلك الجسم ينقض عليه بقوة فيسقطه أرضًا فارتطم رأسه بقوة ومن ثم...

الفصل الثاني

الخُسْرَان

يد شاب تحمل سكين تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود الطويل، واليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفتت الفتاة مسرعةً عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها، ملامح الذعر رسمت على وجهها، وها هي اليد تنقض كي تطعنها ولكن فجأة...

يقطع الكابوس صوت رنين الهاتف...

في اليوم الثالث عشر من شهر مارس عام ٢٠٣٧ لندن-إنجلترا يصدر صوت نغمة رنين الهاتف ولكن أين الهاتف أنا لا أراه...! تظهر شابة ذات ١٦عامًا جميلة سمراء ذات شعر أسود فاحم مموج يخفي القليل من ملامحها التي بدأت ترسم عليها ملامح الإزعاج من صوت الرنين.

إن غرفتها يغلب عليها اللون البني الفاتح والبرتقالي مما يدل على أنها شخصية تحب الطبيعة وشخصية مندفعة بعض الشيء.

لمست خاتمها ذا الحجر الزمردي الأخضر القاتم، ومن ثم أنبعث في الهواء شاشة، تلك الشاشة من الخلف محتواها مبهم ولكن من الأمام كانت تعرض اسم ليندا هي من تتصل، قامت بلمس تلك الشاشة المنبثقة في الهواء وأغلقت المكالمة كي تكمل نومها وقامت بوضع الغطاء البرتقالي على رأسها كي تحجب ضوء النهار عن عينها الذي تشعر أنه مثل اللص الذي يريد أن يسرق النوم من عينها، فاختبأت تحت غطائها هاربة

منه قبل أن يلاحظها ويسرق منها أعز ما تملك ألا وهي راحة ولذة النوم، ولكن راحتها لم تدم دقيقة إلا وسمعت صوت إشعار رسالة ما، قامت برفع ذلك الغطاء في عصبية ولمست حجر خاتمها مرة أخرى فأنبعثت تلك الشاشة مرة أخرى برسالة من ليندا تخبرها أن عليها أن تتأهب لرحلة تخييم في أحدى الغابات ومن ثم في اليوم التالي سيذهبون لتسلق الجبال.
تحمست فريدة كثيرًا لتلك الرحلة وطلبت من ليندا أن تأتي لبيتها بعد ساعة وستكون جاهزة للسفر.
همت جالسة على السرير وداعبت شعرها كي تفق قليلًا، مسحت وجهها بيدها كي تبعد عنها النوم المتمسك بها، ومن ثم تلمس خاتمها وتقول له اتصل بأمي.
ردت أمها عليها فتطلب منها أن تحضر لها الفطور قبل أن تتأهب للذهاب.
بعد عشر دقائق جهزت وخرجت من دورة المياه مرتدية سروال يحمل نقشة الجيش ومن فوق ترتدي "كت" أسود.
طرقت أمها باب غرفتها فأذنت لها بالدخول بصوت مكتوم لأنها كانت تضع مساكة شعرها في فمها وهي تحاول أن ترفع شعرها الأسود الطويل تسريحة ذيل حصان، ومن ثم دخلت أمها ونظرت لها مستغربة وقالت لها متسائلة:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة...؟
ردت عليها فريدة وهي ما زالت تنظر لنفسها في المرآة ولا تضع من مساحيق التجميل شيئًا سوى الكحل الذي يبرز جمال عينيها العربيتين ومن ثم قامت بإنزال غرة على جانبي وجهها العريض، إن فريدة طويلة جدًّا وعريضة بعض الشيء ولكنها

جسدها رياضي بالفعل، فريدة جميلة جدًّا كأنثى ولكن أحيانًا تشعر بسبب تصرفاتها أنها للرجال أقرب، ومن ثم قالت لأمها:
-سوف أسافر يا وتين، ها أنا ذا سوف أجهز حقيبة الظهر الخاصة بالسفر، ستكون مغامرة لبضع أيام وسوف أعود مرة أخرى.
قطبت أمها حاجبها وأعلنت رفضها وقالت:
-لا... لن تسافري مرة أخرى ألا تتذكرين آخر مرة سافرتِ بها جئتِ وساقك مكسور... ألم تتعلمي...!
-وتين، أرجوكِ ارحميني من نبرك وفألك السيء ذا، أنتِ تعلمين أني سافرت عدة مرات ولم يصبني شيء، فأرجوكِ قدمي الخير كي أجده.
ضمت أمها يديها على صدرها وقالت بحزم:
-ولكن هذه المرة لا يوجد سفر، أنا رأيت رؤيا سيئة تخصك يا بنيتي، إن أصدقائك لا يحبونك، وخاصة توماس ذلك الشاب أنا غير مرتاحة له بتاتًا أنه سوف يؤذ...
قالت فريدة وهي تضع ملابسها في الحقيبة الجيشية الكبيرة بسرعة بطريقة تفتقر للأنوثة بعض الشيء:
-وتين توقفي عن الثرثرة ها، أنا لست صغيرة، وأنا أخبرك لكي تعلمي أني ذاهبة، لا من أجل أن أخذ الإذن، أنا كبيرة الآن وصاحبة قرار ومسؤولة عن صحيفة حياتي فدعيني أزينها أو ألوثها كما أشاء، وهيا اجمعي لي كل ما لديكِ على هيئة شطائر ليس لدي وقت.
همت أمها بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:
-اصنعي شطائرك بنفسك يا حضرة الناضجة...

نظرت لها فريدة باستغراب وأردفت:
-كان بإمكاني أن أطلب من الروبوت تحضير الفطور ولكن ليس لدي وقت للانتظار... ولكن شكرًا يا وتين.
ومن ثم قبل أن تخرج من الغرفة تمامًا وقفت عند باب الغرفة وهي تنظر بتحد لفريدة التي تنظر لها بلا مبالاة:
-آه... ها أنا سوف أنزل حالًا وسوف أقول لوالدكِ، تصرفِ أنتِ معه... لا أدري لمَ أنتِ متهورة هكذا لقد أخذت من طباع صديقتي كثيرًا... لا داعٍ لذكرها... ولكن عنادكِ لن ينفعك يا فريدة وأباكِ سيكون في صفي اليوم.
ومن ثم همت أمها بالنزول على السلم ولم تكترث لبنتها، فقالت فريدة بصوت عال:
-حسنًا، سوف اتصرف واقنعه، اخرجِ أنتِ منها ولا تزيدي الشرارة بنزين يا زوجة أبي.
نزلت فريدة الدرج وخرجت من البيت متجهة إلى حديقة بيتها، بدأت تتسحب بخفة الفراشة التي تتناسب مع رشاقة جسمها، ومن ثم تطوق أباها الجالس على كرسيه متطلع إلى كتاب في يديه، قبلت رقبته وقالت له في حماسة وهي تلتف لكي تجلس على الكرسي الذي أمامه:
-صباح الخير على أحلى مراد في الكون.
ترك والدها الكتاب بجانب فنجان القهوة الذي انتهى من احتسائه ومن ثم نزع نظارته وهو يبتسم لها قائلًا وهو يهم بإمساك يدها:
-أهلًا بوردتي الفريدة.

في نفس اللحظة ابتسمت فريدة لوالدها ومن ثم نظرت إلى أمها وهي تخرج لها لسانها متحدية إياها وتقول لأبيها:
-مراد، أريدك أن تصارحني بشيء، هل حقًا هذه الساحرة الشريرة التي تقف عقبة في طريقي دائمًا هي أمي...؟
دافعت أمها عن نفسها وهي تنظر لزوجها وتقول:
-أقسم لك يا مراد هي من تتعبني وتعاندني، لقد غُلبت منها حقًا.
حاول مراد أن يهدأ الوضع بين كلتا الاثنتين المبتلى بهما ويقول:
-ريدا حبيبتي إن أمك لا يوجد أحن من قلبها ولم ترفض لكِ طلب قط، كل ما في الأمر أنها تخاف عليكِ بعض الشيء.
وقفت فريدة ونظرت لأبيها مسرعةً بعدما سمعت صوت بوق سيارة صديقتها ليندا، وقالت لأبيها وهي تطبع قبلة على خده:
-مراد حبيبي أنا مضطرة أن أخرج في رحلة مع أصدقائي...
وحملت حقيبتها على ظهرها وهي تكمل كلامها في نفس الوقت:
-سوف اطمئنك عليّ من حين لآخر لا تقلق...
صارت ترفع صوتها ترفعه أكثر وأكثر إلى أن وصلت إلى بوابة البيت وهي تقول بلهفة مؤشرة لكلا والديها اللذان إلتفا كي ينظرا جيدًا:
-إلى اللقاء يا مراد، إلى اللقاء يا زوجة أبي ولن اطمئنك على سوف أدع النار تأكل قلبك.
ومن ثم ابتسمت وقالت لهما ضاحكةً وهي تبعث لهما قبلةً في الهواء:
-أحبكما كثيرًا...

ومن ثم اغلقت الباب وراءها.
نظرت وتين لمراد متعجبة لأنه لم يتوقف عن الابتسام وهو يفكر في وحيدته فقررت أن تقطع شروده:
-مراد إن تلك البنت لا أدري لمَ تعاندني، أحيانا لا أشعر أنها ابنتي بل ضرتي أقسم لك.
قهقه مراد قائلًا وهو ممسك يدها:
-إنها وحيدتنا ودلوعتنا فلتفعل ما تشاء.
ومن ثم ملامح الخوف بدأت ترسم على وجهها وهمت تقول:
-ولكن لمَ لم تمنعها من الذهاب يا مراد أنا قلقة عليها كثيرًا، وأنا لا أثق أبدًا في توماس لأن...
رسمت ملامح جادة على وجه مراد وهو يقول لزوجته وهو يربت على كلتا يديها برفق:
-أنتِ لا تثقي في توماس ولكني أثق تمام الثقة في فريدة... وهيا بنا ندخل للبيت، أشعر أني متعب قليلًا، أريد أن ارتاح بعض الشيء قبل المضي للعمل في الجامعة.

*****

ركبت فريدة سيارة دفع رباعي مع صديقتها ليندا وها هما في طريقهما لأخذ كل من إيما وتوماس.
وصلوا إلى الغابة للتخييم ومن ثم تناول الغداء أمام البحيرة.
همت فريدة بإخراج عدة الصيد من سيارة ليندا.
إن فريدة عاشقة للصيد مثل أبيها مراد، بدأت فريدة تتذكر والدها وهي تهم بفتح باب حقيبة السيارة ورسم على ثغرها شبح ابتسامة، ولكن فجأة شعرت أن هناك من يقترب منها تسمع أنفاس تلمس رقبتها، تصلبت مكانها تفكر لثواني، ومن

ثم شيء يلمس كتفها، فبحركة لا إرادية متأهبة للدفاع عن ذاتها التفتت مسرعة، ولكن وجدت توماس الذي أخذ يضحك على ردة فعلها المبالغ به، حاولت أن تلتقط أنفاسها بعدما لكمته بقوة على كتفه، ومن ثم أخذ يساعدها في حمل معدات الصيد
ويحاول أن يلطف الأجواء لأن فريدة استاءت من مزحه كثيرًا:
-ريدا، أنا أسف، كنت أمزح معكِ، أرجوكِ لا تجعلي الوضع هكذا ونحن ما زلنا في بداية الرحلة.
لم تنظر له فريدة وأخذت تمشي متجهة للبحيرة وقالت بلا مبالاة بنظرة كلها كبرياء:
-لم يحدث شيء، ولكنك تعلم جيدًا أنا لا أحب المزح.
وضع توماس أدوات الصيد بجانب الكراسي الموجودة أمام البحيرة، ومن ثم ذهب وترك فريدة تتأمل في البحيرة في هدوء كي تسترخي قليلًا... ومن ثم رأت يد توماس تمتد لها بزجاجة بيرة، فنظرت له بحدة:
-قلت لك أنا لا أشرب هذه الأشياء...
من ثم هم توماس بجرع القليل من زجاجته وغمغم:
-لا تكوني هكذا يا فريدة نحن في رحلة، ونحن لا نشرب دائمًا، نحن نادرًا ما نشرب...
اليوم يمكننا الشرب بينما في الغد لن نشرب لأننا سنقوم برحلة التسلق.
ردت عليه فريدة في حزم:
-قلت لك لن أشرب لا اليوم ولا أي يوم...
ومن ثم همت واقفة وتركته خلفها وهي تنادي على ليندا بصوت عال وتؤشر لها بيدها قائلة:

-اخرجي لي زجاجة عصير برتقال و...
ولم تكمل كلامها إلا ووجدت إيما قادمة تجاهها وتنظر لها في حقد ولكن فريدة قابلت نظرتها بلا مبالاة، ولكن إيما استمرت بالتقرب منها إلى أن وقفت بجوار توماس وتأبطت ذراعه وهي تنظر لها، لم تكترث لها فريدة وتركت لها المكان واتجهت للجلوس مع ليندا.
جلست مع ليندا بجوار النار، فهمزت ليندا لها وقالت بهمس:
-انظرِ إلى إيما كيف تنظر إليك، هي تقف مع توماس ولكن عيونها عليكِ، إنها تغار منكِ حقًا.
ألقت فريدة نظرة سريعة ومن ثم نظرت لليندا بلا اكتراث وقالت وهي تشرب عصير البرتقال بطريقة رجولية بعض الشيء:
-دعكِ منها، أنا لا أشغل بالي بحماقة البنات والغيرة وما إلى ذلك، كل ذلك مجرد تفاهات.
بينما على البحيرة، أخذ صوت إيما يعلو بعض الشيء وهي تتشاجر مع توماس وتقول له:
-لمَ لا تتوقف عن ملاحقة تلك الفتاة، قل لي ما بها يعجبك...؟ إنها أشبه بالرجال يا أحمق.
ازداد غضب توماس وقال لها وهو يضغط على أسنانه:
-لا تتفوهي بوصف مشين لفريدة، وتوقفي عن غيرتك تلك، إنها مجرد صديقة ولا أرغب بتواجدها بمفردها كنت أرغب بمشاركتها اللحظة لا أكثر.
وتبقى المرأة مجنونة في غيرتها حتى ولو كانت أجنبية.

اقتربت إيما من توماس ولمست وجهه الأملس برفق وهي تنظر له بحنو قائلة:
-أنا آسفة يا توماس، ولكن لا أريدك أن تهتم بغيري قط، أريدك لي أنا فقط.
من ثم همت لمعانقته ولكنه دفعها برفق وهو يقول لها وهو يتجه تجاه ليندا وفريدة:
-ولكن بغيرتك تلك تدمرين ما بيننا، لأنك لا تثقي بي...
ومن ثم هم يتحرك، فتبعته وهي تحاول أن تمسك ذراعه، ولكنه أمسك يدها مع ملامح خالية من أي مشاعر على وجهه وقال:
-أرجوكِ انهي الحديث عند هذا الحد، نحن هنا في رحلة ليس لمناقشة أمور في علاقتنا، دعينا نستمتع وكفى.
بمجرد أن اقتربا، نهضت فريدة وهي تقوم بإزالة ما علق في ملابسها ومن ثم أمسك توماس بيدها وسألها بلهفة:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة اجلسي أكملي مشروبك...
ولكنه لم يكمل حديثه لأن فريدة نظرت له نظرة احتقار بسبب أنه ممسك بذراعها، تلك النظرة كانت كفيلة أن تحرجه وألا يكمل كلامه، ولكنها بمجرد أن رأت ملامح الإحراج رسمت على وجهه، تمالكت الموقف وقالت وهي تهم بالحراك:
-الغروب قد أوشك وأنا أحب الصيد في ذلك الوقت، أريد سمك على العشاء، هذا كل ما في الأمر.
نظر توماس لليندا وهو يهم بأخذ كرسي إضافي لكي يذهبوا جميعًا للبحيرة للتأمل وللصيد في هدوء...

كان توماس يختلس النظر من حين لآخر لفريدة وإيما لاحظت هذا والغيرة صارت مثل النار التي تلتهم قلبها، فدارت تساؤلات في قرارة نفسها:

-ما يعجبه في تلك السمراء العربية...! أنا أجمل منها أنا بيضاء ووجنتي قد صبغت بالحمرة وشعري ناعم وأشقر، لا أدري لمَ توماس ذوقه سيء إلى هذا الحد...! كيف ينجذب لفتاة تفتقر للأنوثة، ولم يعد منجذب لي أنا...!

ولكن فجأة أنقطع شرودها عندما سمعت صوت توماس يضحك مهللًا لأنه أمسك بسمكة، من ثم وقف كي يقوم بسحبها وهو يتفاخر بذاته، لأن السمكة كانت لكبيرة حقًا...

مر الوقت فغمزت صنارة فريدة بأن هناك سمكة قد أمسكت بالطعم، فسحبت الصنارة في اتزان كما علمها أبيها، ولكن السمكة كانت متوسطة الحجم...

بدأت الشمس تذوب مثل قطعة مثلجات المانجو والفراولة في عمق البحر الذي لونه صار مثل لونها...

كم تعشق فريدة ذلك المشهد، ولكنها تنفر بشدة من الليل الذي يقوم بإنهاء هذا العرض المسرحي الرائع بإنزال ذلك الستار الكالح معلنًا نهاية الاستمتاع والانسجام وبدء الكأبة والظلمة والخوف والرهبة بعد الراحة والاسترخاء.

آخ من هذه الدنيا لمَ جمالها لا يدوم...! أعلم أن قبح الدنيا سيء للغاية ويرهب قلوبنا ويؤلمها، ولكن لولا وجود ظلمة الليل لما عشقنا راحة النهار، لولا خوفنا من الليل لما أحببنا النهار وانتظرناه لكي نشعر بأمانه...

آه كفى ثرثرة هيا أكمل لكم ما حدث.

ها هما ليندا وتوماس همّا بأخذ أدوات الصيد وجمعها من جديد ووضعها في السيارة وأخذت فريدة السمكتين وبدأت بأعدادهما للشوي على النار، وإيما لا تفعل شيء سوى أنها تحملق بها لا أكثر ولا أقل إلى أن جاءا ليندا وتوماس ومن ثم تناولوا السمك واستمتعوا ببرودة الجو ودفيء النار، أنه مزيج متناقض ولكنه جميل، ما أروع تناقض الطبيعة، سبحانه ربي.

ومن ثم أقترح عليهم توماس أن يجلب لهم المرتبات من داخل الخيمتين كي يناموا في العراء تحت النجوم، النجوم حينها كانت متلألئة والقمر كان مكتمل، لذا وافقوا...

ولكنه وهو بداخل خيمته فتح حقيبته وأخرج كيس وأخذه في جيبه ومن ثم خرج لهم وكل منهم أخذ مرتبته منه وقام بفرشها أرضًا...

ها هم يتحدثون سويًا ويضحكون ولكن من حين لآخر يرون خاتم فريدة يومض بشعاعه الزمردي ويقوم بالاهتزاز معلنًا أن هناك اتصال قادم، كانت أمها قلقة عليها كالعادة ومن ثم قالت لها ليندا:

-ردي على أمك يا فريدة.

ردت فريدة في ضجر:

-لا لن أرد، إذا قمت بالرد سوف تسأل الكثير من الأسئلة وتوترني من كثرة قلقها علي...

ومن ثم قال توماس:

-لمَ لا تقومي بغلق إمكانية الاتصال وتريحي عقلك...

-لا أستطيع أن أفعل ذلك، إذا فعلت ذلك سيزيد قلقها عليَّ أكثر

و

من ثم قاطعتها إيما بتهكم:
-أمك ما زالت تعتبركِ طفلة و...
قاطعها توماس بحدة:
-توقفي يا إيما عن طريقتك تلك.
حاولت ليندا أن تغير مجرى الحديث ومن ثم قالت لهم بلهفة وهي ممددة وتشير للسماء:
-انظروا يا رفاق، إنه شهاب، فليتمنى كل منا أمنية.
قالت إيما بصوت حان وهي تمسك بيد توماس:
-اتمنى أن أكون مع توماس لآخر يوم في حياتي.
ومن ثم هم توماس وجلس معتدلًا بعد ما هم من رقدته وقال:
-اتمنى نظل أصدقاء إلى الأبد يا رفاق...
ومن ثم نظر إلى ليندا وقال لها بحماسة:
-وما هي امنيتك يا ليندا...؟
-أنا لدي الكثير من الأماني ولن أفصح عنها لأني أرغب في تحقيقها... ألم تسمع أنك إذا قلت ما تنوي فعله أو ما تتمناه لأحد فلن يحدث ولا يتم أبدًا...
-آه، إن أفكارك صارت تشبه تفكير فريدة إلى حد كبير...
ومن ثم نقل مجرى الحديث إلى فريدة وسألها نفس السؤال، ولكن فريدة كانت شاردة الذهن، أفاقت على وكزة ليندا وهي تقول لها بدهشة:
-ما بكِ اليوم يا فريدة...؟ إنكِ شاردة طول اليوم، ما الذي يشغل بالكِ...! أنتِ لستِ معنا بتاتًا.
تنفست فريدة الصعداء وقالت بهدوء تام:
-لا أدري يا ليندا، ولكن راودني كابوس هذا الصباح و...

قاطعتها ليندا وقالت لها:
-دعكِ منه، أنتِ قلتِ ما هو إلا مجرد كابوس، هيا قولي ما أمنيتك.
ردت فريدة بلا اكتراث:
-أنتِ تعلمي يا ليندا أنا لا أحب التمني ولا أن أطلب شيء، أنا أحقق وأنفذ ما أريد وما أستطيع فعله... لا أحب أن أنظر لشيء لا أستطيع الحصول عليه.
أستمر الحديث يدور بينهم واحد تلو الآخر...
ولكن فجأة هم توماس وهو يتحدث معهم قام بإخراج ذلك الكيس الذي كان يحتوي على سجائر ولكنها لم تكن سجائر عادية بل بها مخدرات.
قام بإشعال سيجارة ومن ثم رأته إيما فابتسمت قائلة:
-يبدو أن رحلتنا قد بدأت التو...
نظرت ليندا متعجبة متسائلة:
-منذ متى وأنت تتعاطى مخدرات...؟ أنا أعلم أنك صرت مدخن فقط لم أدرى أن الوضع ازداد معك إلى هذا الحد.
رد عليها بعدما نفث دخان السيجارة:
-لا اتعاطى مخدرات، أنا أدخن من حين لآخر سجائر الماريجوانا، لا تكبرين الموضوع يا ليندا ولا تصيري مثل فريدة...
من ثم همت إيما بأخذ السيجارة من يده وبدأت في سحب أنفاس منها في انتشاء...
ومن ثم قام بإشعال سيجارة أخرى وسحب نفس منها في انتشاء فقامت ليندا من رقدتها واعتدلت وهي تنظر له بحماس معلنة

الرغبة في أن تجرب فقط... ومدت يدها لأخذ السيجارة من توماس ولكن فجأة منعتها فريدة وهي تمسكها من يدها وتقول لها في حدة:

-ليندا... توقفي، لا تفعلي ذلك...

ترددت ليندا وقالت لتوماس:

-لا، لا أريد أن أجرب أعلم أن شرب الماريجوانا يشتت التركيز...

قال لها توماس كي يقنعها:

-كفي عن هذه الترهات، أنتِ لن تقومي بتدخين الكثير أنكِ فقط سوف تجربين...

تحمست ليندا للفكرة ولم تنظر لفريدة، من ثم سحبت أول نفس، فبدأت تسعل بشدة لأن هذه هي أول مرة تدخن بها.

عندما رأت فريدة أن ليندا غير مهتمة لما قالت فقررت أن تهم بالنهوض، حينها قالت لها ليندا في لهفة وهي ممسكة بالسيجارة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة...؟

قالت لها فريدة ببال شارد وهي تعطيها ظهرها متجهة للبحيرة:

-أحتاج أن أكون بمفردي قليلًا.

ومن ثم نادت ليندا عليها قائلة وهي تهم بالنهوض:

-انتظري يا فريدة أنا قادمة معكِ...

ولكن توماس قاطعها وقال لها وهو يتبع طيف فريدة الذي ذاب في ظلام الليل:

-دعيها على راحتها يا ليندا، إن فريدة ليست على ما يرام اليوم.

حينها شعرت إيما بضيق بسبب أنه تمسك بليندا، إنها كانت ترغب بشدة أن يكونا بمفردهما، ومن ثم شعرت ليندا بالحزن وقالت له:

-خذ هذه السيجارة أنا لا أحب التدخين.

قال لها وهو لا يبالي:

-كما تريدين...

ومن ثم قالت ليندا وهو ترتعش بعض الشيء:

-سوف أخذ مرتبتي وأدخل خيمتي يا رفاق، إن الجو يزداد برودة، أريد أن أرتاح، لا تسهرا كثيرًا سوف نبدأ رحلتنا في الغد مع شروق الشمس... تصبحا على خير.

حينها ارتاحت إيما وقالت بابتسامة صفراء مصطنعة وهي تلتف لليندا التي أوشكت على دخول خيمتها:

-تصبحين على خير يا ليندا.

قامت ليندا بإغلاق خيمتها جيدًا كي تقي نفسها برودة الجو...

تأففت إيما ومن ثم نظرت لتوماس:

-أوف، إنها ثقيلة الدم مثل صديقتها فريدة، لا أدري لمَ تخرج معهما...!

نظر لها توماس في ضجر:

-توقفِ عن نقد أصدقائي، يجب أن تحترمي وتحبي من أحبهم و

ولكن قاطعته إيما من كلامه ومن غضبه وهي تحاول الاقتراب منه بلين معلنة انهاء هذا الغضب بقبلة دافئة في هذا الجو الذي ازداد برودة، ولكن فجأة قطع هذا الصمت صوت...

صوت ليندا وهي تنادي عليهما بصوت عال:

-هاااي يا رفاق...
حينها ابتعد توماس عن إيما والتفت لليندا مُنتبه لها التي أكملت قائلة:
-لا تنسا وضع المزيد من الحطب، آه، توماس أرجو منك أن تضع أربع شعلات من النار، شعلة في كل اتجاه، نحن لا ندري ما يوجد بتلك الغابة...
قال لها توماس بحماسة:
-لا تقلقي إن المكان أمان هنا...
قالت ليندا وهي تهم بغلق سحاب الخيمة:
-الاحتياط واجب... تصبح على خير.
نظرت له إيما ولكنه كان شارد الذهن بعدما قام بإشعال سيجارة أخرى من الماريجوانا ولا يعيرها انتباه، والصمت طال بينهما ومن ثم قررت الكلام:
-فيما تفكر يا توماس...؟
استمر توماس في شروده وقال وهو يهز رأسه بلا مبالاة:
-لا أفكر في شيء.
قالت له وهي تمسك يده:
-ألن نخلد للنوم...؟
قال لها وهو ينفث دخان السيجارة تجاه السماء:
-اخلدي أنتِ إلى النوم وأنا سوف ألحق بكِ...
أيست إيما من محاولاتها في التقرب من توماس الذي صار باله مشغول عنها لا بها... فقررت أن تنتظره قليلًا في الخيمة وإذا لم يأتِ سوف تخرج كي تطمئن عليه، ولكن تدخينها لتلك

السيجارة وشربها للبيرة جعلا رأسها ثقيل جدًّا فنامت بدون أن تشعر...
ظل توماس شارد الذهن وها قد أكمل سيجارته، ولكن الحزن بدأ يخيم على عقله، شعور مؤلم عندما يشعر المرء أنه في حياة لا يرغب بها أو أن يكمل مع شريك غير مرتاح معه، عندما تستمر في علاقة صارت بها مشاعرك فاترة تشعر مع كل كلمة من شريك حياتك بأنه يقيدك بقيد في كل أنحاء جسدك إلى أن يصل القيد إلى رقبتك فحبه يخنقك، الحب الغير متبادل أشبه بلعنة أو عذاب شديد عليك أن تهرب منه قبل أن ينهي عليك.
من ثم هم كي يفتح صندوق المشروبات وأخذ منه زجاجة بيرة، وبدأ يشرب كي يتوقف عقله قليلًا عن التفكير في فريدة، ولكن أحيانًا عندما نرغب في نسيان شيء نتذكره بشدة، وعندما نهرب من شيء نجده يلهث لكي يلحق بنا، سحقًا للدنيا دائمًا تعطينا عكس ما نرغب به.
ها هو أخذته قدمه، فصار يمشي على شاطئ البحيرة، إلى أن وصل للمكان الذي به فريدة، كانت جالسة أسفل شجرة كبيرة أمام البحيرة في مكان بعيد عن موقع التخييم...
ولكن بمجرد أن رآها أمامه، لم يتمالك نفسه وأقترب منها وجلس بجوارها أسفل الشجرة وقال لها هامسًا:
-لمَ تهربين مني يا فريدة...؟
ردت عليه فريدة وهو تمسك بحجر وتهم برميه في البحيرة في تململ:

-لا تكبر الموضوع يا توماس، أنا لا أهرب منك ولا أهرب من شيء، لم أتعلم الهرب، لقد نشأت على المواجهة فقط لا غير.
نظر لها توماس وهو يضع يده على وجهها موجهًا إياه صوبه كي تواجه عينها عينه وسألها وعيناه تترقرق بالدمع:
-ما بي لا يعجبك يا فريدة وأنا مستعد أن أتغير من أجلك...!
أبعدت فريدة يده برفق وهمت واقفة كي لا تتأثر بنظرته وقالت:
-كل ما في الأمر أنك غير مناسب لي يا توماس.
هم توماس واقفًا كذلك وسألها وهو يسمك بذراعها وبدأت عيونه تذرف الدمع:
-لمَ لا أناسبك يا فريدة...؟ أنا وأنت نشبه بعض في أشياء كثيرة نفس الميول... كنتِ في بداية الأمر منجذبة لي... لمَ الآن صرت أشعر أنك تكرهيني...؟!
-لم أنجذب إليك قط... أنت مجرد صديق لا أكثر ولا أقل...
قوى قبضته على ذراعها وقال لها بحدة تتناقض مع ألم قلبه ودموعه:
-أنتِ تكذبين يا فريدة، تكذبين، أنا رأيت حبكِ لي في عينيكِ...
-توقف عن وهم نفسك، واتركني أرحل...
-لا لن أتركك... لن أتركك تضيعي من يدي، سوف تكوني لي بالرضا أو بالغصب...
-أتركني وشأني أنت مرتبط الآن و...
-لم أحبها قط... أنا قررت أن أفعل ذلك كي أشعل غيرتك لا أكثر ولا أقل، لذا قررت أن أتقرب من أكثر شخصية تريد أن ترتبط بي، قررت أن أخذ حبها لصالحي كي تكوني لي.

-لا يهمني هذه الترهات، وباعترافك ذا سقطت من نظري أكثر، هذا يعني أنك شخص كاذب لأنك خدعت إيما، أعلم أنها شخصية خبيثة ولكن لا تستحق أن تلعب بمشاعرها هكذا...
-أرجوكِ، دعكِ من إيما، أرجوكِ لا تتركيني و...
ومن ثم هم بالتقرب من فريدة ولكنها دفعته وهي تقول له بحدة:
-أبتعد عني، أنا لم أفكر بك قط لأنك على غير ديني، والآن أنت زدت الأمور سوءًا بكونك مدمن على شرب الخمر والتدخين، أبتعد عني، أنت صرت شخصية سيئة ومخادع... من يخدع فتاة أخرى من أجلي سوف يأتِ وقت ويخدعني أنا كذلك... لا أمان لك يا توماس.
من ثم همت بالرحيل، ولكنه لحق بخطوتها السريعة وقال لها:
-أنتِ السبب في تغيري للأسوأ يا فريدة، أنتِ من جعلتني أهرب من واقعي الذي لا أحبه بالإدمان، صرت أرغب في هروبي من واقعي الذي لا أحبه بذاهبي إلى عوالم أخرى في خيالي.
نظرت له بغضب وقالت له مهددة إياه بسبابتها:
-أقسم لك يا توماس إن لم تتركني أرحل الآن سوف أنهي صدقاتنا إلى الأبد...
ومن ثم همت بالرحيل عندما رأت أن توماس قد تصلب مكانه بعد سماع تهديدها، ومن ثم تحولت عيناه إلى بركتي وقد أوشكت على أن تفيضا من كثرة مياهها، قررت ألا تنظر لعينيه الرماديتين كي لا تتأثر بنظرته المتخاذلة، بدأت تمشي ولم تكترث لما حدث، كل ما تعلمه أن عليها أن تفعل ما هو صحيح وكفى، ولكن فجأة سمعت صوت أوراق شجر يأتي من

خلفها أي أن أحد يتبعها وبمجرد أن التفتت شعرت أن زجاجة كسرت على رأسها، كانت الزجاجة زجاجها سميك جدًّا مما سببت الضربة في فقدانها الوعي، ومن ثم...
أفاقت ولكن لا تدري كم مر من الوقت على فقدانها الوعي، وما زال رأسها يدور ولكن فجأة صرخت بشدة عندما أدركت ما لحق بها ومازال يحدث...
صدمت عندما أدركت أن توماس مثل الحيوان يفترسها، مستغلًا فقدانها للوعي، بكل ما تمتلك من قوة دفعت هذا الحيوان عنها، ولكن قواه كانت تفوق قواها، تحاول دفعه ولكنه لم يتوقف قط عن ما يفعله، ولم تجد ما تدافع به عن نفسها سوى حفنة من التراب ألقتها في عينه، زلزلت اتزانه فقامت بإبعاده عنها وهمت بأخذ ملابسها، حاول جاهدًا أن يفتح عينه، ولكن هي في هذه اللحظة تمكنت من التعلق في فرع شجرة والهبوط مجددًا أرضًا بكل قوتها كي ينكسر، فأخذت تهدده إن اقترب منها سوف تقوم بضربه... ولكنه لم يكترث لتهديدها، إن المخدرات أثرت على تفكيره، ولكن فريدة لم تتردد وقامت بضربه فسقط أرضًا، ارتدت ملابسها وهي تجهش بالبكاء بعدما نظرت لفخذيها اللذان تلوثا بدم شرفها... تبكي بسبب ضعفها، تبكي لأنها كانت تظن أنها قوية، كانت تظن نفسها قوية مثل الرجال ولكن الحقيقة هي أنثى، مهما كان هي أنثى، وستظل ضعيفة مهما يكن... ستظل مطمع مهما حاولت من صنع هالة القوة والرجولة حولها.

هرعت تهرول بعدما ارتدت ملابسها باكية صوب خيمتها، ولكن بمجرد ما أن اقتربت لمكان التخييم، رأت ليندا تلهث تجاهها.
نظرت لها ليندا في دهشة وذعر وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:
-ما بكِ يا فريدة لمَ تبكين...؟
تعجبت ليندا لأن فريدة لا تبكي أبدًا وترفض الضعف... ولكن فريدة لم ترد عليها وهي تشيح بنظرها بعيد عنها وتمسح دمعها وهي تهم بالذهاب تجاه خيمتها...
ولكن سرعان ما ليندا قطعت تفكيرها بما جرى لفريدة وقالت لها بأسى:
-فريدة، أنا كنت نائمة ولكن فجأة شعرت أن خاتمي يهتز معلنًا أن هناك من يتصل، وكما تعلمي أنا أرد على أي اتصال يرد لهاتفي... كان الرقم غريب فقمت بالرد وأنا ناعسة ولكن الصوت الذي سمعته والخبر الذي نزل على مسامعي كان مثل الصاعقة...
لم تكن فريدة ترد على ليندا، هي تسمع لها ولكن عينيها ممتلئتان بالدمع ولكنها بسبب كبريائها تكبل دمعها بالقيود كي لا يفروا منها أمام ليندا وتعلن عن ضعفها... ولكن ليندا أكملت لها بحزن:
-إن المتصل كان أمك يا فريدة، إنها تريدك بشدة...
كل هذا يسقط على سمع فريدة ولا تحرك ساكنًا، ومن ثم أردفت ليندا بعدما حاولت أن تستجمع قواها مع التقاط أنفاسها:
-إن أباكِ في وضع حرج في مستشفى ال...

لم تكمل ليندا الكلام إلا ونظرت فريدة لها في صدمة، ومن ثم هرعت وهي تبكي مثل الطفلة التي تريد أن تهرب من الكون كله الظالم أهله إلى مصدر الأمان لها وملاذها، ألا وهو أبيها.
أسرعت بدخول خيمتها كي تأخذ مفتاح سيارة ليندا وتهم بالرحيل، ولكن ليندا لحقت بها باكية.
كانت ليندا حساسة جدًّا وما يسعد فريدة يسعدها وما يحزن قلب فريدة يؤلم قلبها أضعاف مضاعفة، كانت ليندا أخت لها لا مجرد صديقة:
-سوف آتِ معك يا فريدة، لن أتركك وحدك...
قالت هذا وهي تجهش بالبكاء وهي تتبع خطى فريدة تجاه السيارة، كانت فريدة لا تسمع ولا ترى أحد أمامها.
فتحت باب السيارة كي تقودها ولكن ليندا منعتها وسحبتها من يدها، ولكن فريدة لا تستجيب لصوتها وتبكي في هستيريا وهي تحاول أن تركب السيارة، ولكن ليندا سحبتها بقوة وضربتها كف على وجهها كي تسمع لها فنظرت لها فريدة بشرود وقد احمرت عيناها بشدة وسمعت ما قالته لها ليندا:
-لن أدعكِ تعودي بمفردك أنا من سوف أقود السيارة، إذا قمتِ بالقيادة لسوف تقومين بحادث أنتِ غير واعية يا فريدة...
بعد الكف صارت فريدة في حالة شرود عيناها تستمر في ذرف الكثير من الدمع معلنة بدء العاصفة...
صار جسدها مرخي فأجلستها ليندا على المقعد الآخر وبدأت القيادة للمستشفى، وطوال الطريق فريدة لا تحرك ساكنًا ولكنها لا تتوقف عن البكاء...

لم تختر ليندا وضع القيادة الذاتي في السيارة لأنه يتحكم في مستوى السرعة الذي يشكل الأمان بينما هي اعتمدت على القيادة بأقصى سرعة كي يصلا إلى المستشفى.
ها هما قد وصلا المستشفى استعادت فريدة رشدها وسألت عن اسم أبيها، فهرعت تبحث بين الغرف على رقم غرفة أبيها...
إلى أن وصلت إلى غرفة أبيها، فقامت بفتح الباب بلهفة، ولكنها ترى الممرضات يقمن بفصل الأجهزة عنه، تنظر إليهن متسائلة رافضة الواقع:
-أنتن تقمن بإزالة الأجهزة لأن أبي صار بخير أليس كذلك...؟
ولكن الممرضات لم يقمن بالرد عليها وأكملن عملهن، فنظرت لأمها الباكية وسألتها بهدوء:
-وتين، توقفي عن البكاء، مراد بخير...
من ثم أخذت تقترب من الطبيب وتقول له والدموع تنهمر من عينها:
-قل لها يا طبيب إن أبي بخير، قل لها أن تتوقف عن البكاء...
نظر لها الطبيب وقال لها بأسى وهو ينظر أرضًا:
-أباكِ توفي و...
أمسكت به فريدة من معطفه بقوة وقالت له بغضب صارخة:
-لا تقل ذلك، أنت طبيب غبي لا تفهم، ولا تعلم كيف تقوم بعملك على أكمل وجه، أنا والدي طبيب ولدي خلفية طبية سأريك ما سأفعل له...
تكمل كلامها وهي تقترب من أبيها وهي تبكي في هيستريا:
-هيا يا أبي افتح عينك، هيا يا مراد أرجوك لا تتركني...
بدأت تضغط بكلتا يديها على قلب أبيها وتقول له صارخة:

-لا أستطيع أن أعيش في هذا العالم من دونك يا مراد، أرجوك أفق...
ها هن الممرضات يحاولن سحبها وإبعادها، ولكنها صارت تدفعهن صارخة وتقول:
-أيها الأغبياء قوموا بتشغيل جهاز صدمات القلب، هيا أنقذوا أبي حالًا...
ومن ثم وهي تدفع الممرضات عنها خرت قواها وفقدت الوعي.

*****

استيقظت فوجدت نفسها معلق لها محاليل بمجرد أن أفاقت حاولت أن تفهم لمَ هي في المستشفى...؟! ومن ثم بدأت تتذكر ما حدث، ولكنها كانت تقول في قرارة نفسها:
-اتمنى كل ما مررت به طوال هذا اليوم أن يكون كابوس، يا رب يكون كابوس.
دخلت أمها الغرفة عليها من ثم أمسكت بيدها وهي تبكي وتمسح بيدها على شعرها، ولكن فريدة كانت تشيح بنظرها عن عيني أمها.
كانت أمها تبكي لفراق زوجها، ولكن كانت تبكي أكثر على ابنتها المتعلقة بأبيها بشدة.

*****

أنهت وتين اجراءات نقل الجثمان إلى مصر، واستعدتا للسفر لمصر، كانت هذه المرة تزور فيها فريدة مصر ولكن جسدها فقط هو الذي سافر ولكن عقلها ظل في لندن يجوب أرجاء البيت مع ذكرياتها هي ووالدها...

*****

مرت الشهور وفريدة في غرفتها في فيلتهم في مصر في منطقة السادس من أكتوبر.
صارت لا تتحدث مع أحد، ولم تعد للندن لكي تكمل عامها الدراسي.
قدرت أمها سوء حالتها، وخسرانها لمن كان لها كل شيء.
ولكن في شهر أغسطس من عام ٢٠٣٨ أي بعد مرور عام وخمس أشهر على تلك الصدمة الكبرى بفقدها أبيها، وتلك الصدمة الأخرى بفقدها شرفها واثبات ضعفها.
حاولت خلال تلك الفترة أن تتعافى من كلتا الصدمتين ولكن أثرهما كان عميق جدًّا، قررت الانتحار ولكنها خافت من عقاب الرب.
حتى أمها تملكتها الوحدة، صارت فجأة شاحبة بغياب حبيبها وشريك حياتها مراد وبفقدها شغف وسعادة بنتها... كم كانت تحب نقاشها هي وبنتها وتشاجرهما سويًا... يقولون إن الشخص الذي تحب أن تتشاجر معه كثيرًا هذا يعني أنك تحبه بشدة.

*****

يد شاب تحمل سكين تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود متوسط الطول، اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفت الفتاة مسرعةً ولكن شعرها يخفي ملامحها التفتت عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها وها هي اليد تنقض على طعنها في ظهرها وسقطت أرضًا غارقة في دمها و...

-فريدة... استيقظي يا فريدة.
قامت فريدة مفزوعة من نومها... بدأت أمها تهدأ من روعها... وسألتها ما بها فقالت لها فريدة:
-كابوس يا وتين... كابوس يتكرر معي كثيرًا هو عبارة عن...
قاطعتها أمها وقالت لها وهي تمسح على شعرها لتهدئتها:
-لا يا حبيبتي، لا تذكري الأحلام السيئة أو الكوابيس فقط اتفلي على يسارك ثلاث مرات واستعيذي من الشيطان ومن شر هذه الرؤيا.
ظلت فريدة شاردة بعض الشيء ومن ثم تغاضت عن التفكير.

*****

بعد قليل من الوقت خرجت فريدة لشرفة غرفتها، تحاول أن تتنسم الهواء كي يدخل ويزيل عن روحها غبار الحزن والكأبة من ثم زاد شرودها فذاب بالها في غياهب تفاصيل الفيلا المقابلة لها ذات النوافذ والشرفات المغلقة و...
ولكن أمها تقطع شرودها عندما دخلت وأحضرت لها كوب من القهوة وكيك كي تتناوله...
جلستا سويًا تستمتعان بشمس مصر الدافئة التي تفتقر لها لندن الباردة الغائمة الكئيبة.
قالت لها أمها وهي تنظر لها برفق:
-حبيبتي فريدة، ما رأيك في مصر...؟
تنهدت فريدة وهي شاردة الذهن في السماء الصافية وقالت وهي تتنفس بهدوء:

-إنها جميلة حقًا بالرغم أني لم أرى شيء منها سوى هذا الطريق الذي أراه من شرفتي، ولكن جوها يبعث الدفيء داخل الروح...
-ما رأيك بالاستقرار هنا...؟
نظرت لها فريدة باستغراب وسألتها:
-هنا أين...؟
-في مصر يا فريدة، أنا كنت أرغب بشدة بالعودة والاستقرار في مصر ولكن مراد...
ومن ثم لم تكمل الكلام لأنها لا تريد أن تبعث الحزن داخل فريدة بذكر سيرة أبيها...
نظرت لها فريدة وقالت لها:
-أكملي، ولكن أبي... ماذا...؟
ابتلعت وتين ريقها وقالت لها بحزن لمجيء طيف ذكرى مراد في بالها:
-لأن مراد كان ينتظر أن تكملي دراستك الثانوية والجامعة وتصيري طبيبة مثله ومن ثم يأتِ ويستقر هنا، كما تعلمي أن المغترب مصيره في يوم يعود لوطنه مهما طال غيابه.
-يعني هذا كان هدف مراد...!
أومأت أمها برأسها أن نعم، فقالت لها فريدة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وألا تبكي، وهي ترسم شبح ابتسامة لأمها وتقول:
-وأنا سوف أحقق مراد أبي مراد، ولن أخذله أبدًا...
ابتسمت لها أمها ابتسامة تقاوم العبوس والبكاء، ومن ثم قاطعتها فريدة وهي تهم بدغدغتها:

-توقفي عن البكاء أيتها البومة الكئيبة، لا أدري لمَ من بين الأمهات أنتِ أمي...؟
حينها مسحت وتين دموعها وهي تبتسم وهي تهم بالوقوف وتقول:
-آه وأخيرًا قد عادت ابنتي المشاغبة من جديد.
أخذت فريدة فنجان القهوة وقطعة الكيك ووضعتما على سور الشرفة وسألت أمها وهي تهم بتناول الكيك:
-وتين، هل مراد كان يحب مصر...؟
تنهدت أمها وهي تتقرب منها وسرحت في السماء وقالت بلهفة:
-ومن في الكون لا يعشق مصر...
قاطعتها فريدة بعدما قامت ببلع الكيك بسرعة وقالت بعناد:
-لم أسألك على الكون كله، أنا أسألك على مراد لا أحب اللعب بدفة الحديث ها...
تنهدت وتين وهي تنظر بغضب يتخلله السعادة لابنتها:
-آخ يا ربي أنتِ خلقتِ كي تعانديني وكفى، اسمعيني جيدًا يا ذات اللسان الطويل... إن مراد كان يعشق مصر ويحب كل ما بها ولكن اضطر للسفر لكي يحقق ذاته ليس هربًا منها أو كرهًا فيها كما يفعل قليلين الأصل... ولكن كان هناك دافع آخر للسفر هو أن ذاك البيت...
قاطعتها فريدة بصوت مكتوم وهي ترتشف من فنجان قهوتها وطلبت من أمها بلهفة:
-أريد أن أذهب للأماكن التي كان يحبها مراد قبل أن أسافر.

نظرت لها أمها بسعادة على تغير بنتها للأفضل وخروجها من قوقعة الحزن أخيرًا وأردفت لها بنظرة مليئة بحنو الأمومة:
-كان يحب القاهرة بكل ما فيها من مناطق أثرية أو متحضرة، وكان يحب سيناء بكل ما فيها بلا استثناء، والأقصر وأسوان.
نظرت لها فريدة ببلاها ومن ثم غمغمت:
-لا أدري شيئًا عن كل هذا، دعينا نبدأ من أي مكان ولكن المهم أن نزورهم كلهم خلال هذا الشهر...
وبالفعل بدأت رحلاتهما... وبدأت فريدة تشعر بالقرب أكثر لأمها، كانت دائمًا لا تشعر أنها بحاجة إلى حنان الأم، لأن حب الأب يكفيها، ولكن بعد فقدها لأبيها صارت تحتاج لحنو أمها الذي تبحث بين ثناياه على حب أبيها، وقررت أن تحب أمها بشدة، يكفي أن أبيها كان يهيم بها عشقًا.
مرت الأيام فقررت فريدة السفر للندن والعودة إلى مصر في العطلات فقط، ولكن أثناء وجود فريدة مع أمها في المطار سألت أمها السؤال التي لم تتجرأ أن تسأله كل هذه الفترة:
-أمي، كيف مات أبي...؟
-مات أباكِ بسبب كثرة الإجهاد... لم يكن مراد يفكر في راحته... كان دائمًا ما يفكر في غيره ونفع غيره وكفى... كان في ذلك اليوم يشعر بالإجهاد، طلبت منه أن يرتاح ولكنه أصر أن يذهب لعمله في الجامعة...
ويبدوا أن الإجهاد قد ألم قلبه بشدة ووصل لحالة لم يتم إسعافها ورحل بسلام كما كان يعيش بسلام...
رسمت ملامح الأسى على وجهها وتمتما:
-الله يرحمه.

من ثم جال في خاطر فريدة سؤال راغبة أن تغير مجرى الحديث كي لا تستسلما للحزن:
-أمي، لمَ تؤمنين بالأحلام...؟ ولمَ تعيرنها اهتمامك...؟
-لأنها حق يا بنتي، وكل ما أحلم به يقع.
-ولكن في مرة قلتِ لي أن توماس سوف يؤذيني...
-نعم، أنا غير مرتاحة لهذا الشاب ابتعدي عنه عند رجوعكِ لندن.
-ولكن هذا الحلم كان منذ مدة طويلة لمَ أحذر منه...؟
-ابتعدي عنه لأنه سوف يلحق بكِ أذى كبير... يعني إن لمْ يلحق بكِ أذى عندما حذرتك منه هذا ليس معناه أنه لن يؤذيكِ، ولكن موعد تحقيق الرؤيا لم يأتِ بعد... فانتبهي.
غمغمت فريدة في قرارة نفسها وقالت:
-لقد وقعت الرؤيا ولحق بي الأذى، وأنا كنت أظن أن الأحلام ما هي إلا تخاريف من العقل الباطن.

*****

فتاة تقف شاردة ترتدي عباءة سوداء على كتفها وشاح أصفر وشعرها أسود متوسط الطول فاقتربت منها فريدة كي تفهم ما بها، لمَ هي واقفة بمفردها...؟
ولكن سرعان ما بدأت بطنها بالنزف ومن ثم سقطت أرضًا فبرز السكين المطعونة به في ظهرها...
صعقت فريدة من هول المشهد... حاولت أن تقترب من الفتاة كي تتأكد أنها ما زالت على قيد الحياة أم لا قبل أن تطلب المساعدة...

ولكن سرعان ما تحولت نظرة الفتاة من ساكنة هادئة إلى نظرة كلها شر وتوعد وقالت والدم يخرج من عينها ومن شدقيها:
-ابتعدي عن هنا... لا تعودي إلى مصر من جديد... ابتعدي.
*****
فتحت فريدة عينها على صوت اسم الطائرة للرحلة القادمة...
كانت فريدة متعبة بعض الشيء فقررت أن تنام قليلًا قبل موعد طائرتها...
نظرت لها أمها وقالت لها بلهفة:
-كنت سوف أوقظك الآن...
لم تهتم لما تقوله أمها وهمت بمعانقتها وهي تشعر بأمان وراحة من بعد هذا الكابوس، ولكن سرعان ما بدأت تسمع همهمات أمها... فقالت لها فريدة:
-لا تقلقي عليّ أن احتجتِ لي في أي وقت سوف تجديني بين يديكِ في خلال ساعة...
أوه الرحلة في عام 2038تحتاج ساعة ونحن الآن نحتاج أكثر من خمس ساعات، بالفعل أن التقدم سوف يوفر لنا الكثير من الوقت، ولكن علينا أن نستغل هذا الوقت الذي قمنا بتوفيره فيما هو مفيد وليس للراحة أو إضاعته هبائنا.
*****

الفصل الثالث

الاختراع

عادت فريدة إلى لندن وكان رفيقيها توماس وليندا في انتظارها، لم تكن تتوقع أن ترى توماس بعد فعلته تلك، لقد كانت على استعداد أن ترى ليندا التي اتصلت بها بعد غياب طويل وقالت لها على موعد وصولها...

عندما رأيت توماس رسمت ملامح الغضب على وجه فريدة وقالت لليندا:

-لم أكن أظن أنكِ ستفعلين ذلك، قلت لكِ لا تخبري أحدًا...

وهمت فريدة غاضبة وهرعت خلفها ليندا موضحة:

-توقفي عن تعصبك ذا واسمعيني يا...

قاطعها توماس وقال:

- دعيني أنا أوضح لها

همت فريدة مسرعة وخرجت من المطار، هرع خلفها توماس وقال لها وهو ممسك إياها وهو يلهث محاولًا التقاط أنفاسه:

-هل يمكن أن تعطيني من وقتك دقيقة، أقسم لكِ دقيقة واحدة فقط.

-ولا حتى ثانية، لا أريد أن أرى وجهك.

-صدقيني، دقيقة واحدة ولن تري وجهي مرة أخرى.

وافقت فريدة على مقابلته ولكنها كانت تقف بجانبه أي لا تريد أن تقابل عينها عينه أبدًا، لأنها عندما تنظر له تشعر بالبغض ورغبة في الانتقام على ما فعله، ولكن سرعان ما قطع توماس

شرودها بالتفاته أمامها ونزوله على ركبتيه معتذرًا متأسفًا لها باكيًا:
-فريدة أرجوكِ أعطِ لي فرصة أخرى أثبت لكِ صدق نيتي أني أحبك ولم أكن أقصد أن أذيك، أقسم لكِ أني لم أكن بوعيي...
ولكن فريدة لم تكن تنظر له وبدأت الدموع تلتمع في عينيها ولكنها رفعت رأسها في كبرياء كي تمنع دموعها من النزول.
لأن إذا نزلت دموعها حزنًا على ضعفها ستشعر أنها فقدت ما تبقى من كبريائها وكرامتها.
لم تتمالك نفسها بسماع صوت توماس الباكي النادم فهمت بسحب حقيبتها تاركة إياه، ولكن سرعان ما هم توماس واقفًا ممسكًا بيدها ووقف أمامها وقال لها وهو يمسح دمعه محاولًا تمالك نفسه:
-فريدة يجب أن تصدقي أني لم أكن بوعيي، أنا استيقظت في اليوم التالي بجوار البحيرة ومن ايقظتني كانت إيما جاءت إليّ وكانت مندهشة من وضعي هكذا من دون ملابسي، عندما أفقت لم أكن أدري ما سبب وجودي هناك، ولكن سرعان ما بدأت أتذكر ما حدث في ذلك الوقت كانت إيما لا تتوقف عن السؤال ولكني لم أكن أرد لأني صرت نادمًا على ما فعلته معكِ يا فريدة، وفي ذات اليوم قررت الانفصال عن إيما بل والابتعاد عن هذا الطريق الذي اقحمت نفسي به بسبب حماقتي، لا أدري لمَ فعلت كل ذلك...! ولكن السبب الوحيد هو حبي لكِ، اخترت أن تكون إيما شريكتي كي تغيري وأشعر بحبك ونكون سويًا ولكن لم أفكر قط في الطريق الذي سوف أتبعه بعد علاقتي بإيما، إيما غيرتني للأسوأ صرت مدمن،

وصرت أتخذ أدماني سبيل للهروب من واقعي الذي لا يعجبني، واقعي الكئيب لأنكِ لستِ حبيبتي.
فريدة لم تعر كلامه أهمية وهمت بالتحرك ولكنه أمسك يدها وأكمل كلامه وهو يقابلها وجهًا لوجه:
-أعرف ما يجول في خاطرك تجاهي الآن، أعلم أني لم يجبرني أحد على هذا الطريق وأنا المسؤول الوحيد عن كل ما مررت به، ولكن أقسم لكِ لم أكن أظن أن المخدرات سوف تذهب عقلي وأؤذيكِ، لم أنوي قط ولم تجول هذه الفكرة حتى في خاطري.
قاطعته فريدة في عصبية وعيناها تترقرق بالدمع وقالت:
-مهما تقول لن أغفر لك أبدًا ما سببته لي من ألم خلال كل هذه الفترة، أرجوك لا تظهر أمامي مرة أخرى أريد أن أتعافى مما حدث وألا أتذكره مرة أخرى.
صار توماس يتبعها ويقول لها معتذرًا:
-أنا أسف يا فريدة، كنت أنتظر اليوم الذي أراكِ به كي أعتذر لكِ وكنت أتمنى أن تعطي لي فرصة أخرى لكي أكون معكِ، لأنك لو قبلتِ اعتذاري، هذا معناه أن لي فرصة أخرى للحياة، ولكن إن لم تقبلي اعتذاري فهذا معناه أني لن أستطيع أن أستمر في عذاب نفسي أكثر من ذلك على ما فعلته بكِ وما سببته لكِ من ألم... أرجوكِ لا تكرهيني... وتذكري لي أي ذكرى جميلة بيننا في يوم... لا تهربي مني ثانية يا فريدة... لأني سوف أرحل...
وضغط على حذائه وطار عاليًا.

التفتت فريدة فرأت ليندا تقف بعيدًا تتأمل الموقف، ولكن بمجرد أن رأت فريدة لم تحرك ساكنًا، نظرت بحزن إلى فريدة وضغطت على حذائها وطارت كي تلحق بتوماس...
وقف توماس فوق مبني عالي جدًّا، ولكن ليندا نظرت له وهي تبكي كي لا يترك جدار المبني ومن ثم أردفت:
-توماس، توقف أرجوك، لا تفعل ذلك، أنا أعلم أن فريدة سوف تسامحك، لا تصدق صلابتها، إنها تحتاج إلى بعض الوقت، أرجوك لا تيأس وتستسلم مسرعًا هكذا أرجوك.
تمتم توماس وهو يجهش بالبكاء:
-أريد أن أموت، لأني لا أجد الراحة في حياتي، أنا شخص أحمق ولا أحد يحبني، ولا أحد يرغب في وجودي.
بدأت ليندا تقترب منه بحذر وتقول:
-من قال لك هذا يا توماس، كلنا نحبك، كلنا نرغب في وجودك معنا.
صرخ بها توماس وقال لها وهو يبكي:
-ابتعدي عني يا ليندا، لأنكِ إن حاولتِ منعي سوف تعجلي في موتي قبل أن أطلب السماح من الرب وكل من أعرفهم.
-أرجوك توقف عن التفوه بهذا الكلام، وأزل من بالك هذه الفكرة، وهيا عُد معي.
-لن أعود لأن فريدة لم تسامحني، لا أريد أن أعود للدنيا المصرة على اعطائي أشياء وأشخاص لا أرغب بهم، ودائمًا ما تسلبني كل ما أريد.
نظر لليندا وقال لها باكيًا:
-ليندا سامحيني إن سببت لكِ أذى في يوم من الأيام...

قاطعته ليندا وقالت باكيةً:
-ولكنك لم تأذني أبدًا يا توماس، لطالما كنت المقرب لي منذ الصغر وأني أحبك جدًّا.
ومن ثم رفع رأسه للسماء مجهش بالبكاء وهو يقول:
-يا رب سامحني على ما سوف أقدم عليه، ولكني أطلب منك مغفرتك و...
ومن ثم سمع صوت يأتِ من أمامه ففتح عينه في دهشة:
-وأنا... ألا تريد أن تطلب الغفران مني مرة أخرى قبل الرحيل...!؟
دهش توماس عندما سمع ذلك الصوت، الذي كان صوت فريدة التي كانت محلقة أمامه في الهواء وتنظر له نظرتها المتفائلة التي طالما اعتاد عليها عندما تكون فريدة في مزاج رائق.
فأفلت يد من اليدين الممسكتين بالسور كي يمسح عينيه من الدمع، في تلك اللحظة فقد اتزانه واليد الأخرى فقدت تماسكها ولكن سرعان ما عانقته فريدة معيدة إياه، ومن ثم أمسكت به ليندا واجلساه على سطح المبنى وهما بجواره، من ثم نظر إلى فريدة في دهشة، وهو يقول بعينين مليئتين بالدمع:
-هل هذا حقيقي، هل سامحتني بالفعل يا فريدة؟
نظرت له فريدة باستغراب مداعبة إياه:
-ما هذا السؤال الغبي...! أقسم لك إن سألت مثل هذه الأسئلة مرة أخرى سوف ألقي بك من فوق هذا المبنى وقبل أن ألقي بك سوف أخلع حذائك ذا.
ابتسم لها توماس باكيًا وأردف:
-كم أحب انفعالك يا فريدة.

همت فريدة واقفةً بهمة وقالت لهما:
-هيا يا رفاق أريد أن نخرج سويًا بمناسبة عودتي.
ومن ثم ضربت مقدمة رأسها بكف يدها متذكرة:
-آه... نسيت، لا مانع من قدوم إيما معنا...
نظر لها توماس بحزن:
-ولكني قلت لكِ أننا انفصلنا، ويوجد سبب آخر كذلك فلا يمكن أبدًا أن تكون معنا مرة أخرى.
-لا أريد أن تنفصل عنها بسببي هيا اتصل بها مرة أخرى و..
أنفعل توماس قليلًا وأردف:
-أنا لم أنفصل عنها بسببكِ، أنا لم اتأقلم معها قط، وإيما ماتت في حادث هي ورفيقها بسبب حالة سُكر كان بها وهو يقود.
نظرت له فريدة بحزن وأردفت:
-الحمد لله أنك ابتعدت عن هذا الطريق وها انت معنا سالمًا.
من ثم نظرت نظرتها المشاغبة لليندا التي كانت لا تفعل شيء سوى النظر لهما:
-يبدو أن هناك أمور كثيرة قد تغيرت هنا...
ابتسمت لها ليندا وأردفت وهي تهم واقفة وتأبطت ذراع فريدة ضامة إياها:
-سأخبرك بكل شيء.

*****

قامت فريدة بإعادة آخر عام لها في الثانوية من جديد فأخذت تجد وتجتهد كي تلتحق بكلية الطب التي سبقاها إليها كل من توماس وليندا.

*****

في السابع من شهر أكتوبر عام 2038
-الو.... دكتور جون... أين كنت؟ لقد قلقت عليك كثيرًا.
-أسف يا عزيزتي... كنت مشغول جدًّا من أجل أن أحضر لك هدية عيد ميلادك... ولكني لم أوفق.
-ماذا... هدية؟ أنت أكبر هدية لي في الحياة... أنت صرت لي أبي من بعد موته.
هذا أول عيد ميلاد أشعر فيه أني وحيدة بدون أبي الذي مات ومن دون أمي التي قررت أن تستقر في مصر من بعد وفاة أبي، وها أنت قد أكملت تعاستي ليلة عيد ميلادي بعدم حضورك، بل واقلقتني عليك.
-سامحيني يا عزيزتي... لم أقصد أن أجعلك تعيسة ليلة عيد ميلادك... بل أن المفاجأة التي كنت أود أن تكون جاهزة ليلة عيد ميلادك لم تجهز بعد.
-وما هي هذه المفاجأة...؟
-كيف تكون المفاجأة مفاجأة إذا علمتِ بها يا فريدة...؟
-حسنًا، قل لي أين أنت الآن...؟ أنا ذهبت إلى بيتك وسألت العمة كريستينا ولكنها اجابتني: "أنها لا تعلم أين أنت".
-لقد خرجت مبكرًا ولم أخبرها أني سوف أذهب لمختبري.
-إذن أنت في المختبر الآن، سوف آتِ إليك حالًا.
-فري...!
أغلقت الهاتف بمجرد أن عرفت أين دكتور جون.
بعد ساعة وصلت إلى مختبره، عندما قابلته عانقته بشدة، إنها تحبه جدًّا فهو بالنسبة لها مثل أبيها.

دكتور جون بمجرد أن رآها أمامه فتح ذراعيه إليها مستقبلًا عناقها له، وأردف:
-أوه يا عزيزتي، سامحني عما صدر مني الليلة، ولكن الأمور لم تجري كما خططت لها.
-لا يهمك يا جون، أنت تعرف كم أحبك، أنا حزينة فقط لأني ظننت أصابك مكروه، حمدًا لله أنك بخير.
-لا تحزني يا صغيرتي فلقد أوصاني أباكِ عليكِ وأني مسؤول عنكِ وعن سعادتك.
-لا تقل لي صغيرتي، لقد كبرت يا جون، الليلة عيد ميلادي الثامن عشر، صرت شابة يانعة الآن.
-لا ستظلين صغيرتي إلى آخر يوم في حياتي.
-حسنًا، قل لي الآن ما هي المفاجأة التي جعلتك تتخلف عن ليلة عيد ميلادي...؟
-لقد أكملت الاختراع لتوي ولكني لم أجربة، يجب أن أجري بعض التجارب على أشخاص متطوعين كي أثبت صحة الاختراع.
-وما هذا الاختراع...؟
-اختراع يجعلك تتحكمين بالزمن، ترجعين لأي تاريخ في الماضي، وتكتبي أي تاريخ في المستقبل.
-وكيف أفعل ذلك وما هو شكل هذا الاختراع؟
-إنه يتكون من خمس قطع يا عزيزتي.
عدسات لاصقة، لا تظني أنها للتجميل ولكني صممتها لكي تكون شاشات مصغرة لكي نرى من خلالها.

وسماعتان دقيقتان جدًّا نسمع من خلالهما ما سوف نمر به خلال تلك التجربة.
وخامس قطعة ذاك الجهاز اللوحي إنه يشبه الهاتف أعلم ذلك، ولكنه مبرمج على كتابة التاريخ والسفر عبر الزمن.
-اووه، يعني سوف أختفي من هنا وأسافر عبر الزمن.
-لا يا عزيزتي، لن يحدث ذلك، جسدك سوف يظل هنا في المختبر.
-وكيف سوف أسافر عبر الزمن أن لم أسافر بجسدي.
-سوف تسافرين في رحلة العودة للماضي أو السفر للمستقبل من خلال عقلك فقط، ومن خلال العدسات اللاصقة سوف ترين الواقع في الماضي أو المستقبل.
-ولكن كيف سوف أشعر بهم وكيف سوف يشعرون بي.
-إن العدسات التي ترتدينها تصدر إشعاعات تحيط بك تجعلك مرئية كما تظهر أي شيء حولك، والسماعات التي ترتدينها تصدر ذبذبات تجعلك مسموعة وتمكنك من سماع أي شيء حولك.
-ولكن كيف سوف أكون في الماضي والمستقبل بلا جسدي.
-سوف تسافرين للماضي والمستقبل من خلال روحك فقط، وتلك المعدات التي معك تجعلكِ طيف شفاف أو شخص محسوس به تمامًا.
-لم أفهم يا جون...!
-أنها مغامرة تشبه الحلم إلى حد كبير، ولكنه حلم أنتِ من تختاري أحداثه، والأشخاص التي تريدين أن ترينهم أثنائه. يعني يمكنك أن تعودي لأي يوم في حياتك.

-صدقني يا جون أنا أحاول أن أفهم، وأريد أن أجرب هذا الاختراع حالًا.
-أجننتِ يا فريدة، لا يمكنني أن أجرب الاختراع عليكِ، إن لهذه التجربة توقيت يجب أن تعودي قبل تمام ست ساعات في التجربة.
-يعني إذا استمريت أكثر من ست ساعات ماذا سيحدث يا جون...؟
-لن تعود روحك من جديد إلى جسدك.
الجهاز لن يتحمل أن تطول مدة التجربة أكثر من ست ساعات.
إذا أنتهى شحن الجهاز للمدة المحددة لن يمكنك أن تشحنيه لا في الماضي ولا المستقبل، يجب أن تعودي إلى الواقع من جديد، ونعيد شحن الجهاز لكي نكرر التجربة.
- حسنًا يا جون لقد فهمت كل شيء، إن الأمر بسيط جدًّا.
إنها أفضل مفاجأة صارت لي في حياتي.
إذا كنت تحبني حقًا دعني أجرب هذا الجهاز.
-لا يمكنني، لا أدري ماذا سوف تكون النتائج يا عزيزتي.
-أرجوك، أريد أن أعود بالزمن لليوم الذي تركت فيه البيت لكي أسافر مع اصدقائي وتركت فيه أبي ولم اسمع لتحذير أمي.
ولكني كنت أظن أنها خائفة علي، كنت أظن أنها تظنني ما زلت تلك الفتاة الصغيرة المدللة، لذا تمردت وسافرت وتركتهما.
-اهدئي يا عزيزتي، إن أباكِ أوصاني عليكِ وقال لي أنه يحبك بشدة وأوصاني أن أحبك كما كان يحبك.

أنتِ ابنتي التي حرمت من انجابها.
-إذن إذا كنت تريد أن تنفذ وصية أبي لك، دعني أقوم بهذه التجربة، أريد أن أرى أبي، أريد أن أعانقه، لقد اشت...ق..ت إليه كثيرًا...
-تعالي في حضني يا حبيبتي، توقفي عن البكاء يا عزيزتي، دموعك غالية عندي يا بنيتي، توقفي يا فريدة أنتِ قوية، وهذا أمر الرب وعلينا أن نحمد الرب على قدره.
-أرجوك، دعني أذهب إليه.
-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أصل الحاسوب الخاص بي بجهاز التحكم الخاص بكِ لأنك يمكن أن تنسي التحكم في الجهاز ويأخذك الوقت، فسوف أقوم أنا بإخراجك من التجربة. وسوف يظهر لي وأسمع كل شيء أنتِ ترينه أو تسمعينه في الحاسوب الخاص بي.
فجأة تغيرت ملامح الحزن والبكاء إلى ملامح فرحة ومن ثم قالت لجون وهي تهم بمسح دموعها:
-ولمَ كل ذلك يا جون، أنا سوف انتبه للوقت.
-على الأقل يا حبيبتي في أول مرة بعد ذلك إذا نجح الأمر سوف أتركك تفعلي ما تشائين.
-حسنًا ها أنا أنتظرك إلى أن تنتهي، ولكن لا أريدك أن تتعب معي أنت لم تنم بعد.
-لا يهمك يا عزيزتي، الليلة ليلة ميلادك وعليّ أن أسعدك.
ومن ثم مر القليل من الوقت ومن ثم نظر لها دكتور جون نظرة تشجيعية وقال لها:
-أنتِ جاهزة يا عزيزتي!

-أنا جاهزة يا جون، بل أنا متحمسة، لم أكن أظن أن بإمكاني أن يعود بي الزمن وأعيش مع أبي آخر أيامه... ولكن هل يمكنني أن أسألك سؤال؟
-أكيد يا فريدة.
-هل يمكنني أن أمنع أبي من الخروج ذلك اليوم كي لا يمر بتلك الأزمة وبذلك عندما أعود للحاضر أجد أبي لم يمت بعد.
-لا، لن يمكنك ذلك يا فريدة، إلا الموت لن يمكنك منعه أبدًا لأنه مكتوب علينا جميعًا في يوم محدد سوف نموت.
يعني إذا منعتِه أن يموت بتلك الطريقة سوف يموت بطريقة أخرى، لأن هذا يومه يا عزيزتي.
-ولكن...
-لا تفكري يا عزيزتي... كل ما عليكِ أن تعودي بالزمن وتقضي هذا اليوم مع والدك، وأهم شيء أنك بالفعل غير موجودة في ذلك التاريخ لأنك مسافرة مع أصدقائك، فلن تكوني عائق لنفسك في ذلك الوقت.
-حسنًا يا جون، لقد فهمت كل شيء الآن.
إذا أنا مستعدة...هيا بنا نبدأ.
جلست على الكرسي ومن ثم ارتدت العدسات ومن ثم وضعت السماعات الدقيقة في أذنها ومن ثم أعطاها دكتور جون جهاز التحكم، أمسكت به في يديها وكتبت التاريخ (٢٠٣٧/٣/١٣) وعنوان بيتها ومن ثم نظرت نظرة وداع إلى جون وعينيها تفيض من الدمع ومن ثم ضغطت على التأكيد.

أوه يا إلهي، في غمضة عين صارت أمام باب بيتها، رنت جرس البيت، فظهرت أمها في الشاشة الموجودة بجوار البوابة فقالت لها مندهشة:

-ها، فريدة، عدتِ بسرعة... ألم تقولي أنكِ سوف تسافري مع أصدقائك.

-لم أستطع أن أرفض طلبكِ، ورغبت في أن أقضي اليوم معكما.

-ادخلي يا فريدة، ولكن أين حقيبتك؟

-أوه، لقد نسيتها، ولكن لا يهم.

-كم أنتِ غريبة يا فريدة، ولكن لمَ لم تفتحي بالمفتاح يا بنيتي؟

-قلت لكِ نسيت حقيبتي يا وتين.

-ليس من طبعك النسيان يا فريدة ولكن لا يهم.

-قولي لي أين مراد؟

في هذه اللحظة قد جاء أبي عن طريق الحديقة الخلفية عندما سمع صوتي.

قال لها مراد عندما رآها:

-فريدة..! م...

لم تجعله يكمل سؤاله حتى لأنها هرولت إليه معانقة إياه بشدة، هرعت إليه بلهفة وقالت له وهي تقبله بجنون:

أبي، أبي حبيبي، لقد اشتقت إليك كثيرًا، آه يا أبي يا حبيبي آه لو تدري كم أحبك.

ومن ثم صارت تبكي بهستيريا، أخذ يربت عليها وهو معانق إياها بشدة ويقول لها:

-يا حبيبتي وأنا أيضًا أحبك، ولكن لمَ تبكي يا حبيبتي اهدئي...!

-أبكي لأني اشتقت إليك كثيرًا.
-لمَ كل هذا الاشتياق، كنا معًا منذ قليل يا فريدتي.
أردفت أمها متعجبة:
-إن فريدة غريبة جدًّا اليوم، تخيل يا مراد أنها قالت لي يا أمي، وهي لا تقل لي تلك الكلمة قط... وها هي تنعتك بأبي...!
ضحك مراد وفريدة ممسكة به مثل الطفلة التي لا تريد أن تترك حضنه، بل صارت تقف بجانبه وهي تضمه، ومن ثم قال مراد لوتين وهو يمسح بيده على شعر فريدة:
-ما أجمل كلمة أبي من بنيتي، إن أي كلمة تكون جميلة من فريدة.
ولكن قولي لي يا صغيرتي ما سبب كل هذا الاشتياق، ولمَ لم تسافري مع أصدقائك؟
لا أدري ولكني فكرت كثيرًا بأن تكون رحلتي معك ومع وتين، ها ما رأيك اليوم نخرج سويًا، ونذهب للتنزه وللعب والذهاب للملاهي وللسينما وأكل المثلجات.
ضحك مراد ونظر لعينيها وأردف:
-كل هذا يا حبيبتي في يوم واحد؟
نظرت إليه وهي تعانقه وتحاول أن تحبس دمع عينيها وأردفت:
-نعم كل هذا، ولن ترفض لي طلبي.
-بالرغم أني متعب يا صغيرتي ولدي عمل مهم ولكن لا يوجد شيء مهم بالنسبة لي سواكِ، أنتِ تتدللين يا حبيبتي.

وبالفعل تنزهوا ولعبوا سويًا وضحكوا كثيرًا واكلوا الوجبات التي يحبونها والمثلجات التي يعشقونها، وشاهدوا فيلم في السينما للفنان المفضل لهم.
مر الوقت وهي لا تترك حضن أبيها، لم تفارقه أبدًا، لم ترفع عينيها عن عينيه، كانت تريد أن تجترع المزيد والمزيد من نظرات عينيه لكي تروي ظمأ اشتياقها إليه.
ومن ثم قرروا أن يجلسوا أمام البحر ويتكلموا، ضحكوا كثيرًا ولم تترك فريدة يد أبيها لحظة، ولكن في لحظة وهو جالس على الكرسي، سرح قليلاً في البحر وفريدة تتحدث إليه ولا يرد، نظر لها أبيها وهو يرسم على وجهه ابتسامة ولكن فريدة شعرت أن خلف هذه الابتسامة ألم بداخله، نظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين المتلألئتين بسبب الدمع النابع من الألم الذي يحاول ألا يظهره إليها ومن ثم قال لها وهو يبتسم:
-فريدة أنا أحبك.
ومن ثم حول نظره إلى وتين وقال لها:
-وتين أنا أحبك ولم أحب غيرك وسأظل أحبك إلى الأبد.
فريدة كوني فريدة يا فري...
وأثناء كلامه كانت فريدة وأمها تقولان:
-وأنا أيضًا أحبك...
وظلا يبكيان ولكنه لم يكن متجاوب معهما، كأنه لا يسمعهما هو فقط يراهما ويقول هذا الكلام، ومن ثم أغمض عينيه.
صرختا فريدة ووتين وها هما يحركانه كي يعود لوعيه:
-مراد... أرجوك افتح عيني...
*****

-ها، أين أنا؟
دكتور جون؟
ماذا حدث؟
رد عليها دكتور جون وهو يمسك بأذنها معاتبًا:
-أخ منك يا فريدة، لم تفعلي شيء مما اتفقنا عليه، ها أنتِ عدتِ بالزمن وغيرتِ الأحداث ولم تتركي أباكِ يذهب و...
-لم أرغب أن تكون نهاية أبي وأنا بعيدة عنه و...
-ولكن حدث ما قلته لكِ... في الوقت المحدد لكل منا سوف نترك الحياة لا مجال للهرب من الموت.
صارت تبكي بجنون فضمها دكتور جون وقام بتهدئتها.
-آه يا جون، أشكرك كثيرًا، اليوم أفضل يوم في حياتي، عشت سعادة لم أعشها قط في حياتي مع أبي.
-الحمد لله أني موجود وأخرجتك، لأن الوقت كان قد أوشك على الانتهاء وأنتِ دخلتِ في حالة هستيريا بسبب حزنك على أباكِ، كنتِ سوف تظلين هناك إلى الأبد.
-آسفة جدًّا يا جون، يبدو أنك متعب، ست ساعات تتابعني ولم تنم قط.
-من قال تابعتك ست ساعات؟
-ألم تقل لي أن التجربة ست ساعات!
-ست ساعات مدة التجربة في العالم الآخر، ولكن في الحقيقة أن التجربة مدتها ست ثوان فقط.
نظرت إليه بدهشة واستغراب متسائلة:
-ولكن كيف تابعت وشاهدت كل ما مررت به خلال ست ساعات في خلال ست ثوان.

-كل الذي رأيته لقطات سريعة، أنا عيني كانت على الوقت وأوقفته على خمس ثوان وخمسون فيمتو ثانية.
-ولكن كيف حدث كل هذا؟
-قلت لكِ أن تلك التجربة أشبه بالحلم، أي حلم نراه أثناء نومنا ومهما طالت مدته لا تتجاوز مدته في الواقع بضع ثوان، إن عالم الأرواح مختلف تمامًا يا عزيزتي.
عانقته بشدة وأردفت:
-أشكرك يا جون على تلك المفاجأة، لقد حققت وصية أبي لك وبالفعل أسعدتني، ولكن هل يمكن أن أطلب طلب!
-أكيد يا بنيتي.
-هل يمكن أن تعطي لي ذلك الفيديو المسجل لتلك التجربة.
-أكيد يا فريدة، ولكن دعيني أغير سرعته للسرعة الطبيعية لأن الأحداث مسجلة بسرعة فائقة جدًّا.
قبلته وشكرته ثنيةً، ومن ثم أوصلها لبيتها، وفي تلك الليلة قامت فريدة بتشغيل الفيديو وكررت لحظات السعادة من جديد ونامت وهي تبكي وتضحك في نفس الوقت.

*****

في صباح اليوم التالي اتصلت فريدة بدكتور جون كي تشكره من جديد على تلك التجربة ومن ثم طلبت منه أن تقابله في المعمل الليلة من أجل أن تكرر الأمر من جديد.
رفض في بداية الأمر ولكن فريدة أصرت إلى أن وافق.
في المساء تقابلا ومن ثم شرع دكتور جون يشرح لها:

-يا فريدة يا حبيبتي لا أستطيع أن أجعلك تجربي الليلة أيضًا، أنتِ بالأمس كدتِ أن تنسي الوقت، ماذا كنت سوف أفعل أنا حينها إذا بقيتِ في العالم الآخر.
-أنت رافض الآن لأنك قلق علي، أعدك سوف انتبه الليلة... كل ما في الأمر أن التجربة كانت جديدة عليّ فقط، لذا لم انتبه.
حك دكتور جون رأسه ذا الشعر الأبيض الناعم الكثيف وأردف متنهدًا:
-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أكمل الليلة التعديل التي أرغب به على الجهاز، أريد أن أعدل المدة الزمنية المحددة.
-حسنًا موافقة، ولكن يا جون أشعر بالعطش، هل يمكن أن تجلب لي شيء اشربه.
-لا بل سوف أجلب شيء نأكله أيضًا، دقيقة وسوف أعود إليك يا صغيرتي.
بمجرد أن خرج دكتور جون من الغرفة شرعت بارتداء العدسات والسماعات وكتبت نفس التاريخ لكي تقابل أبيها مراد من جديد في نفس اليوم، ولكن في هذه المرة قررت أن تعيش معه تجربة مختلفة.
وبالفعل قضت اليوم مع أبيها من جديد في أماكن مختلفة، وسعادتها ولهفتها كانت لا توصف.
في هذه المرة لم تبكي بل كانت تضحك والسعادة كانت تغمرها، لأنها صارت تشعر بأنها لم تفقده، بل سوف تعود لأي يوم في أي وقت وسوف تقابله من جديد.

ومن ثم تركت الجهاز وآخر مرة نظرت له علمت أنها تبقى لها نصف ساعة، لذا قررت أن تترك الجهاز مع ملابسها على الشاطئ كي تبدأ مغامرة السباحة هي وأبيها في البحر.
شعرت بسعادة تغمرها بمجرد أن رأت أبيها يبتسم لها وهو ينظر إليها كأنها طفلته الصغيرة.
ومن ثم فجأة توقف مراد عن الابتسام ومن ثم رسمت ملامح الألم على وجهه ومن ثم ارتخى جسده على الماء، فقامت بسحبه باكية إلى الشاطئ، ومن ثم شرعت هي وأمها في البكاء، ولكن فجأة رأت فريدة شيء غريب...
أمها تتحول إلى أفعى كبيرة جدًّا وفتحت فاها صارخة قائلة:
-أنتِ من قتلتِه.
ومن ثم شرعت بمهاجمة فريدة، ولكن فريدة هربت مسرعة وقررت أن تهرب للبحر وتعوم لأن الأفعى لن تتمكن من العوم أكيد.
ولكن فجأة بمجرد أن اقتربت الأفعى من الشاطئ تحولت إلى قرش كبير، سبح بسرعة تجاه فريدة، صارت تعوم مسرعة صارخة تشعر بالفزع بسبب فم القرش الذي يريد أن يلتهمها.
ومن ثم بمجرد أن رفعت نظرها عن القرش كي تنظر أمامها، رأت أبيها مراد يعوم وينظر لها فاتح ذراعيه ويقول لي:
-هيا يا صغيرتي، بإمكانك فعلها.
ولكنها صرخت وشعرت بالرعب والتفتت بنظرها للشاطئ فوجدت جثة أبيها هامدة وأمها على الشاطئ تنظر لها صارخة خائفة عليها وتقول لها:
-عودي يا فريدة.

ولكن القرش ها قد اقترب منها.
ومن أمامها أبيها يقول لها: -"هيا يا فريدة"...
ومن ثم تغير أبيها إلى القرش والقرش الذي خلفها صار أبيها.
ومن ثم فتح القرش فاه والتهمها، ولكن فجأة تغير كل شيء وصارت في حفرة عميقة وحولها غابة، ومن ثم جاءت إليها عاصفة قوية فرفعت جسدها في الهواء، صارت تدور في الدوامة الهوائية ومن ثم القتها الدوامة على سحابة ضخمة، شعرت حينها بالأمان لأنها كانت تحملها ومن ثم رأت السحاب تشكل على هيئة درج لكي تتمكن من النزول، ومن ثم شرعت تنزل الدرجة الأولى والثانية والثالثة ولكن الرابعة لقد جعلتها تهوى ساقطة وكانت الأرض تحتها كأنها وحش فاتح فاه بأسنانه الحادة ولكن فجأة.
سمعت صوت دكتور جون يقول لها معاتبًا:
-لمَ فعلتِ ذلك يا فريدة لمَ؟
نظرت إليه باكية مرتجفة، وقالت له وهي تتلعثم في الكلام معانقة إياه:

-ج جو ن، ل قد أنق ذتني، مررت بتجربة مرعبة.

ومن ثم وهي تعانقه نظرت لوقت التجربة كانت 6ثوان و15فيمتوثانية.

سألته مستغربة وهي تمسح دمع عيني بيديها:
-أنا قد تجاوزت الوقت يا جون انظر.
ولكن كيف...؟

ربت على كتفها مهدئًا إياها ولكن نظرته لها كانت نظرة عتاب بسبب فعلتها تلك لأنه خائف عليها كثيرًا ومن ثم أردف:
-لقد كذبت عليكِ يا فريدة وقلت لك فكرة أن الجهاز له مدة محددة ويفصل شحنه، وكذبت عليكِ بشأن أنك سوف تظلين حبيسة ذلك العالم.
-ولمَ كذبت عليّ...؟
-لأني لم أرغب أن تمري بما مررتِ به، أنا قلت إذا قلت لك تلك الفكرة سوف تخافين وسوف تلتزمين بالوقت المحدد لأن بالفعل إذا تجاوزتِ الوقت لن يفصل الجهاز ولكنك سوف تدخلين في المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الهلوسة البصرية والسمعية، وتلك المرحلة سوف تؤثر على تفكيرك وسوف تنسين أمر الجهاز تمامًا وأمر الرجوع.
وسوف تظلين في مرحلة هلوسة مستمرة وعقلك لن يتحمل تلك الهلوسة كثيرًا و...
-حسنًا يا جون الآن قد فهمت كل شيء... إن الأمر يشبه فكرة الحلم مثل ما قلت لي.
-نعم يا عزيزتي، إنه حلم ولكن أنتِ المسؤولة عن تفاصيله.
-صحيح يا جون أنت تعرف جيدًا أن أمي تفهم في الأمور المتعلقة بالأحلام ولكني لم أرغب في يوم أن أتعلم منها هذا العلم.
ولكن في مرة سمعتها تقول لجارتنا التونسية أن ما رأته كان النصف الأول منه رؤيا وله معني بينما الجزء الثاني هو عبارة عن هلوسة وليس لها تأويل، أحيانًا عندما يطول الحلم نبدأ في مرحلة الهلوسة كما قلت يا جون.

الآن تذكرت ذلك اليوم بالفعل.
-كلامك صحيح يا فريدة، ولكني أشعر بالضيق بسبب ما فعلتِه الآن.
-سامحني يا جون، أول وآخر مرة اتجرأ وأفعل شيء من دون استئذان.
-أحمد الرب أني معكِ في نفس المكان وأخرجتك من ذلك المأزق.
-أنت منقذي يا جون، ولكن هل يمكن أن أكل تلك البيتزا الشهية، لقد جعت كثيرًا بسبب الفزع الذي شعرت به في تلك التجربة الرهيبة.
ابتسم جون وأردف:
-آه منكِ يا فريدة، أنكِ لا تأخذي الأمور على محمل الجد أكثر من دقيقة.
-أي أمر في الحياة لا يستحق التفكير فيه كثيرًا، ما دام حدث يعني أنتهى، فأهلًا بالجديد.
-حسنًا يا فيلسوفتي، فنانة في اللامبالاة أنتِ.
-وعاشقة للبيتزا لا تنسى مميزاتي.
-في يوم سوف تحققي وصية أباكِ وسوف تكوني فريدة يا فريدة.
-هذا الأمر سوف أفكر فيه فيما بعد، دع الغد قليلًا ودعنا في الحاضر الذي سوف يبرد إذا نسيناه بسبب التفكير فيما سبق وفيما سوف يأتِ.
-حسنًا هيا نأكل ومن ثم نعود للمنزل لكي نرتاح قليلًا.
*****

وبالفعل بمجرد أن عادت للبيت وصارت تشاهد الفيديو المسجل لتلك التجربة تمتمت في قرارة نفسها:
-إنه فيديو مشوق بالفعل، بل سيكون أفضل فيلم إثارة إذا تم تصويره.
لكن بعد أن شاهدت الفيديو لم تستطع أن تنم تلك الليلة بل صارت تفكر في أمها لذا قررت أن تتصل بها:
-أهلًا وتين، كيف حالك؟
-أنا بخير يا فريدة، غريبة تتصلين بي!
-رغبت أن أطمئن عليكِ لأني رأيتك في حلم، ومراد قال لي رسالة.
-ومنذ متى تشغلين بالك بالأحلام...!
-من الآن يا أمي...
-يا أمي مرة واحدة! من معي، من يتحدث إلي...!
-وتين لا تجعليني أندم أني اتصلت بكِ.
-حسنًا يا فريدة قولي لي ماذا رأيتِ؟
-أبي قال "أنه يحبك جدًا ولم يحب ولن يحب غيرك، وقال لي أني فريدة وسوف أكون فريدة".
-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يتأول كما هو من دون تفسير.
-ولكني أريد أن أفهم أكثر عن الأحلام.
-أنه لموضوع طويل يحتاج للكثير من الشرح.
-حسنًا يا وتين في أول فرصة اشرحي لي كيف أفهم الأحلام... ما رأيك أن تعودي إلى لندن مرة أخرى؟

-لن أعود يا فريدة، إذا كنتِ ترغبين في تعلم تفسير الأحلام سوف أشرح لكِ كل ما ترغبين معرفته في زيارتك القادمة إلى مصر.

*****

ولكن بمجرد أن أغلقت المكالمة مع أمها استمرت في التفكير أكثر، وبحثت عن المزيد من المعلومات بخصوص الأحلام ولم تفهم شيء.

قرأت عن العلماء الذين اشتهروا بتفسير الأحلام ولم تتوصل لشيء، قالت في قرارة نفسها:

-لكن كيف سوف أفهم وأمي ليست معي...؟

أوه، إنها التاسعة صباحًا، أنا متعبة جدًّا، سوف أنام وغدًا سوف...

غدا ماذا...! أقصد اليوم سوف أفكر.

استيقظت الساعة السابعة مساءً يبدو أن مغامرة الأمس اهلكتها وجعلتها تنام عشر ساعات وبالرغم من ذلك تشعر بالدوار.

بعد أن اكلت اتصلت بدكتور جون وسألته:

-لدي خبر يا جون.

-وما هو يا صغيرتي...؟

-أوه، لم أعد صغيرة يا جون، أنا فكرت فيما مررت به في تجربتك والسفر عبر الزمن ومقابلتي لأبي وخاصة عندما قال لي (كوني فريدة يا فريدة) لذا قررت أن أفكر في حياتي بجدية وأن أبدأ في تحقيق أهدافي.

-وما هي أهدافك يا فريدة؟

-بصراحة، بالأمس لم يكن لدي أهداف محددة ولكن صباح اليوم قبل أن أنام، قررت أن أتعلم تفسير الأحلام وأريد أن أستخدم ذلك الجهاز للسفر عبر الزمن أو السفر للكثير من الأماكن.
-وما دخل الجهاز لتعلم تفسير ما نراه أثناء نومنا؟
-كما تعلم أن أمي تفهم تفسير الأحلام جيدًا وكان هدفها وأنا صغيرة أن تؤلف كتاب عن تفسير الأحلام بأسلوبها المميز البسيط، ولكن كما تعلم الحياة ومشاغلها، أو بالأصح هي لم توفق في ترتيب أمور حياتها وتحقيق أهدافها في وقت واحد. لقد تناست تحقيق هدفها بسبب التأجيل، فكرة أن يؤجل المرء هدفه إلى الغد فهذا معناه أنه لن يقوم بتحقيقه أبدًا.
-صحيح يا فريدة، إن من يريد أن يحقق أحلامه فليبدأ في نفس اللحظة التي راودته الفكرة بها ولا يؤجلها كي لا يتكاسل، ويوم يجر يوم ومن ثم أيام.
-كم أنت رائع يا جون، أنت من جعلتني أفكر من جديد في حياتي، وكما قلت لك أن أمي تفهم في تفسير الأحلام ولكنها في مصر و..
-سوف تسافرين إلي مصر لكي تكوني مع أمك و...
-لا ليس لكي أقابل أمي فقط لأني بإمكاني أن اتواصل معها، ولكني لا أريد أن أفعل شيء أخر.
-إذا ما هي خطتك يا فريدة؟
-أريدك أن تعطي لي ذلك الجهاز وسوف استخدمه بحذر وحرص واتبع التعليمات وسوف أسافر لكي أقابل أهم علماء

تفسير الأحلام عبر العصور وكذلك أهم علماء النفس وسوف أدمج العلمين سويًا بلمستي الخاصة.
-مثل سيغموند فرويد الذي أسس علم التحليل النفسي وأهتم بتفسير الأحلام لكي يستخدمها لمعرفة رغبات العقل اللاواعي...!
-ليس مثله يا جون بالتأكيد، ولكن لا أنكر أنه سيكون من ضمن العلماء الذي أرغب بمقابلتهم، سأرشف من بحور علمهم جميعًا وفي النهاية سوف أخرج بشيء لم يسبق من قبل.
-تعالي يا عالمتي إلى المعمل حالاً وسوف نكمل حديثنا.
مسافة الطريق ومن ثم وصلت لدكتور جون ونظر لها مبتسمًا بفمه الصغير ابتسامته تلك كفيلة أن تغمر فريدة بالبهجة ومن ثم أردف:
-سعيد بك يا فريدة لأنك قررتِ أن تغيري من حياتك.
-الفضل لك يا جون، ها قل لي أين جهازي...؟
-ألن تتوقفي عن تسرعك ذا...؟ قبل أن تأخذي الجهاز دعيني اجربه عليكِ آخر مرة.
-لا يوجد عندي مانع يا جون ولكن لمَ...! لقد جربناه سابقًا...؟
-لأني قد أجريت عليه تعديل اليوم بعد الذي حدث معكِ بالأمس.
-وما هو هذا التعديل؟ لن أمر بكوابيس وهلوسة إذا زادت المدة؟
-حاولت أن أفعل ذلك ولكني لم أوفق في زيادة مدة الرحلة أكثر من ست ثوان.
-ولكن ما هو التعديل...؟

-التعديل أن الجهاز سوف يعيدك تلقائيًا إلى المكان الذي سجلتِ من مكان رحلتك بمجرد أن تتم 6ثوان سوف تستيقظي وتعودي للواقع.
-شكرًا لك يا جون على ما تفعله من أجلي.
أنت أخذت كل الاحتياطات اللازمة، أنا أحبك كثيرًا يا جون.
-وأنا أيضًا أحبك يا بنيتي، هيا بنا نجرب هل سوف ينجح المؤقت أم لا وها أنا بجانبك في حالة عدم نجاح المؤقت سوف اعيدك أنا.
-حسنًا سوف أرجع بالزمن سوف استغل فرصة غيابي وأتقابل مع أبي وأمي.
-هيا نبدأ.
وبالفعل تمكنت من العودة بالزمن وجلست مع أبيها قليلًا الذي لم تعد تشعر أنه مات بل هو معها تقابله متى تشاء.
ومن ثم وقفت مع أمها في المطبخ فاستغربت قليلاً من وجودها معها وأنها تركت أصدقائها ولكن فريدة قطعت تساؤلاتها وقالت:
-أنا كبرت يا أمي وتغيرت طريقة تفكيري.
-هذا أمر يسعدني يا فريدة.
-أريدك أن تعلميني أو بمعني أصح تشرحي لي كل ما يخص الأحلام.
-حسنًا يا صغيرتي، نتناول الغداء سويًا ومن ثم نتكلم فيما تحبين ونحن نحتسي الشاي، ما رأيك يا ريدا؟
-موافقة أكيد يا أحلى وتين في الكون، ها دعيني أساعدك في تجهيز المائدة.

-أووه، لقد كبرت ابنتي بالفعل وها هي تساعدني وتشاركني نفس الميول، إنه يوم سعدي.
-أوه يا أمي سوف تجعليني أرجع في كلامي بسبب مزحك ذا.
-آه من انفعالك يا فريدة ولكن لن ألومك عليها فأنتِ تشبهيني به.
بعدما انتهيا من تناول الغداء احتسيا الشاي سويًا وشاركهما مراد بالاستماع إليهما.
بدأت وتين بمقدمة في علم تفسير الأحلام والرؤى بالرد على أكثر الأسئلة شيوعًا حوله.
صارت فريدة تسأل وأمها تجيب و...
ولكن فجأة انتقلت فريدة إلى مختبر دكتور جون فنظر لها مبتسمًا مطمئنًا:
-الآن أنا مطمئن تمامًا عليكِ أثناء استخدام الجهاز، لقد تفعل المؤقت على عودتك من جديد عند انتهاء الوقت المناسب وقبل الدخول في مرحلة الهلوسة.
نظرت له فريدة وملامح السعادة قد رسمت على وجهها:
-هذا يعني يمكنني أن أخذ هديتي معي الآن واستخدم الجهاز كما أشاء ووقت ما أحب...!
-نعم يمكنك ذلك الآن لأن الجهاز قد اكتمل بالفعل ولكن عليكِ أن لا تستخدمي الجهاز سوى مرة واحدة في اليوم، لأن تلك التجربة إذا تكررت أكثر من مرة في ذات اليوم قد تسبب لك إجهاد ومن ثم اضرار لا داع لذكرها و...
-لا داعي للتوضيح يا جون، من بعد ما حدث المرة الماضية لن أفعل شيء سوى أن اسمع تحذيراتك وكفى.

الفصل الرابع

المغامرة

ها هي فريدة تقضي وقتها عاكفة على الدراسة في بيتها بمفردها، لا يوجد أحد معها، ومن يخدمها هو ذاك الروبوت الذي تعده بطيء مقارنة بسرعة أمها في تحضير لها ما ترغب به.

وبعدما اكتفت من الدراسة، قامت بفك شعرها وأخذت تداعبه وهي تفكر ناظرة للجهاز الموجود على مكتبها وهي تقول في حيرة:

-أرغب في مغامرة جديدة مع أبي، لا أريد أن أكرر ذات اليوم بل أريد أن أعيش أكثر من مغامرة في ذات المرة.

ومن ثم التمعت فكرة جعلتها تبتسم ومن ثم تمتمت:

-اوووه، يا لها من فكرة رائعة سوف أرجع بالزمن ليوم خطوبة مراد ووتين، أظن لا يوجد أحد حضر زفاف أبيه وأمه، سأكون أول من جرب هذا الشعور.

كم أنتِ مجنونة يا فريدة... بل هذا ليس جنون بل مجرد تفريغ طاقة بعد إجهاد الدراسة.

هيا سأعود ليوم العاشر من شهر نوفمبر من عام2019 إلى دمنهور.

أنا أتذكر حكاية أبي وأمي عن هذا اليوم سوف أذهب لمسقط رأس كل من أبي وأمي، الاحتفال كان في بيت جدي محمد.

ضغطت فريدة على الموعد والمكان وفي لمح البصر صارت هناك.
-إن هذا الجهاز يترجم جيدًا ما رأيته في الصورة، أنا بالفعل أمام بيت كبير عليه الكثير من الألوان المضيئة، ولكن كيف سأدخل الآن...؟
لن اسأل كثيرًا لم اعتاد التردد أبدًا، أنا تعلمت المواجهة والاقدام وكفى.
معروف أن المصريين أهل كرم وأنا شكلي غريبة أكيد سوف يكرموني ولن يتركوني.
كل ما احتاجه هي بضع لحظات لا أكثر ولا أقل.
بدأت فريدة الموسيقى تسيطر عليها وتجعلها متحمسة أكثر وأكثر، لم تكن تظن أن الموسيقى المصرية كفيلة بجعل المرء يطير من السعادة لا الاستمتاع فقط.
كان باب البيت مفتوح، وها هم أطفال كثر ينزلون من على الدرج بلهفة وسعادة عارمة، أخذت تنظر لكل شيء باستغراب، إن مصر لها جو وروح لا يمكن أن يجدها المرء سوى فيها، إنها حقًا أعظم بلد وأجمل بلد لعظمة تاريخها وطيبة شعبها.
فدخلت الحفل والكل يرمقها، ولكن لم يتشككوا كثيرًا لأنهم ظنوا أنها من المدعوين من طرف مراد الذي يدرس في بريطانيا...
ولكن فريدة لا تشغل بالها بتلك التفاصيل، كل ما اسرها وجعل عينيها تدمع مع ابتسامة من القلب، عندما رأت ابيها يرتدي

بدلة بيضاء وأمها ترتدي فستان فضي وبينهما مأذون، يبدو أن هذا حفل كتب الكتاب كذلك، وذلك لضيق وقت مراد.
أسرت فريدة من جمالهما فلم تتمالك نفسها وبمجرد أن تم عقد القران همت فريدة بمعانقة مراد، هنا شهق كل من في الحفل، وصدمت وتين مما جرى، ولكن فريدة لم تدعها تستمر بصدمتها فعانقتها هي كذلك بشدة، ولكن سرعان ما أبعدتها وتين عنها بانفعالها المعهود التي ورثتها منها فريدة، وسألت مراد صارخة به:
-من هذه يا مراد...؟
مراد لم يستطع الرد بعد هذا الموقف المحرج أمام الملأ ولكن سرعان ما تداركت فريدة الأمر وردت بإنجليزيتها:
-أنا جيني أخت جون زميل مراد، جون لم يستطع الحضور لذلك الحفل ولكني كنت أرغب بشدة أن أزور مصر، وشعرت أن هذه ستكون تجربة مميزة في زيارتي لمصر و...
لم تسمع فريدة أي رد من أي أحد إلى أن بدأت تشعر أنها غير مرحب بها...
إلا فجأة سمعت صوت جدتها أم أبيها سألت ابنها:
-قل لي يا مراد، ماذا قالت لك...؟
ابتسمت فريدة والتفتت لها وقالت بلهجة مصرية جيدة إلى حد كبير ولكن سوف اكتب ما قالته باللغة العربية بالتأكيد:
-قلت له أني أرغب في قضاء يوم معكم، لأني أحب مصر وأهلها و...
اقتربت منها جدتها وعانقتها عناق قوي وقالت:
-وأنتِ تنورين وتأنسين...

ومن ثم أمرت بتشغيل الموسيقى وعودة الفرح من جديد...
رقصت فريدة مع مراد ووتين، مراد كان شاب في الثلاثين وسيم قمحي البشرة ذا شعر داكن اللون مموج بعض الشيء.
بينما وتين كانت آية في الجمال بيضاء رشيقة هي متوسطة الطول ذات شعر حريري أشقر اللون ولكن يبدو أنها من قامت بصبغه... هذا ليس موضوعنا...
كانت فريدة في سعادة عارمة وقد أخذها الوقت من التاسعة إلى أن صار الوقت الثانية عشر بعد منتصف الليل، وقد هدأ الجو، وقفت فريدة تشرب مشروب غازي في شرفة الغرفة التي طلبت منها جدتها أن تنام بها من كرم الضيافة.
شعرت بجمال النسيم الذي يظنه المصريين برد ولكنها شعرت أنه مناخ يبعث في المرء الراحة، ولكن فجأة رأت شيء أخذ عقلها وجعلها تسرح...
رأت أمامها بيت مهجور من طابقين شبه محترق، ظلت شاردة به إلى أن قطع شرودها صوت وتين التي أردفت بلا مبالاة:
-لا تفكري كثيرًا في هذا البيت، إنه ليس بيت أشباح.
دهشت فريدة من وتين التي فهمت ما تفكر به، التفتت لها فريدة فاتحة فاها ومن ثم تمالكت دهشتها وسألتها:
-هل تعلمين قصة هذا البيت...؟
أخذت منها وتين زجاجة المشروب الغازي وجرعت منها وقالت:
-لا أدري ما قصته بالضبط، لقد تعددت القصص بخصوصه، ولكن بمجرد أن جئنا إلى هنا عام ٢٠٠٧ بعدما كنا نعيش في بيت العزبة كان هذا البيت على هذا الوضع...

-ولكن ما هو الحادث الذي أدى به للهجر...؟
-يوجد من يقول منذ ١٥ عام أو أكثر لا أدري...! حدث حريق في البيت بسبب لا أتذكره.
-وهل نجى أحد...؟
-يقولون إن الجيران سمعوا صوت انفجار رهيب، وبدأت النيران تأكل في البيت وتمكنت المطافئ من اخماد النار بصعوبة... وعندما دخل الناس ووحدات الانقاذ لم يجدوا جثث أي من أهل البيت.
قاطعتها فريدة متعجبة وقالت:
-ولكن أنا لا أصدق مثل هذه الأمور...
أكملت وتين اجترعاها ما تبقى من زجاجة المشروب الغازي وأردفت ببرود:
-يوجد فرق بين أنك لا تصدقين هذه القصة وبين أنكِ لا تصدقين مثل هذه الأمور، وعلى العموم لن تصدقي هذه الأمور إلا أن تمري بموقف يثبت لك أن هناك قوة من عالم آخر.
رسمت ملامح التعجب على فريدة وسألت وتين بلهفة:
-وهل مررتِ بمواقف تثبت لك هذا يا وتين...؟
تصنعت وتين التثاؤب ومن ثم تركت الزجاجة على سور الشرفة وقالت بتململ لفريدة:
-إن هذا موضوع طويل، والوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم...
ولكن فريدة لاحظت أن الحزن قد خيم على ملامح وتين فسألتها برفق وهي تمسك بيدها كي تنظر لها:
-لمَ يبدو عليكِ العبوس يا وتين...؟

تصنعت وتين أن كل شيء على ما يرام وأردفت:
-لا يوجد شيء، كل ما في الأمر أني تذكرت...
من ثم لم تكمل كلامها وتنهدت بأسى، وقامت بتغيير وجهتها للداخل وأردفت:
-لا شيء يا فريدة أريد أن أنام.
قالت فريدة بإصرار:
-قولي لي، هل صدر مني شيء أحزنك...
واجهتها وتين بنظرة حزينة لعينيها وقالت:
-كل ما في الأمر أنكِ ذكرتني بصديقتي في الجامعة...
نظرت لها فريدة بتعجب وسألتها:
-وما الذي يحزن في الأمر يا وتين...!؟
بدأ الدمع ينهمر من عيني وتين وقالت بحسرة:
-أنا حزينة لأنها ليست معي، لأنها ماتت...
من ثم همت بدخول الغرفة وهي تجهش بالبكاء...
تصلبت فريدة مكانها ولم تستطع أن تذهب وراءها، قررت أن تتركها تبكي على فراق صديقتها كي ترتاح، أحيانًا البكاء يكون مريح من كبت المشاعر...
ظلت فريدة واقفة في الشرفة شاردة الذهن وكانت لا تحيد نظرها عن ذاك البيت، ولكن فجأة رأت أحد يتسحب كي يدخل البيت من دون أن يراه أحد، ظلت تفكر:
-كيف له الجرأة أن يدخل بيت مثل هذا بالرغم أني لم أعرف بقية قصصه ولكنه بيت مقبض، ولكن ستكون تجربة جميلة حقًا أن اقدمت عليها.

صار البيت هادئ، الكل قد دخل غرفته، فنظرت فريدة للوقت، الساعة صارت الواحدة صباحًا مازال معها ساعتين...
فقررت أن تخطو خطوتها الأولى خارج البيت فبدأ قلبها يدق بقوة من الخوف ولكن حبها للمغامرة أقوى من خوفها، بدأت تتقدم بضع خطوات إلى أن وصلت ذاك البيت.
بمجرد أن لمست باب البيت سرت قشعريرة في جسدها ولكنها لم تتراجع بل اقدمت أكثر وأكثر ولكن بمجرد أن وقفت أمام الشقة سمعت من يبكي متنهدًا...
قررت فريدة أن تغير من اعدادات الجهاز قبل أن تدخل وصارت طيف مرئي لا محسوس، خوفًا من أن تتعرض لأي هجوم...
بمجرد أن دخلت الشقة سيطرت الرهبة عليها سمعت من يقول:
-لم أقتله، أقسم أني لم أقتله.
وقفت فريدة أمامه وسألته برفق:
-لم تقتل من...؟
رفع رأسه لمصدر الصوت بعدما كان منكسها أرضًا من الحزن، بمجرد أن تأمل الملامح جيدًا فزع وهم من مكانه مبتعدًا...
استغربت فريدة كيف لشاب بطوله وعرضه وعضلاته أن يخاف منها هي...؟
ومن ثم بدأ يقترب منها أكثر ويسألها بلهفة والدموع تنهمر من عينيه:
-هل أنا أراكِ حقيقي...؟ كيف أراكِ بعدما متِ...؟

فريدة تنظر له لا تحرك ساكنًا لا تدري شيء، ومستغربة أكثر من دموعه ورقة قلبه وضعفه الغير مناسب مع شكله...
هم بالاقتراب منها وبمجرد أن حاول معانقتها، اخترقها، رجع للخلف خائفًا مما جرى متسائلًا:
-أنتِ لست حقيقة، أنا أتوهم...
ومن ثم شرع في البكاء، ولكن فريدة أردفت متعجبة:
-عم تتحدث...؟ من هي التي تتوهمها...؟
-أنتِ يا ياسمين...
-ياسمين...! ولكني لست ياسمين... أنا فريدة.
-كيف...؟ كيف لا تكوني ياسمين...؟ أدري أن هناك تغير طفيف ولكن هذا لا يمنع ألا تكوني هي...
-أنا فريدة، ولست ياسمين... وأنا لست من هذا الزمن، لقد أتيت من المستقبل...
جلس فارس أرضًا وأمسك رأسه وقال صارخًا متعبًا:
-كل هذا وهم، أن هذا البيت ملعون يظهر لي كل من ماتوا، منذ قليل ظهر لي جواد فقررت الهرب من هذا البيت، ولكن بعد أن غادرته تذكرت أن ليس لي مأوى آخر، وها أنا الآن أراكِ يا ياسمين.
-صدقني أنا لست ياسمين، ولكن يمكنني أن أساعدك...
نظر لها نظرة حزن وأسى:
-كيف لا تكوني ياسمين، وهذا هو ما فعلته معي بالفعل عندما رأتني أول مرة بالإسكندرية...
-أنا لا أعرف ياسمين، ولم أزر الاسكندرية حتى.
-أنا لا أدري لمَ صرتِ تتحدثين هكذا يا ياسمين...!

-لأني لست ياسمين، أنا مصرية ولكن مقيمة في بريطانيا فكلامي باللغة العربية قد تجده غير متقن بعض الشيء.
-بريطانيا...! ما هذا الذي أمر به...! لم أعد أفهم أي شيء في هذه الحياة...
فاق من توتره وسأل:
-إن لم تكوني ياسمين فهل أنتِ حقيقة...؟
-نعم حقيقة ولكن كوني حقيقة في زمن آخر... إنما في هذا الزمن أنا لم أولد بعد...
-لا أفهم شيء، أنتِ شبح ياسمين أنا أعلم...
-لا أحب أن أشرح الأمر أكثر من مرة، إذا أردت أن تظن أنني ياسمين إذن فأنا ياسمين...
-لا، لا أقصد أن تنفعلي هكذا، أن ياسمين لم تكن سريعة الانفعال...
حسنًا لن أقول لكِ فريدة، بل أنا اشعر بعد الذي سمعته منك وقدومك من زمن آخر أنكِ عجيبة، لذا سأقول لكِ يا عجيبة...
نظرت له فريدة متعجبة من الاسم، ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة وأردفت:
-عجيبة، أعجبني الاسم ولمَ لا...!
ها قل لي لمَ كنت تبكي...؟ يمكنني أن أساعدك...
-أنا أقول لكِ ياسمين ليس للشبه فقط في الملامح ولكنك تذكريني بالفعل بأول لقاء لي بياسمين منذ عام...
جلست فريدة بجانبه وقالت له:
-احكي لي ما جرى في أول لقاء وأنا كلي آذان صاغية.

*****

الفصل الخامس

الفارس

(بلسان فارس)
بدأ الأمر في شهر أكتوبر في عام 2018 عندما سافرت أنا وجواد للإسكندرية بغرض العمل في أحد المطاعم.
أثناء فترة عملي في المطعم رأيت فتاة جميلة طويلة عريضة ذات شعر بني كستنائي طويل ترتدي قميص كحلي اللون بداخل بطالها الجينز ملابسها تدل على قوة شخصيتها ولكنها كانت تضع مساحيق تجميل على وجهها مما يدل على اعتزازها بأنوثتها وجمالها، كانت تقف أمام لائحة اختيار الوجبات خارج المطعم، في تلك الأثناء اقترب شاب أسمر نحيل منها، وسحب حقيبتها وهو راكب على دراجته النارية، همت الفتاة بالنهوض من على الأرض والناس حولها ينظرون باستغراب لهول الموقف، ولم يستطع أحد اللحاق بالسارق، فهمت من مكانها فوجدت على الرصيف الموازي لها يقف رجل شرطة، لجأت إليه لاهثة وأردفت:
-أريد أن تجلب لي حقي من ذاك السارق...
رد عليها الضابط ببرود وفتور:
-اذهبي للقسم وقدمي بلاغ...
انفعلت خاصة عندما رأت أن يدها تنزف من أثر سقوطها وقالت:
-وما هو دورك أنت أن لم تلحق بالسارق لحظة وقوع الجريمة...!

نفث الضابط سيجارته في وجهها وأردف:
-كل ما عليكِ أن تعرفي رقم الدراجة النارية وقدمي بلاغ في القسم، وهيا اغربي عن وجهي ليس لدي وقت لكِ.
قالت له وهي تنظر له نظرة احتقار:
-ليس لديك وقت لكي تلحق بالمجرم، ولا إلى أن تسمع شكوتي، ولمن لديك وقت...؟ لديك وقت فقط للتصفح في الهاتف وحرق السجائر، حقًا لن تتقدم هذه البلد أبدًا ما دام أمثالكم لا يقومون بدورهم...
أنفعل الضابط وهم بصفع فريدة وسحبها من شعرها أمام الناس وقال لها سابًا إياها بأهلها:
-وهل أنتِ من سوف تعلميني عملي يا بنت ال...
هنا قد خرج جواد من المطعم فور وصوله، ولكنه لم يتحمل قط ما يجري أمامه فهم بسحب الشابة من يد الضابط وقال له بانفعال:
-ليست رجولة أن تضرب بنت مهما كان، عيب على شاربك الذي على وجهك...
احمر وجه الضابط من شدة الغضب وأردف:
-وهل أنت من سوف تعلمني الرجولة يا روح أمك تعالَ هنا يا ابن ال...
وسبه بأمه وهو يضربه برأسه مما جعل رأس جواد ينزف...
لمس جواد رأسه ورأى الدم ولكنه لم يكترث للدم الذي ينزفه ولكن تلك السبة التي قالها له اشعلت غضبه فأنهال على الضابط وأنقض عليه مثل الأسد فأسقطه أرضًا ومن ثم هم بضربه وسبه بدون انقطاع...

صارت تلك الشابة تبكي خائفة لما تمادى إليه الأمر وتحاول أن تسحب جواد من فوق الضابط كي يتوقف ولكن لا جدوى، حاولت أن أدخل في الحشد وأمنع جواد ولكن ما ساعدني في اقناعه في التوقف عن الضرب هو سماع صوت سيارة الشرطة قادمة، فهم جواد وقال لي:

-خذها يا فارس وأنا سوف اتصرف...

بالفعل أخذتها وهرولنا إلى داخل حواري منطقة المنشية، وآخر لحظة نظرت لجواد قبل أن يسلك طريق آخر فأشر لي بيده ألا أقلق عليه...

قررت أنا وهي أن ندخل حواري ضيقة كي نضيع الشرطة إلى أن وصلنا إلى الطريق المواجه للبحر، فرأينا اتوبيس نقل عام مزدحم قلت لها بلهفة:

-اركبي...

قالت لي بلهفة:

- ولكن...

-ليس وقت للكن...

وقمت بدفعها لداخل الحافلة وهي تتحرك وتداخلنا في الزحام... ومن ثم بدأنا في التقاط أنفاسنا ومن ثم نظرت لي وارتسم على وجهها ابتسامه وقالت:

-أنت شجاع جدًّا يا...

شعرت بالخجل من اطرائها علي وقلت لها:

-أنا فارس... ولم أفعل شيء الذي دافع عنكِ كان...

ولكن لم أكمل كلامي لأنها قامت بنزع "إيشارب" صغير منقوش واضعة إياه في منتصف شعرها، قامت بفكه وبدأت

بمسح وجهي، تعجبت مما تفعله فقمت بأخذ الإيشارب منها وأردفت:
-أشكرك ولكن لا داعِ لذلك، يمكن من كثرة الجري تعرق وجهي كثيرًا و...
قاطعته وقالت:
-ولكن هذا دم يا فارس...
حينها دهشت ونظرت للإيشارب بالفعل كان ملطخ بالدم تعجبت وقلت لها:
-لا أدري كيف جاء الدم، أو كيف أصيب رأسي، يمكن أثناء جرينا بسرعة لم أنتبه وصدمت بشيء ما من دون أن أشعر...
-لا بل كان الضابط هو من فعل ذلك...
-ولكن أنا لم اقترب من الضابط يا...
-ياسمين... اسمي ياسمين يا أيها الفارس الشجاع... ولكن كيف تقول...
سرعان ما قاطع كلامنا مسؤول التذاكر في الأتوبيس وقال لنا:
-ها ألن تدفعان...؟
مسكت الإيشارب مضمدًا به جرح رأسي وباليد الأخرى أخرجت ثمن تذكرتين... وبعد قليل خلى مكان فقررت أن تجلس ياسمين فظللت واقفًا بجوارها ممسكًا بأحدي الأعمدة العلوية في الحافلة مما أبرز عضلات يدي...
نظرت لي ياسمين بإعجاب فابتسمت لها ومن ثم قالت لي:
-أين تسكن يا فارس...؟
-أنا أسكن بجوار المطعم الذي حدث أمامه ما جرى اليوم.
-وهل ستعود إلى هناك...؟

-لا أدري سوف أنتظر صديقي يتصل بي ويقل لي مع علي أن أفعل هل أعود أم لا...
-يمكنك أن تعود... لا توجد مشكلة.
-كيف أعود بعد الذي حدث اليوم...؟!
-افهم يا فارس هذا الضابط لا يمكنه فعل شيء، لأنه أن قرر أن يأخذ حقه سوف يمرغ سمعة الشرطة في الوحل بعد اعتدائه على شابة وشاب بالضرب في عز النهار أثناء تكاسله عن تأدية عمله...
-ياسمين أنتِ طيبة، نحن هنا في مصر، يعني لا يوجد أحد يأخذ حقه إلا من هم من الجيش والشرطة.
-لا أنا لست منحازة إلى أي فئة من فئات الوطن، ولكن أنا ضد كل متكاسل عن تأدية دوره في هذا المجتمع سواء معلم مستغل ومتكاسل أو ضابط متقاعس متعجرف بمنصبه...
إذا لم يقم كل منا بدوره الصحيح وبأكثر جهد ممكن فلنقل على بلادنا "يلا السلام".
-حقًا لن تتغير بلادنا أن لم نتغير نحن في البداية.
-صحيح يا فارس، يعني على سبيل المثال ذاك الضابط المتقاعس بسببه تكثر الجريمة لأن السارق يدري أن ليس هناك رقيب أو حسيب، ومثلًا المعلم المستغل العاشق للمال وكفى يعلم الأطفال من الصغر على الجشع وعشق المال وفي النهاية يعطيهم الامتحان ويعلمهم الاستسهال والغش وإن لفعلته هذه أثر وخيم في المستقبل.
-بالفعل، كلنا لنا أثر في هذه الدنيا، وبيدنا أن يكون أثرنا خير أو شر في حياة من حولنا.

نظرت لي ياسمين وعلى وجهها رسمت ابتسامة رقيقة وأردفت:
-بما أنك تقول يجب أن نكون ذا أثر جميل في حياة من حولنا، فكما أنت ساعدتني أريد أن أساعدك...
-لا يا ياسمين، لو كل منا يفعل المعروف لأنه يرغب من الأخرين رده له لن يكون معروف، عندما نقوم بعمل الخير ليس من أجل انتظار الشكر أو رده بالمثل ولكن لأخذ الأجر من الرب...
-أوه اخجلتني بكلامك يا فارس ولكن قل لي إلى أين سوف تذهب...؟
-لا أدري، سأذهب لأي مكان، هذا ليس غريب علي من صغري وأنا هكذا...
رفعت ياسمين حاجبيها وأردفت:
-يبدو أن ورائك حكايات كثيرة يا سي فارس...
-يمكنك قول ذلك...
همت ياسمين من مكانها وقالت لي:
-هيا سوف أنزل هنا ولن أدعك بمفردك...
-ولمَ سوف تنزلين هنا...؟
ضربت رأسها بكف يدها ومن ثم قامت بسحبي وأردفت وهي تتحرك وتحركني معها:
-لأني اقطن هنا يا فارس هيا معي...
نزلنا سويًا وبدأنا نمشي في شارع اسكندر ابراهيم ونتنسم هواء إسكندرية العليل في عز أكتوبر...
إلى أن وصلنا لعمارتها فتوقفت وسحبت يدي وقالت لي:

-هيا معي...
نظرت لها باستغراب وقلت لها وأنا أسحب يدي من يدها:
-هيا إلى أين...؟
سحبتني مرة أخرى بلهفة طفولية أردفت:
-كي أعرفك على أبي وأمي وأخي مصطفى الصغير، متأكدة سوف يحبك كثيرًا.
ترددت وتعرق وجهي من القلق وقلت لها:
-لا لا يصح أن أفعل ذلك...
-هيا لا تكن سخيفًا أنت في أي عصر نحن في 2018...
-ولكن...
هنا سحبتني وشعرت أن قدمي تسوقني معها...
صعدنا للدور الثالث في العمارة، فطرقت الباب، فتح أخوها مصطفى، وهنا سمعت صوت أمها متسائلة:
-من الطارق يا مصطفى...!
بصوت طفولي أردف وهو يفتح الباب عن آخره كي يسمح لنا بالدخول:
-أنها ياسمين و...
هنا قد جاءت الأم من المطبخ وهي تقوم بمسح يدها في منشفة صغيرة وكانت تقول متسائلة قبل أن ترانا:
-وأين مفتاح...
لم تكمل كلامها عندما رأتني... شعرت أنها صدمت بمجرد أن رأتني... فحككت رأسي من الإحراج فقلت بصوت خافت:
-اعذريني يا عمة، كان علي فقط توصيل ياسمين وأنا سأذهب الآن و..

سحبتني ياسمين وقالت لي وهي تجعلني مواجه لأمها:
-إلى أين تذهب...؟
ومن ثم لم تدع لي فرصة للرد وقالت لأمها:
-أعرفك يا أمي، هذا فارس، شاب شجاع دافع عني ولم يهمه أن من يضربه من أجلي ضابط... أنه شاب شهم وجدع كما يقولون...
هنا ارتسمت على وجه الأم ابتسامة ارتياح وقالت لي مرحبة بي:
-تفضل يا ولدي عليك أن تستريح قليلًا...
ازداد خجلي واصررت على رغبتي وقلت:
-لا شكرًا...عليّ أن أذهب صدقيني...
-عيب يا ولدي، أنت في بيتنا ضيف ارتح قليلًا وسوف تتناول الغداء معنا، الحاج عادل سوف يأتِ بعد صلاة المغرب بعد قليل...
ومن ثم أشارت لياسمين أن تأتي معها إلى المطبخ...
وتركتني أنا مع مصطفى وقد كساني الخجل من هذا الموقف...
كنت أعلم جيدًا أنها أخذت ياسمين لكي تعرف منها كل ما حدث...
بالفعل بعد 5دقائق فتح الباب، هنا قمت بالنهوض احترامًا وخجًلا في نفس الوقت...
نظرته المتعجبة فور دخوله جعلتني اتصبب عرقًا مع أن الجو لا يسمح بذلك، كنت أدعو الله أن تأتي ياسمين وتجاوب بدلًا عني الأسئلة التي سوف تنهال عليّ الآن...
والحمد لله ما تمنيته قد كان...

هرعت ياسمين مسرعة إلى أبيها معانقة إياه، فقبل أبيها رأسها ولكنه شارد عنها، فهمت نظرته المتسائلة، فأخذت منه دفة الحديث وشرعت في توضيح الأمر...
-انظر يا سي عادل، أعرفك بهذا الشاب الذي له من اسمه نصيب، أنه فارس وهو بالفعل فارس لا يهمه شيء، وإنه لرجل في زمن كثر به الذكور لا الرجال، لقد تعرضت للسرقة وكل من كانوا موجودين اكتفوا بالنظر وكفى، لا أدرى ما جرى للناس، ولكنه كان مميز بل ودافع عني عندما بدأ الضابط الاعتداء عليّ بالضرب... ولم يكتفي بذلك بل اوصلني إلى هنا...
هنا أخذها أبيها بجانبه وهو يهم بالجلوس على أريكة الصالون وهو يأشر لي بالجلوس مرة أخرى...
-أشكرك يا ولدي على موقفك الشهم مع بنتي، ربي يكثر من أمثالك يا ولدي...
كانت أصابع يداي معقودة ببعضهما من شدة التوتر، وكذلك لساني وبصعوبة بالغة خرجت مني تلك الكلمات البسيطة بعد عناء من الهروب من الخجل:
-لا شكر على واجب، ولكن اتسمح لي بالذهاب الآن...
-ولكن إلى أين...؟
-لا أدري...
-أنت من هنا...؟
-أنا مقيم هنا منذ فترة ولكن في الأصل أنا من...
هنا قاطعني الحاج عادل وأردف وهو يربت على فخدي:

-يبدو أن قصتك طويلة يا ولدي، فلتحكِ لي كل شيء بعد الغداء...
هنا سمعنا صوت الأم تنادي بأن الغداء جاهز...
تناولت معهم الغداء، ومزاح العم عادل زال حاجز الحرج تمامًا، وبدأت أشعر بالراحة...
ومن ثم شربنا الشاي بالفلية (نبته تشبه النعناع) ومن ثم وأنا احتسي الشاي وشعوري بالأمان والحنان ودفء الأسرة هنا سقطت دمعة من عيني...
حينها سألني العم عادل برفق ولين:
-ما بك يا ولدي... هل ضايقناك...؟
مسحت دمعي ورسمت ابتسامة على وجهي كي تداري وجعي وقلت:
-لا أبدًا يا عمي، بالعكس أنا سعيد جدًّا لأني اليوم أول مرة أشعر بمعنى الأسرة...
هنا سمعنا صوت أذان العشاء، فقال لي:
-هيا يا فارس، هيا يا مصطفى نصلي العشاء جماعة في المسجد، وعندما نعود تحكِ لي ما يضيق به صدرك.
وفي الصلاة وبمجرد سماع القرآن بدأت في البكاء.
بعد الانتهاء من الصلاة جلسنا بجوار أحد أعمدة المسجد وقال لي العم عادل:
-يبدو أنك شاب نقي وصالح يا ولدي لتأثرك بالقرآن هكذا... ولكن بكائك بحرقة هكذا يدل على وجود شيء بداخلك... احكِ لي يا ولدي.

-لا أدري لماذا...؟ ولكن إذا وقع القرآن على مسامعي دائمًا أبكي...
-ولكن أريدك أن تحكي لي ما بك... لعلي أساعدك يا ولدي.
-لا يا عمي أرجوك، تكفي ضيافتك لي، عليّ أن أرحل الآن.
-ولكن إلى أين...؟
-إلى أي مكان إلى أن يطمئنني صديقي جواد.
-حسنًا إلى أن يطمئنك صديقك جواد أنت ضيفي في بيتي...
-لا يا عمي لا يصح، لا أقبل بهذا.
-هل تريد أن تكون "أجدع" مني يا فارس.
-حشا لله يا عمي، ولكن لا أرغب برد المعروف بمثله...
-الله يقول: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَان إِلا الإِحْسَان} ... هيا يا ولدي وكف عن الجدال...
بعد خروجنا من المسجد طلب مني أن أت معه إلى ورشته الخاصة بالحدادة كي نتكلم سويًا...
هنا طلب لنا اثنان من الشاي وبدأ في سؤالي:
- قل لي يا ولدي ما قصتك...؟
-أنا يتيم، هربت من بيتي في صغري عندما كنت في سن مصطفى ولدك تقريبًا و...
-آخ يا ولدي لا تعطِ التشبيه على ولدي الله يهديك...
-أوه أنا أسف، أقصد عندما كنت في العاشرة من عمري.
-ولمَ هربت يا ولدي...؟
-هربت لأن أبي لم يكن يحبني... كان يقسو عليّ كثيرًا... ويعاملني كالمنبوذ... أو كأني غلطة بالنسبة له.
-وماذا عن أمك...؟

-أنا كنت أحبها كثيرًا لأنها لم تكن تعنفني ولكنها كانت تحب أبي أكثر مني تعطيه الاهتمام أكثر مني... كنت أشعر أني غريب في هذا البيت... كنت منبوذ من الجميع...
-ألم يكن لك أصدقاء...؟
-لم اتجرأ على الخروج والجرأة على تكوين صداقات... كل ما كان يدور في ذهني أني غير مقبول في الداخل من أبي وأمي فما بالك بالغرباء...
-ولكنك قلت لي أن لك صديق اسمه...
-آه، لدي صديق واحد وهو جواد... في اليوم الذي هربت فيه من البيت لم أجد مكان أنام به... ولكن سرعان ما سمعت صوت قادم...
-بسس بسسس.
التفتت مسرعًا لكي أعرف من صاحب الصوت ومن أين هو... ولكن عندما التفتت لم أجد أحد خفت كثيرًا وارتجف جسدي من البرد والرعب... كان يومها السادس عشر من شهر ديسمبر عام2010...
مر بجوار قدمي فجأة قط أسود ذا عيون خضراء مائلة للصفرة، ولكنه كان يداعب ساقي برفق، فنزع ما بداخلي من خوف، قررت اقرفص كي اقترب منه وأمسح بيدي عليه، ومن ثم رأيت القط يدخل ماسورة مياه ضخمة جدًّا موجودة منها العديد في الطريق، فقررت أن أتبعه.
احببت القط لأنه أهداني إلى هذا المكان الذي سوف يأويني على الأقل من المطر...

ولكن في لحظة أغمضت عيني وعندما فتحتها مرة أخرى لم أجد القط، تعجبت من رحيله، كنت أرغب به أنيس لي، ولكن سرعان ما قطع تفكيري صبي في مثل سني يقف أمامي وهو ممسك بسحاب بنطاله و...
نظرت له في ذعر ولكنه سرعان ما سحب سحاب بنطاله مسرعًا وهو يقول لي ضاحكًا:
-لمَ أنت مذعور هكذا... هل أنت جديد في المكان...؟
أومأت برأسي وأنا لا أرغب في الرد عليه، لم أعتد أن أتكلم مع أحد...
ومن ثم دخل الماسورة الكبيرة كي يجلس بجواري... ولكني سرعان ما ابتعدت عنه...
فقال لي:
-لا تقلق مني، وللعلم أنا من كنت أصدر هذا الصوت منذ قليل لذا لا داعٍ للخوف... أعرفك على نفسي أنا جواد... وأنت...؟
تمتمت بصوت خافت من دهشتي لما رأته عيني:
-فارس...
كان الضوء خافت ولكن عندما حاولت أن أرفع نظري له وأحاول أن اتأمل ملامحه تعجبت كثيرًا واستغربت...
كنت أشعر لوهلة أني أمام مرآة...
إنه يشبهني كثيرًا، لا نختلف عن بعضنا في شيء سوى الملابس...
يختلف عني أنه راسم على وجهه الابتسامة النابعة من القوة، وأنا مهزوز خائف كالعادة.
حينها قطع شرودي من هول صدمتي وقال لي:

-أتريد أن تأكل...؟
أومأت له برأسي أي نعم.
فأخذني معه للخارج... وسرنا نمشي في الطرقات سويًا وكان شعور غريب جدًّا ولكنه لذيذ، شعور جعلني أنسى ما مررت به اليوم، وبدأت أشعر أن حياتي القادمة سيكون لها طعم أفضل من حياتي السابقة.
وها نحن دخلنا سوق شعبي وكنا نسير سويًا ونتحدث ومن ثم شعرت أني تعبت من كثرة السير، فقررت الجلوس على الرصيف، فقال لي:
-هل تعبت...؟
-قلت له، أريد العودة لبيتي أريد أن أكل، أريد أن أنام...
قال لي وهو يجلس بجواري:
-أتريد أن تعود لكي تظل منبوذ...
شعرت بأن الحزن غمرني وصرت مطأطئ الرأس...
ولكن سرعان ما رأيت برتقالة أمامي...
رفعت رأسي متعجبًا، ففتح حقيبته التي تشبه الكيس التي يرتديها وقال لي بثقة:
-إن كنت تريد الطعام فمعي الكثير منه...
نظرت له باستغراب وسألته:
-ولكن كيف جرى هذا، كيف...؟ كيف فعلت ذلك...؟
-هل يهمك كيف... أم يهمك أن تأكل...؟
مددت يدي وأخذت البرتقالة وقلت له:
-أن آكل، أريد أن آكل.

ومن ثم اكلت وعدت إلى ذات المكان الذي تقابلنا فيه ونمت نوم عميق وما استيقظت إلا على...
حينها قاطعني العم عادل وقال لي:
-أووووه، يبدو أن قصتك طويلة وتحتاج إلى عقل في كامل تركيزه، فلتكمل لي غدًا يا ولدي، وهيا تعال معي البيت.
-لا يا عمي لا يصح أن أذهب معك و...
-لا بل لا يصح ما تقوله أنت...
-حسنًا أن كنت مُصر يا عمي على رد الجميل لي، يمكنك أن تجعلني أبيت في المحل ويمكنك أن تغلق عليّ.
-ولكن يا بني لا يصح...
-أرجوك يا عمي.
-حسنًا إذا كانت هذه رغبتك يا ولدي، أراك على خير غدًا...
في الصباح أتَ لي في الورشة واندهش مما رأه لقد وجد كل ما بها مرتب فقال لي:
-صباح الخير يا وجه الخير...
ومن ثم سرعان ما طلب الفطور وأكملنا حديثنا...
حينها قال لي عم عادل:
-ها أين توقفنا بالأمس...؟
ولكن في اللحظة دخلت ياسمين المحل وبصوت بشوش:
-استأذنك يا والدي أن يكمل لي أنا الحديث في طريقي للجامعة.
ابتسم لها والدها وأومأ لي بأنه موافق، فقمت من مكاني ولحقت بها وبدأت احكي لها ما قلته لوالدها بالأمس وأكملت لها بعد ما توقفت عنده:

-وتوقفت في حديثي مع والدك عندما قمت بالمبيت في تلك الماسورة الكبيرة في الشارع مع جواد... ولكن ما جعلني استيقظ هو صوت صراخ طفل:
-أنقذوني أنقذوني...
حينها خرجت مسرعًا كي أرى ما يجري، وجدت رجل سحب جواد إلى داخل حافلة "ميني باص"، ها أنا فزعت وما كان بيدي إلا أن أهرول ناحية الطريق وأصرخ كي ينقذنا أحد، ولكني لم أتحرك كثيرًا إلا ووجدت يد ضخمة وضعت على فمي وسحبني إلى داخل السيارة، وعندما التفتَ أحد المارة لما يجري تعجب من مقاومتي لذاك الرجل ولكنه قال بضحكة سمجة واضعًا إياي بجوار امرأة منقبة:
-أنت تدري الأولاد هذه الأيام صعب أن نربيهم وصعب التحكم بهم.
ومن ثم هم بأغلاق الباب وكذلك المار لم يعر الموضوع أهمية وضاع مع ذهابه أملي في الخروج من هذا المأزق...
وعندما بدأت السيارة في التحرك تركتني المرأة المنقبة وفكت قبضتها عني ولكني استغليت هذه الفرصة وقررت فتح الباب والقفز من السيارة.
ها أنا أفتح الباب ولكن سرعان ما سحبتني يد تلك المرأة للداخل وأغلقت الباب بسرعة...
وقاموا الرجال بسبي وقامت هي بضربي...
حينها كرهت نفسي أكثر لأني قررت أن أهرب من حفرة نار إلى وادي الجحيم بنفسي...

لم أكن أفعل شيء سوى البكاء والصراخ، فقامت المرأة بإخراج مطواة وقالت لي بعنف:
-سوف أجعلك تجد بالفعل سببًا للبكاء، وسحبت أذني وأنا أقاومها تلك السيدة الضخمة، ولكنها كانت أقوى وقامت بقطع قطعة من أعلى أذني، لا أتذكر شيء سوى أول ما لامس السكين أذني، يبدو أني من هول الصدمة والخوف أغمى عليّ قبل أن يحدث أي شيء.
رسمت ملامح الأسى على وجه ياسمين ومن ثم قالت لي:
-آه يا فارس يبدو أنك مررت بالكثير من المعاناة في طفولتك.
قلت لها بابتسامة نابعة من التحسر على حالي وحظي في الدنيا:
-يبدو... ليس يبدو يا ياسمين بل بالتأكيد أنا عانيت في حياتي، ولكن حمدًا للرب على كل حال.
نظرت لي محاولة تغيير دفة الحديث الذي أخذ مجرى الحزن مما فات... وأردفت لي:
-أتصدق لفتت انتباهي أذنك عندما رأيتك أول مرة، ولكن أتدري أنها علامة مميزة ومع وسامتك لم تقل منك أبدًا.
ابتسمت بسبب هذا الإطراء، وقمنا بركوب الحافلة وأكملنا حديثنا:
-سأكمل لكِ يا ياسمين ما حدث بعدما قطعت المرأة جزءًا من أذني...
ضحكت ياسمين وقالت لي:
-لقد أخذتها من على طرف لساني يا فارس، هيا أكمل...

-استيقظت وجدت نفسي مع أطفال كثر في غرفة قذرة ولكن لم اتكلم مع أحد سوى جواد الذي رأيته مصاب في نفس الأذن التي أصيبت بها، تعجبت لدرجة التشابه بيننا ولكن ما جعلني اتغاضى عن دهشتي أني رأيت الثلاث أطفال الآخرين قد جرحوا في وجوههم كذلك...

وسرعان ما سمعنا صوت أقدام قادمة تجاه الغرفة، تلك الخطوات جعلت قلبي يتفتت من شدة الخوف، وبعد أن فتح الباب رأيت ذاك الرجل الضخم الذي قام باختطافي، فما فعلت شيء سوى الشروع في البكاء، ولكنه قطع بكائي صارخًا:

-هل سوف تقضيها بكاء يا "روح أمك"... هيا جميعكم أمامي كي يعرف كل منكم عمله.

أول من تقدم كان جواد وكان واثق الخطى لم يكن خائفًا أبدًا وكأنه تأقلم مع وضعه الحالي وقال بثقة ورجولة غير متلائمة على صغر سنه:

-على العموم، في أي عمل ترغبون أن أعمل به سأقوم به أنا وفارس سويًا...

نظر له الرجل باستغراب لطريقة كلامه وأردف:

-ومن هو فارس يا روح أمك أنت الآخر...

أشر عليّ جواد فقام الرجل بسحبه من قفاه وقال بغضب:

-هي ناقصة جنان أو بضع أطفال يشترطون... هيا جميعكم أمامي...

فجأة وصلنا وكنا أمام امرأة سمينة يبدو أنها كانت تلك المرأة المنقبة، ولكنها الآن غير منقبة، بل لا تمت للإسلام بصلة، أنها لا تعلم عن الدين شيئًا يبدو أنها عاهرة...

كانت ترتدي ملابس بيت كاشفة أكثر ما هي ساترة، وكان في الغرفة رجلان وكان عدد الأطفال في الغرفة 10 بما فيهم أنا، وأعمارنا تتراوح بين 8 إلى 15ولكن يبدو منهم معتادين على الوضع، من ثم قامت بتوزيع كل مجموعة منا لمنطقة ما لبيع المناديل ومسح السيارات في الظاهر ولكن الدور الكامن هو السرقة أثناء التسول...

خرجت أنا وجواد وصبي آخر عمره 13عامًا كي يعلمنا الشروط، وأعطانا تحذير ألا نفكر في الهرب لأن هناك من يراقبنا...

لم أكن أفعل شيء سوى أني الحق بجواد وأراه وهو يتسول ويتوسل للمارة وفي نفس الوقت ينشلهم ببراعة، كنت مصدوم مما يفعله، ولكني لم أفعل، وليس بيدي حيلة للهرب فكنت اتبعه وفي المساء عندما انتهينا من العمل، ربت الرجل الذي قام باختطافي بالأمس على كتفي وهو يقول للمعلمة:

-لن تصدقي يا معلمة، إن هذا الفتى الذي كنا نظن أن ليس منه رجاء هو أفضل من أتى بإيراد اليوم... هذا الفتى معجزة.

كنت متعجبًا، لمَ ينسب لي الفضل فقط ولا ينسب الفضل لجواد ولكن جواد لم يكترث ونظر لي وابتسم، قطع استعجابي صوت المعلمة وهي تنادي علي وتأشر لي بأصبعها كي أقدم إليها:

-تعال هنا يا... ها ما اسمك...؟

اقتربت منها وأنا ارتعش وأحاول أن أفك شفتاي اللتان التصقتا خوفًا منها...:

-ف ... ف... فاا... فا

ضحكت ضحكة تليق بامرأة عاهرة وقالت متهكمة:

-"أجمد" يا فتى، كن رجلًا...
ومن ثم نظرت لي نظرة لا تليق أن تنظرها لطفل وقالت بتهكم:
-ها ألست رجلًا...؟
لم أستطع الرد عليا ونظرت أرضًا، ومن ثم رد ذاك الرجل الضخم الذي كان يدعى صبحي وقال:
-بلى أنه سيكون من رجالنا فيما بعد يا معلمة سماح، واسمه فارس.
نظرت لي وهي تداعب شعري الناعم وتقول لي:
-إنك داهية وأنا ظننت أن لا نفع منك...
تمتمت بصوت هادئ وقلت لها:
-جواد من جمع تلك الأشياء...
نظرت متعجبة لصبحي وقالت له:
-أين جواد ذا...
رد جواد بثقة وقال:
-أنا جواد يا معلمة... خدامك... أنا وفارس واحد...
نظرت المعلمة سماح بتعجب وقالت:
-بالفعل واحد...
ومن ثم قالت بتهكم:
-لا تفرق فارس من جواد هذا راكب وهذا مركوب.

***

مرت السنين، واستمر وضعي على ما هو عليه، أنا وجواد مع بعضنا البعض خطوة بخطوة، أنا أشتت انتباه الناس وجواد يسرقهم، إلى أن صار عمري 18عامًا تقريبًا.

بدأت المعلمة سماح في التقرب مني صراحة، وتلميحاتها صارت بمنتهى الجرأة ولكني عفت نفسي عنها، لا أقدر أن أفعل ذلك...
لا أقدر على التفكير في القيام بتلك الرذيلة...
تقول لي متعجبة:
-يعني السرقة حلال والزنا حرام...؟
لم أرد عليها وقررت أن أخرج من الغرفة...
فندت عليّ قبل أن أهم بالخروج...
ولكني لم أهتم لمناداتها... وقمت بفتح الباب ولكنها حينها همت كي تلحق بي وأغلقت الباب وسألتني وهي تقيدني من الحركة بسبب جسمها الضخم الملتصق بجسدي الذي لا يزال صغير مقارنة بضخامتها، إنها طويلة القامة وسمينة جدًّا ولكنها جميلة ولكني اشمئز منها، ها أنا أريد إبعادها عني، أنا أكره شعوري بأنفاسها على وجهي...
قالت لي وهي تحاول لمسي:
-ما بك يا فارس لمَ أنت متقلب المزاج هكذا...؟ صرت لا أفهمك...! لمَ تغيرت علي...؟ أم عندما تأكدت أني أحبك قررت أن تستغل حبي...!
-ابتعدي عني...
وقمت بدفعها ورحلت... فلم يهمها ما فعلته بها وقالت لي وهي تقف تستند على الباب:
-مسيرك تأتِ لي من أجل المزاج...

ذهبت لجواد وبدأت أشكي له ما أمر به من محاولات تحرش من هذه المرأة، ولكني تفاجأت من ردة فعل جواد، رد عليّ وهو ينفث دخان سيجارته وقال بثقة:
-اعطِ لها ما تريده منك وخذ منها مقابل، الست تريدك يا "جدع"...
-استغفر ربك يا جواد، أنا أقل لك ذلك كي نقرر سويًا في خطة للرحيل من هنا، لقد سأمت من كوننا سارقان، والأدهى أنها الآن تريدني أن أرتكب فاحشة كبيرة معها تلك العاهرة، هذه المرأة لا تخاف الله تسرق الأطفال من أهلهم وتعلمهم السرقة، والبنات بمجرد بلوغهن تجعلهن يعملن في الدعارة، إنها شيطان لعين...
-إن بني أدم ألعن من بني إبليس يا صديقي...
لم أفهم مقصده ومن ثم قلت له بتوتر وبهمس:
-هيا، قل لي فكرة للهروب، لا أستطيع أن أستمر في هذا الجحيم أكثر من ذلك، قلبي يؤلمني من معصية ربي...
-أنت مثلك مثل كل بني أدم خطاء وعاصي...
-نحن نعصي الله ولكن نتوب ولا نكمل في المعصية...
هم جواد بالخروج من الغرفة وقال لي:
-ارتح أنت ولا تشغل بالك، وأنا سوف أدبر لك الأمر...
ولكنه خرج ولم يعد، تعجبت إلى أين ذهب الآن فقررت أن أخرج في البحث عنه، وأثناء مروري في ممر البيت سمعت صوت قادم من غرفة المعلمة سماح، إنه صوتها تهمس باسمي ولكن كيف...؟

قررت أن أنظر من فتحة المفتاح في الباب فرأيت جواد هو من...
آه.... يا إلهي، لذلك نظراتها غريبة وقالت عني متقلب المزاج...
ولكن لمَ يفعل جواد ذلك...؟ لمَ لم يقل لي...!
قررت أن أدخل عليهم ولكن ما جدوى ذلك...! لن يفيد أن يعرف الناس أنها زانية لأنها عاهرة قوادة في الأساس.
قررت أن أنتظر في غرفتي إلى أن أتَ جواد الغرفة وهو يترنح وحسن المزاج، ولكن عندما رأى عيني يتطاير الغضب منها قال لي باستغراب:
-ماذا بك...؟ لمَ تنظر لي هكذا...؟
-انقضضت عليه ممسكًا إياه من ياقته متسائلًا وعيناي تزرفان الدمع:
-لمَ فعلت هذا يا جواد...؟ لمَ لوثت نفسك في الوحل... لمَ فعلت ذلك وانتحلت اسمي لمَ...؟
قام جواد بإبعاد يدي عنه يدي بلامبالاة وقال:
-وهل أنت تشعر بالضيق من فعلتي ولا من انتهاك اسمك...؟!
لم أرغب في النظر له واعطيته ظهري، لم أعد قادرًا على مواجهة نظراته القوية التي لم تشعر بالخزي أبدًا... ومن ثم قلت له:
-لا تفرق لا أريدك أن تأخذ ذنب هذا الفعل الشنيع ولا أريدك أن تشركني فيه كذلك...
رد جواد ببرود وهو يهم بإشعال سيجارته:

-هي بالفعل لا تفرق، أنا وأنت واحد، نشبه بعض كثيرًا لا يوجد فرق أن قلت فارس بدلًا من جواد، وعلى العموم أنا فعلت ذلك من أجلك، فعلت ذلك نيابة عنك كي استغل المعلمة وكي أكمل الخطة، التي سوف نبدأ في تنفيذها بعد قليل...
التفتت له غير مصدق وسألته:
-حقًا، فعلت هذا من أجلي، وبهذه السرعة فكرت كيف نهرب يا جواد...!
نفث دخان سيجارته وقال لي بثقته المعتادة:
-لا داعٍ للحديث الآن، بعد قليل سوف تفهم كل شيء...
بعد قليل وجدته خرج من الغرفة، ومن ثم عاد لي وهو يحمل على ظهره حقيبة ظهر، سألته باستغراب:
-ما تلك الحقيبة يا...
قال لي بغضب هامس وهي يضغط على أسنانه:
-لا أريد كلام كثير، اتبعني هيا...
ولكن على الباب سأل صبحي جواد:
-إلى أين العزم إن شاء الله...! أنا أعرف أنك مجتهد في عملك ولكن ليس لهذه الدرجة...
ولكن لم يكمل صبحي كلامه إلا وقد قام جواد برش منوم في وجهه ومن ثم نظر لي هامسًا مؤشرًا لي أن أتبعه، وبدأنا في الجري، وأنا أسأله وأنا أحاول أن أتنفس:
-إلى أين يا جواد... وماذا حدث افهمني...!
لم ينظر لي حتى وقال لي:
-عندما نصل سوف أشرح لك كل شيء.

هرولنا إلى أن وصلنا محطة القطار وتوجهنا إلى الإسكندرية، كان جواد متمسك بالحقيبة بقوة وهذا أثار حيرتي فسألته:
-ماذا تحتوي هذه الحقيبة...؟
لم يكترث جواد لسؤالي واجابني بلامبالاة:
-لا يمكنني أن أقل لك الآن... بمجرد وصولنا سوف أفهمك كل شيء.

وها نحن وصلنا... ولكنه قال لي سوف نفترق من محطة سيدي جابر وسوف نعود إليها السادسة مساءًا، كل منا سوف يذهب في طريق لكي نجد مكان نعيش فيه، وعلى الموعد المحدد كل منا يقل للآخر ما توصل إليه...
سألتني حينها ياسمين وقالت لي متعجبة:
-وهل وثقت به...؟ ألم تكن تظن أنه يمكن أن يرحل ولا يعود إليك من جديد...!
-بالعكس يا ياسمين أنا أثق في جواد وثقتي به فاقت كل الحدود، إذا كان يريد تركي لكان تركني منذ البداية في بيت المعلمة سماح وأنقذ نفسه وكفى، بل أن جواد دائمًا يفكر بي قبل أي شيء، جواد يكملني، جواد أرسله الله لي كي يكون لي السند والأب والأخ، يكون لي العوض في هذه الدنيا.
دعني أكمل لكِ، لأني أن بدأت أحكي لكِ على مواقف جواد معي لن أتوقف عن مدحه، بالفعل ذهب كل منا في طريق وبالفعل رجعت إلى المحطة الساعة السادسة كنت قلق ألا أجده لأني لن أعرف كيف أصل إليه لأن ليس معنا هواتف، جاء في بالي أن أترك المكان وأبدأ في البحث عنه، ولكن بمجرد أن

التفتت مغيرًا وجهتي، وجدت يد على كتفي، كان هو، جواد، بمجرد أن رأيته عانقته، هو الأمان لي والمؤنس، قال لي وهو يخرجني من حضنه ويربت على كتفي:
-ها، هل وصلت لمكان...؟
-لا، لم أصل لشيء، كلهم رافضين لصغر سني، كلهم لا يثقوا أني قادر على الدفع وليس من الأمان أن يدعوا شاب عازب في عمارتهم... كلها عام أو عامين والشك يتسلط عليّ أكثر.
قام بإخراج علبة السجائر الخاصة به وأشعل سيجارته وبدأ ينفث سيجارته وقال بثقة لي وهو يتلفت وأشار لي بيده:
-حسنًا، تعال معي...
لحقته وأنا لا أدري وأقول له متعجبًا:
-ولكن إلى أين...؟
-سوف تفهم كل شيء الآن... هيا معي.
وصلنا إلى قهوة شعبي في سيدي جابر، سألته هامسًا بسؤال غبي:
-هل سنعيش هنا...؟
نظر لي متعجبًا من مستوى ذكائي ولم يرد عليّ ومن ثم نادى وقال:
-السلام عليكم يا معلمة قدرية...
نظرت وجدت امرأة في الخمسين من عمرها، ولكن القوة برزت من ثبات خطواتها وصوتها وتمكنها بين الرجال، كانت ترتدي عباءة سوداء وكانت تغطي شعرها بإيشارب أسود وكانت مشمرة عن ساعديها، كاشفة عن ذهبها وقالت بصوت قوي مجلجل وهي تقترب لطاولة ما وأشارت لنا بالقدوم:

-تعال يا جواد...
تقدم جواد للطاولة وجلس فأنا اتبعته...
قال لها بثقة وهو يقوم برمي عقب سيجارته ونفث دخان سيجارته جانبًا بطريقة لا تتناسب مع سنه ذا 18 عام فقط ولكن شخصيته تعكس رجولته ورجاحة عقله:
-تمام يا معلمة نقول أمين على المكان، ولكن الشقة سيعيش بها معي أخي فارس...
قالت له المعلمة بلامبالاة وهي تخبط بكف يدها على الطاولة:
-يعيش معك أخوك، أبوك، عشرة من أصدقائك لا يهمني، كل ما يهمني التأمين والإيجار، وأنت حر...
-وأنا جاهز يا معلمة، والآن، لأني أريد أن أرتاح من السفر...
حينها لم أفهم شيء كنت أنظر له مستغربًا وهمست له:
-كيف سوف تأتِ لها بكل هذا المال...؟
همس لي وهو يكز على أسنانه:
-اسكت الآن وسوف أشرح لك كل شيء لاحقًا.
قلت له وبدأت أشعر بالحيرة:
-أليس لديك سوى هذه الكلمة، هل تريدني أن أتبعك من دون أن أكون على علم بأي شيء...؟
-لم يتبقى إلا القليل، هيا معي...
وبالفعل أخذتنا تلك المعلمة قدرية، إن لديها صحة وقوة مثل شابة في العشرينات بالفعل، إنها ليست قبيحة الشكل ولكنها سليطة اللسان، وصلنا معها إلى عمارة تتكون من خمسة أدوار فقط، كانت عمارة قديمة ودخلنا معها مدخل العمارة التي هي للبيت القديم أقرب، وفتحت لنا باب شقة في الدور الأرضي،

الشقة كانت تتكون من غرفة واحدة وحمام صغير ومطبخ صغير وصالة، كانت الصالة تحتوي على أريكة خشبية قديمة تبدو أنها من أيام الاحتلال، وتوجد طاولة دائرية في المنتصف، وفي الغرفة سرير متوسط الحجم وكفى، شقة فارغة تمامًا لا يوجد بها شيء سوى ما قلته...
جلسنا على الطاولة ودفع جواد 10000جنية تأمين وإيجار مقدم 1000جنية تعجبت كيف يدفع إيجار 1000جنية في هذه الخرابة ولكنه مسك يدي كي لا أنطق ومن ثم همت المعلمة بالخروج وقبل أن تخرج وقفت عند الباب ونظرت لجواد نظرة لم أرتح لمغزاها وقالت:
-مبروك عليك يا جواد... مع أنك جعلتني أخسر الكثير ولكن هذا طبعي أحب الخير، وأحب أن أسند الغير...
وقف جواد واقترب من الباب وقال لها وهو يبتسم:
-كلك ذوق يا معلمة، وأنا خدامك من اليوم.
ربتت على صدره وقالت:
-تسلم يا ذوق.
ورحلت، فهم جواد بقفل الباب وراءها وهو يتنفس الصعداء، ولكني لم أدعه يكمل تنفسه حتى، إلا وقمت من مكاني كي أسأله:
-من أين أتيت بالمال يا جواد...؟! وما هذه الخرابة التي نحن بها الآن، لا تستحق كل هذا المال...
نظر لي متسائلًا:
-أهذه شكرًا التي يجب أن تقولها لي يا فارس...؟
-شكرًا على ماذا...؟ أنا لا أفهم شيء...

-من دون هذه الشقة سوف نكون في الشارع... أتريد أن تكون في الشارع يا فارس... ها قل لي...؟
تمتمت وقلت...:
-ولكن ا...
قاطعني وقال بثقة:
-لا تكمل كلامك سوف أريحك وأحكي لك كل شيء من البداية للنهاية...
لقد استغللت المعلمة سماح واعطيتها مرادها كي أستطيع في النهاية بعد ما تعاطت المخدرات أن تقول لي رقم خزنتها السري، ومن ثم خدرتها، وأخذت مالها أن المبلغ ليس كبير 100 ألف فقط بالرغم أني كنت أظن أن معها الكثير في الخزنة...
قررت ترك القاهرة والرحيل عن إمبابة تمامًا كي لا يصلوا لنا رجالها، لأن العيون سوف تسلط علينا نحن فقط لأننا من هربنا وأكيد بدئوا البحث عنا من الآن، فقررت السفر للإسكندرية حيث لا يعرفنا أحد...
قررت البحث عن مكان ولا يوجد أفضل من القهوة حيث يوجد ناس مختلفة وأكيد أحد منهم سوف يوصلني لحل...
واحمد ربك على هذه الخرابة لألا يوجد أحد يسكن من هم أمثالنا لا في عمرنا ولا أكبر منا، لا يوجد أحد يأتمن لعازب يسكن في عمارته...
وهذه المرأة بمجرد النظر لها علمت أنها مشبوهة وسكتها "بطالة"، قلت هذه التي سوف تأتي لي بحل، لعبت عليها بكلمتين، أنت تعرف مدى تأثيري، وهذه الشقة أنا أعرف جيدًا

هي كانت تؤجرها بالليلة للقمار أو للعشاق، ولكن الحكومة هذه الأيام تشد حيلها، فصارت تخاف أن تؤجرها للعشاق أو للقمار، فنحن فرصة لها من السماء، بدل من غلقها تمامًا، هي قالت نصف العمى ولا العمى كله...

نظرت له باستغراب:

-يعني أنت لم يكفيك فعلتك الشنيعة التي فعلت، بل وسرقت...

قاطعني بضحكة تهكمية:

-حلوة سرقت، على أساس من صغري كنت ماذا أفعل...! كنت أصلي، هذا جزاءها، هي من علمتني، وطباخ السم يجب أن يذقه...

وإن جئت للحق، هذا مالي وتعبي وشقائي، وأن مالي الذي جمعته أكثر من هذا، ولكن هيا...

وقفت أمامه وسألته وأنا أنظر في عينيه:

-هيا..! هيا ماذا...؟ أنت كيف بارد الأعصاب هكذا...؟ لمَ لا ترغب أن تبدأ بداية جديدة فيها رضى الله...؟

-إن لم تعجبك الحياة معي، فلترحل يا فارس، وهيا اخرج نام في الشارع، دع ربك يرعاك ويدفئك في عز الصقيع...

زاد من حدة غضبه ورزع الطاولة وقال:

-هيا اخرج من هنا ودع مالي الحرام واطلب من ربك يطعمك ويسقيك...

نظرت له بدهشة من تجرؤه على ربه وسألته وأنا أمسك ذراعه كي ينظر لي:

-كيف تتجرأ وتقول هكذا على ربنا...

ترك يدي غاضبًا وأردف:

-ربك وحدك... سوف أترك البيت حالًا وأنت فكر، واختار، رضى ربك أم الحياة معي...
لحقت به وقلت له:
-دعنا نبدأ سويًا من الصفر بداية يحبها الله كي يرضى عنا...
-ارضيه أنت فقط إن كنت ترغب، ولكنه لن يرضى عني لأني لا أريد...
أنت حر بيدك أن تختار الواقع أم تمشي وراء وهمك...
وغلق الباب بقوة ورحل.
قررت أنا أيضًا أن أرحل، قررت ألا أكمل في الحرام وأن لا أكل مال حرام، قررت أن أرحل وقلت إن الرب لن يضيعني أبدًا...
ولكن بمجرد أن خرجت من البيت بدأ المطر ينهمر بقوة وما أدراك ما مطر الإسكندرية شتاءً، كنت حينها في أول يناير من عام 2018 وحبات المطر كانت تسقط بقوة أرضًا كانت حبات المطرة مثلجة من شدة الصقيع، نظرت للسماء وقلت للرب:
-يا رب ما معنى المطر الآن...؟ هل المطر يعني سخطك عليّ وعدم رضاك عني...؟ أم أن هذه علامة أن أظل في هذا البيت...؟ إلهي هل تسمعني...؟ اعطي لي إشارة...؟
ساعدني...! يا رب أن كنت راضٍ عني وسوف تساعدني أن رحلت عن جواد اوقف المطر... سوف أفهم أنك موجود وأنك سوف تعينيني على القادم... انتظرت 10دقائق على أمل أن يتوقف المطر وأرحل من هنا... ولكن المطر لم يتوقف بل زاد أكثر وأكثر... حينها شعرت بأسى وقلت لنفسي:

-هذا معناه شيئين أنك يا رب غير راضي عني، أو أنك غير موجود فلم تسمعني ولم تساعدني...
قطع كلامي صوت ياسمين وهيا توقف سائق الحافلة:
-على جنب لو سمحت.
ومن ثم نزلنا من الحافلة وهي تنظر لي وتضحك:
-آخ منك يا فارس ومن حديثك الشيق لم انتبه للطريق بسبب كلامك.
-آسف يا ياسمين لم أقصد ولكن أنا لا أعرف شوارع الإسكندرية جيدًا بعد ولا أعلم ما هو طريق جامعتك.
ابتسمت وقالت لي وهي تسحبني من يدي كي نجلس على سور كورنيش البحر وأردفت بلهفة وهي تحرك ساقها بطفولية:
-ولا يهمك يا فارس، تأخري قليلًا عن الجامعة لا يضر، هيا أكمل لي ما الذي حدث بعد ذلك.
سرحت في جمال عيونها ومن ثم ابتسمت لها واستعد تركيزي وأكملت كلامي:
-حينها رأيت جواد قادم من آخر الشارع ومعه كيس كبير ونظر لي وابتسم وعندما اقترب قال لي:
-ها ماذا قررت تختار الواقع أم الوهم...؟
لم اجبه وطأطأت راسي أرضًا، فأخذني من يدي وقال لي وهو يدخل مدخل العمارة وفتح باب الشقة ونظر لي كي اتبعه وقال:
-تعال، لقد عملت حسابك وجلبت لك طعام معي... تعال.
سحبتني قدمي تجاهه... وبدأت آكل على الطاولة وأنا شارد أسأل نفسي...:

-لمَ ربي تركني وحدي...؟ لمَ جعلني احتاج لغيره لا هو...؟ أليس هو المعطي الكريم... أليس هو الأمان لعباده... أليس هو الرحيم... أين هو... لمَ تركني...؟

قطع شرودي جواد وقال لي وهو يضحك:

-لمَ أنت حزين هكذا لم أكن أظن أن الطعام بهذا السوء...

مضغت بضع لقيمات وقلت له:

-أنا فقط متعب أحتاج أن أنام...

نمت واستيقظت مريض بسبب مطر الأمس...

سألت ربي:

-لمَ أمرضتني...؟ أنا كنت أريد أن أظل بعافيتي كي أبحث عن عمل، على الأقل أرضى بالحرام فترة إلى أن أتكمن من الاعتماد على الحلال...! لمَ لا تعينيني... لمَ!

عندما استيقظت رأيت نفسي بملابس غير الملابس، ومغطى ببطانية، وأنا أتذكر أنه لم يكن هناك بطانية من الأساس...

فجأة سمعت باب الشقة يغلق، فبدأت في السعال، فجاءني صوت جواد متسائلًا:

-هل استيقظت يا فارس...؟

جاهدت نفسي على الكلام وقلت له:

-استيقظت منذ قليل...

قال لي بصوت عالٍ:

-تعال هيا من أجل أن ترم عظمك بالفطور...

لم أرغب أن آكل كان بداخلي شعور ندم وحزن بأن الرب غير راضٍ عني، يوجد شيء ينغص علي، لا أدري كنهه...

قلت لجواد بصوت متعب:

-افطر أنت يا جواد أنا لا أريد...
بعد دقيقتين رأيته جاء لي الغرفة وفتح الأكياس وفرشها على السرير ووضع عليها الفطور وبدأ يجعلني آكل...
كنت أنظر له وأحمد الرب على جواد وأقول له:
-أحمدك يا ربي على نعمة جواد في حياتي، لن أجد أحد يحبني في الحياة مثله، أكنت تريدني لا أرحل من هنا لأنك تحبني أيضًا يا الله... أحاول أن أفهم حكمتك ولكن لا أدري...
قطع شرودي صوت جواد، ولكني لم اسمع جيدًا ما قاله لي، فقلت له وأنا أمسك يده:
-أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي... أصدقاء وأخوة إلى الأبد.
نظر لي ورسمت ضحكة على جانب فمه وقال لي:
-إلى آخر يوم في حياتك يا فارس...
فطرت وقال لي أرتاح أنت اليوم، فقلت له بندم:
-لا أريد أن ارتاح، أريد أن أبحث عن عمل يا جواد.
ربت على كتفي وقال لي:
-نم وارتح أنت اليوم وفي المساء سوف أتِ لك وأكون قد وصلت لحل في موضوع العمل... ولا تنسَ تأخذ الدواء، ها هو بجوارك.

*****

في المساء جاء لي جواد ومعه الغداء وقال لي:
-المعلمة قدرية تحتاجنا معها للعمل في القهوة أنت سوف تعمل صباحًا وأنا سوف أعمل مساءًا.
-ولكن لمَ ليس معًا...؟

-هذا رأيها يا فارس، إن لم يعجبك العمل يمكنك أن تبحث عن غيره، بالنسبة لي أنا موافق على عملي.
قاطعته مستغربًا...:
-ماذا تقول يا جواد...! أقول لك أريدك معي في نفس الوقت تقول لي أن أبحث عن عمل في مكان آخر مختلف... حسنًا يا سيدي موافق أي شيء إلى أن نجد عمل سويًا...
تناولنا الغداء وقبل أن يتركني قال لي:
-سوف أذهب للعمل، تناول دواءك عندما تستيقظ.
قلت له بصوت شبه عال مجاهدًا نفسي على الكلام كي يسمعني وهو عند الباب:
-حسنًا سوف ارتاح الآن، كي أستطيع الذهاب للعمل صباحًا.
جاءني صوته وهو يغلق باب الشقة:
-إن استطعت فلتفعل.

*****

في الصباح ذهبت وباشرت عملي بهدوء أخذ الأوامر وأنفذ فقط، بعد قليل جاءتني المعلمة وسألتني:
-لمَ أنت هادئ، أيوجد شيء ضايقك...!
سعلت بهدوء ومن ثم قلت لها:
-لا يوجد شيء يا معلمة، ولكني متعب قليلًا...

*****

تمر الأيام والمعلمة اعتادت على طبعي الهادئ ولم تعد تستغرب منه، وصرنا لا نتقابل أنا وجواد إلا في الصباح عندما يوقظني ونفطر سويًا، وفي المساء عندما اوقظه ونتناول الغداء سويًا...

*****

بعد مرور شهرين من وجودنا في الإسكندرية، بدأت المعلمة في بناء دور سادس للعمارة، فقررنا أن نساعد مع العمال ولكن بأجر، كنت أحمل الطوب وأرفعه وبعدها يتبعني جواد، وفي كل مرة أحمل كانت المعلمة تنظر لي، كنت أعلم جيدًا أنها نظرات إعجاب، ولكن كيف تفكر بذلك وأنا في عمر أولادها إن كان لها أولاد من الأساس.

*****

تمر الأيام وأكملنا الشقة، فصار عملي في الصباح في البناء أنا وجواد وفي المساء يذهب جواد بضع ساعات في القهوة كي يساعد المعلمة.

بعد أن أكملنا البناء، بدأت المعلمة ترسلنا مع عمال أخرين للبناء، فصار عملي الجديد في البناء...

قاطعتني ياسمين وقالت لي:

-بالفعل وأنا قلت ما سبب بروز عضلات جسدك...

-آه يا ياسمين أنه لعمل شاق، ولكن كنت سعيد لأنه حلال، عندما كنت أعود ومعي طعام اشتريته بالمال الذي تعبت به أشعر أني مرتاح لأني أعلم مصدر هذا المال وأن الله راضٍ عنه، ما زلت أفكر به في كل لحظة في حياتي، أبحث عنه في كل ما أفعله، يوجد شيء رابطني به رغم كل شيء...

-ونعم بالله يا فارس أكمل لي...

-لم تستمر راحتي يا ياسمين، إلا في يوم رأيت جواد يأخذ المال الذي كان يخبئه وخارج من البيت، قلت له باستغراب:

-إلى أين أنت ذاهب بالمال يا جواد...؟

-لا شأن لك، هذا مال حرام كما تقول... فلا شأن لك به أفعل به ما أشاء...
وحيرتي لم تدم كثيرًا لأني صرت أرى جواد كل يوم معه مال كثير.
فقررت أن أسأله:
-جواد من أين لك بكل هذا المال...؟ قل لي الحقيقة.
-يا سيدي مالي وقمت بتشغيله ما المشكلة!
-تشغيله في ماذا...؟ أتريد أن يزيد الحرام في جيبك...؟
-أنت لك طريقك وأنا لي طريقي... لم أقل لك اعطيني مالك وأزيده لك.
-ولكن كيف...؟!
-لا يهم كيف، ولكن أن كنت ترغب أن يكون معك مال مثلي أنا سوف أساعدك.
قمت من على السرير وقلت له:
-لا أريد أن أعطيك قبل أن تفهمني سكة هذه الأموال في البداية.
قام بربط حزمة المال وضعها في كيس ثم في الحقيبة وقام بغلقها وهو يقول لي:
-لا لن أقل لك، لأن الموضوع يخص كبار، أن كنت تريد الزيادة أنا رقبتي لك سدادة، ولكن كثرة كلام لا أريد لأن الكلام في هذا الموضوع يضيع فيه رقاب.
نظرت له وأنا أسحب منه الحقيبة وقلت له:
-ولمَ دخلت في هذا الطريق الذي يضيع فيه الرقاب يا جواد...؟ ألا تريد أن نعيش في أمان...؟

سحب الحقيبة من يدي ووقف وقال:
-العيش في أمان لا يدعك تخطي خطوة للأمام، الذي يخاف يظل طول عمره بجانب الحائط إلى أن يسقط عليه ولا أحد يدري عنه.
-وهل يعجبك أن تتبع طريق الخطر ولا تضمن أتعيش غدًا أم لا...؟
-ولمَ يهمني أن أفكر في العيش غدًا أم لا ما دام أنا أعيش سعيد ومعي مال الآن...؟
-هل كل شيء بالنسبة لك المال وكفى...؟
-لأن المال بالفعل كل شيء... قل لي ما هو المهم سوى المال...؟
كنت سوف أنطق ولكنه سرعان ما اسكتني... وقال:
-لا تحاول اقناعي بكلام غير واقعي أنا لا يقنعني شيء سوى الواقع وكفى... إن المال هو سيد العالم.
-ولكن يقولون إن المال عبد جيد وسيد سيء لا تجعله يتحكم بك.
هم بالخروج من الغرفة وهو يتكلم بغضب:
-من قال ذلك أحمق، من معه المال هو السيد ومن ليس لديه مال هو العبد، نحن عبيد من دون المال.
ومن ثم التفت لي وهو يقف عند باب الشقة وقال:
-لا تتبع هذه الحكم الزائفة يا صديقي كي لا تضيع حياتك هباء بدون فائدة، صدقني من يقولون هذه النصائح هم لا يأخذوا بها في الواقع كله كلام على ورق، ولا يتأثر بها إلا من هو أحمق.
ومن ثم رحل وتركني شارد أفكر، من منا هو الصحيح...!

تمر الشهور وكل شهر كانت المعلمة تأتي لجواد وتعطيه مال ولا تأخذ منه الإيجار... علمت حينها أن المعلمة هي أيضًا في طريق جواد.
آخر شهرين كان الظرف به مال أقل فسألها جواد:
-لمَ المال أقل هذه المرة.
-السوق نائم هذه الأيام يا جواد على عينك.
نظر لها وابتسم جواد وضحك بتهكم:
-على عيني أن الوضع كما هو عليه يا معلمة، لا يغركم صغر سني.
حاولت أن تهدأ من جواد وقالت له:
-اهدأ يا جواد وكلها فترة وسوف يعود الوضع كما كان وأفضل، لا تدع الشيطان يدخل بينا...
-أي شيطان يدخل بينا...؟ لا يوجد أي شيطان بيننا، وإن كنتِ تخافي من الشياطين وبطشها فأنا شيطان فأحذرِ من اللعب مع الشيطان.

*****

رحلت المعلمة، فخرجت أنا من الغرفة وسألته:
-ماذا كان يحدث ها هنا...؟
اخرج سيجارة وبدأ ينفث بها بغضب وقال لي:
-لا تشغل بالك، ولكن استعد للرحيل من هنا... الليلة.
استغربت وقلت له:
-كيف...؟ ولماذا الآن...؟ بعد أن استقرينا...! ووجدنا عمل...! ومالك وعملك... ماذا سوف تفعل...!
نفث دخان سيجارته وقال:

-لا تشغل بالك يا فارس قلت لك... كل ما عليك أن تستعد وأنا سوف أتصرف لا تقلق.

*****

الساعة الثالثة فجرًا جاء لي جواد وأيقظني:

-هيا فلنذهب، الآن.

كنت غير مستوعب ماذا يقول لي فقام بسحبي كي أقوم وقال بغضب:

-هيا يا فارس، وارحمني من كثرة الاسئلة.

وبالفعل ارتديت حذائي وأخذني وقال لي:

-أنا جهزت كل شيء هيا اتبعني.

وحمل حقيبة ظهر ضخمة وتحرك وأنا كنت معه وفي آخر الشارع كانت هناك سيارة بدون كلام كثير ركبت السيارة، ووقفنا عند إحدى حواري المنشية، ودخلنا شقة في بيت قديم جدًّا، شكر جواد الرجل الذي اوصلنا ومن ثم دخلنا الشقة وتعجبت أنه قام بفتحها، سألته متعجبًا:

-كيف...؟

لم أكمل تساؤلي فقال لي جواد وهو يهم بالدخول:

-ألا تكف عن الأسئلة يا فارس، سوف أريحك يا أخي، أنا موجود في الإسكندرية منذ ثمانية أشهر ولي أصدقاء وتصرفت في هذه الشقة منذ شهر عندما بدأت المعلمة قدرية تلعب بذيلها معي.

دهشت مما قاله:

-تلعب بذيلها كيف...؟

-لا تشغل بالك ارتح الآن وفي الصباح سوف أشرح لك الوضع الجديد.

*****

قالت لي ياسمين باندهاش:

-وهل أنت مسالم هكذا دائمًا يا فارس...؟

-لا أدري يا ياسمين والله، في أغلب الأوقات يخفي عني جواد ما يمر به... ولكنه دائمًا يفكر في مصلحتي.

-ولكن يا فارس أظن أن طريقه خطأ وبذلك سوف يجر رجلك في هذا الطريق وهذا سوف يعرضك للخطر.

-لا أظن ذلك يا ياسمين، لأن بمجرد أن جئنا إلى المنشية في صباح اليوم التالي رأيت معه آلة حلاقة وطلب مني أن أحلق وأغير من شكلي فسألته:

-لماذا يا جواد...؟

-لزوم البداية الجديدة يا صديقي... قررت أن أبتعد عن هذا الطريق الذي كنت به فلنبدأ بداية جديدة في مكان جديد بشكل جديد.

نظرت له بدهشة وقلت له وأنا أمسك يده:

-حقًا يا صديقي...!

ابتسم لي وأمسك يدي وقال لي:

-حقًا يا صديقي.

قمت وعانقته وقلت له بلهفة:

-كنت أعلم جيدًا أنك في يوم سوف تترك هذا الطريق و...

اخرجني من حضنه وقال لي:

-توقف عن الكلام قليلًا وهيا بنا فلنبدأ بتغير شكلنا.

قررنا حلاقة اللحية تمامًا وحلق جانبي الشعر مع رفع شعرنا الطويل بمساكة شعر... شكلنا تغير 180°، بالفعل إذا كنت ترغب أن تغير من شكل رجل فلتحق لحيته فقط.
قال لي جواد أن أذهب إلى مطعم وأقول لصاحبه أنا من طرف المعلم لطفي، وبالفعل ذهبت صباحًا إلى المطعم، وبالفعل تم تعيني، ولكن جواد لم يعمل معي، جاءني المطعم جواد مساءً وسألني على العمل وما هو انطباعي فقلت له:
-إن العمل بسيط ها هنا، صاحب العمل علمني كيف استخدم الآلة وصرت "كاشير" كما ترى يا صديق ولكن لمَ لست معي...؟
-ومن قال لك أنا لست معك...؟ سوف أعمل في توصيل الطلبات يا فارس... وهيا سوف اتركك الآن كي لا أسبب لك مشاكل... بعد الانتهاء من العمل سنتحدث سويًا...

*****

مر شهران على هذا الوضع إلى أن صار ما صار بالأمس واشتعل جواد غضبًا عندما رأى الضابط يضربكِ يا ياسمين.
قاطعتني ياسمين وقالت لي متعجبة:
-يعني جواد انفعل عندما رأى الضابط يضربني ولم ينفعل عندما هرب اللص ورماني أرضًا...!
-لم يكن موجد أثناء الحادثة لقد وصل جواد أثناء وقوعكِ بسبب الضابط وهم مسرعًا ودافع عنكِ.
-يعني جواد هو من دافع عني...!
-نعم يا ياسمين هو من دافع عنكِ وهو من قال لي أن أخذكِ ونهرب سويًا كي لا نتأذى... هو هكذا جواد دائمًا يهمه أن

أكون بأمان... أنا فعلت ما بوسعي كي تكوني بأمان يا ياسمين وأن تصلي إلى أهلك سالمة.
-أشكرك يا فارس على أمانتك وصدقك... واسمع يا فارس محل والدي مفتوح لك إذا أردت أن تعمل معه، وإذا استطعت أن تكلم صديقك لكي يقدم له والدي يد العون والمساعدة على موقفه معي وشجاعته، وكما قلت لي أنه صار صالح الآن وابتعد عن الطرق المشبوهة.
-أشكركِ يا ياسمين على وقفتكِ معي، حسنًا سوف أحاول أن أصل إليه وأقول له.

*****

مرت الأيام وياسمين تقربت مني، وها أنا ذا ولأول مرة قلبي يدق، بدأت أحب وأتعلق بياسمين، تلك الفتاة الجميلة.
مرت الشهور وأنا لم أعرف كيف أصل إلى جواد هاتفه مغلق دائمًا، كنت قلق عليه كثيرًا.
في شهر مارس عام 2019 قررت في مرة أن أذهب إلى الشقة التي كنا بها ولكن بدون جدوى، لم أجده... كنت مفتقده جدًّا ولكن وجود ياسمين معي هون عليّ غيابه بعض الشيء.
كسبت حب ياسمين وأهلها لي، شعرت أن الله عوضني بالأهل والحبيبة في آن واحد... ولكن هذا لم يستمر.
في صباح أول أيام شهر أكتوبر جاءت ياسمين إلى محل أبيها ولكنها لم تنظر لي حتى، لا أدري ما سبب قطيعتها لي، قررت ياسمين الرحيل مسرعةً، استأذنت عم عادل بعض الوقت...
لحقت بياسمين وامسكتها من ذراعها، فالتفتت لي، سألتها بلهفة:
-ماذا جرى يا ياسمين...؟ قولي لي لمَ تغيرتِ علي...؟ أنا ماذا فعلت لكِ...؟
ترقرق الدمع في عيني ياسمين وقالت بانكسار وهي تنظر أرضًا...:
-ألا تدري ما حدث...؟
وضعت يدي تحت ذقنها كي أرفع رأسها وكي تنظر عينها لعيني وقلت لها:
-أقسم لكِ لا أعلم ما حدث... قولي لي ماذا صدر مني كي أصلح ما فعلته وضايقتك به...
نظرت لي وبدأ الدمع ينهمر من عينها وقالت بحسرة:

-ما حدث لا يمكن اصلاحه أبدًا ومن ثم التفتت واجهشت بالبكاء، التفتت الاتجاه الآخر وامسكتها من ذراعيها وقلت لها وأنا أبكي لبكائها:
-ياسمين حبيبتي، أقسم لكِ لا أدري ماذا تقصدين أرجوكِ افهميني...
نظرت لي وهمت بمسح دموعها وتنفست الصعداء وتمالكت قواها وقالت وهي تنظر لي نظرة كره:
-أنت استغليتني...
تعجبت كيف تنظر لي ياسمين هكذا...؟ سألتها بتعجب وأنا أمسح دمعي:
-ماذا فعلت أنا يا ياسمين كي استحق تلك نظرة الكره منكِ...؟
-ألا تتذكر منذ اسبوعين عندما كنت في إجازة لأنك مريض وطلبت من أبي أن تذهب لشراء دواء، أنت يومها اتصلت بي وطلبت مني مقابلتك، وأنا حزنت لأنك مريض ولكنك قلت لي أن سبب مرضك هو فراق جواد الذي طال عليك، لذا طلبت مني أن نخرج سويًا وتستغل إجازتك في البحث عنه والسؤال عليه في المنشية، طلبت منك حينها أن تنتظر إلى أن تكون في صحة جيدة ولكنك اصررت وقلت لي أنك لن ترتاح إلا عندما ترى جواد.
قررت أن أذهب معك ووصلت لتلك الشقة التي كنت تسكن بها أنت وجواد، ولكن بمجرد أن وصلنا لهناك أنت تحولت لوحش... تغيرت 180° درجة، لم أكن اتوقع أن تفعل ما فعلته بي، لم أكن اتوقع أبدًا...

واجهشت بالبكاء وأنا شاركتها بكاءها وصرت أرفع رأسها وأقول لها باكيًا:
-أقسم لكِ يا ياسمين لم أفعل شيء، هل تظنين أن يصدر مني فعل كهذا...؟
نظرت لي بكره وأبعدت يدي عنها ودفعتني وقالت:
-أنت ممثل وبارع في التمثيل صدقت أدبك وخجلك وطيبتك وأنت حقيقتك شيطان.
ومن ثم همت بعبور الطريق ولكن في تلك اللحظة كنت أنا أنادي عليها وأحاول أمسك يدها وهي تحاول أن تبعد يدها عني وهي تلتفت فمرت سيارة بسرعة واصطدمت بها.
أخذتها مسرعًا إلى أقرب مشفى، ومن ثم اتصلت بعمي عادل كي يلحق بي، وتم تجبيس ساقها ولكن لم تكن ياسمين ترغب في النظر لي، ياسمين لم تصدقني، ياسمين كرهتني.
صرت أفكر، كيف حدث هذا...؟ أنا في هذا اليوم لم أخرج من الورشة وكنت راقد بسبب كثرة التعب... هذا معناه أن ياسمين تتبلى عليّ ولكني استبعد هذه الفكرة من الأساس، لمَ تفعل هذا...؟ هي تعلم أني أحبها وأنا من أتمنى أن تكون لي، ليست مضطرة لهذه التمثيلية كي تكون لي... والفكرة الثانية من فعل ذلك هو جواد... ولكن كيف وصل جواد لياسمين وكيف عرف مكاني ورقم هاتفها... ولمَ يفعل ذلك من الأساس لمَ...؟ أنا لا أفهم شيء.
مرت ثلاث أسابيع لم أرى ياسمين قررت أن أسأل عمي عادل عنها قال لي بأسى:

-لا أدري يا ولدي، هي فكت الجبس بالأمس ولكن طوال هذه الفترة لا تتحدث، قبل الحادث كانت تتحدث قليلًا، ولكن بعد الحادث لا تفعل شيء سوى أنها تومئ فقط، والدموع تذرف من عينها كل ما حاولنا أن نعرف ما بها.

ترددت قليلًا ولكني حاولت أن أجمع قواي واتجرأ وقلت له:

-عمي، هل تسمح لي أن أزور ياسمين كي أطمئن على وضعها بنفسي.

-حسنًا يا ولدي بعد الانتهاء من العمل سوف تأتي معي البيت وتزورها.

بمجرد أن وصلت طلبت من عمتي كريمة أن تسمح بدخول غرفة ياسمين وبمجرد أن دخلت أشاحت ياسمين نظرها عني، ولكن عمتي كريمة من أجل أن ترفع الحرج عني بسبب هذا الموقف قالت لي:

-لا أدري لمَ ياسمين صارت هكذا، معنا كلنا تشيح نظرها ولا تتحدث.

قلت لها بخجل بسبب الإحراج:

-ولا يهمك يا عمتي، ولكني أريد أن أقول لياسمين شيء على انفراد، هل تسمحي لي.

وبالفعل خرجت عمتي وهي تهم قالت لي وهي تربت على كتفي:

-تفضل يا ولدي، البيت بيتك.

جلست على طرف السرير وقلت لها بأسى:

-كيف حالك يا ياسمين...؟

لم ترد علي وبدأت تذرف الدمع على خدها، فقلت لها:

-ياسمين أريدك أن تساعديني، وأريدك أن تصدقيني أني لم أفعل ذلك.
لم ترد عليّ ومن ثم دخلت لي العمة كريمة بصينية عليها فواكه وكوب من الماء... وضعت الصينية على السرير أمامي فشكرتها ومن ثم خرجت.
سألت ياسمين برفق:
-ياسمين أريدك أن تساعديني أنا فكرت في الموضوع مليًا لا يوجد إلا شخص واحد من فعل ذلك ألا وهو جواد.
نظرت بكره وقالت لي:
-أنت من فعلت ذلك ولكن وجهك الحقيقي ظهر.
-حسنًا أريدك أن تتذكري شيء، هل من فعل ذلك لمحتي حرق في رقبته أشبه بشعلة...؟
صمتت ياسمين قليلًا وكأنها كانت تتذكر ومن ثم أغمضت عينيها وكأنها تشعر بألم وتعذيب وقالت وهي تفتح عينها:
-نعم، كانت هناك علامة.
من ثم نظرت لها وكنت أريها رقبتي وأسألها بلهفة كي أثبت لها براءتي:
-هل تري هذه العلامة في رقبتي، قولي لي...؟
ظلت تنظر لي بدهشة والدموع تنهمر من عينها ولم تنطق...
كررت سؤالي لها:
-اجيبيني يا حبيبتي، أرجوكِ صدقيني واتبعي قلبك وسوف أجلب لكِ حقك ممن فعل ذلك... صدقيني أنا سأكون بجوارك دائمًا...
بدأت تبكي في هيستيريا وتقول لي:

-أنا لم أعد أرغب في شيء، لم أعد أريد شيئًا، أريد أن أموت، أن أموت...
بدأت أهدئها وأقول لها:
-لا تقولي ذلك يا حبيبتي، أنا سأظل معكِ إلى الأبد ولن أتركِكِ حزينة هكذا.
ولكنها كررت كلماتها إلا وهي:
-أريد أن أموت، لا أريد هذه الدنيا.
-أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليك يا مصدر الأمان بالنسبة لي.
ومن ثم فعلت شيء لم أكن أتوقعه... أخذت السكين الموجود بجوار طبق الفاكهة في ثواني وطعنت نفسها في رقبتها من دون أي لحظة تردد أو تهديد لي، تصلبت مكاني وحملقت عيني من هول الصدمة والدموع ذرفت من عيني بدون أي تأثير عليها، في تلك اللحظة دخلت الأم كريمة وصرخت عندما رأت ابنتها مرماة أمامي مطعونة غارقة في دمها.
وأنا مصدوم لا أحرك ساكنًا لا أنطق حتى، الأم تصرخ تنادي على بنتها، ولكن لا حياة لمن تنادي، العمة كريمة لا تصدق أن بنتها فارقت الحياة فتلفتت لي وسألتني ماذا حدث ولكني مصدوم لا أنطق أبدًا، دخل عمي حاول أن يسألني ولكني لم استطع النطق، وكيف أنطق بعد الذي حدث أمامي، طلب عمي الشرطة وفي القسم بدأ التحقيق، حاولت جاهدًا أن أتكلم ولكن بمجرد أن قام الضابط بالطرق على المنضدة بكامل قوته كي أنطق، كانت كفيلة أن أنطق بالفعل، لم أجد ما أقوله سوى أنها

قالت لي أنها تريد أن تموت وأنها لم تعد ترغب في العيش في هذه الدنيا وفي لمحة عين طعنت نفسها بقوة في رقبتها.
لم يجدوا بصماتي على السكين، البصمات كانت بصماتها، وعمي عادل وعمتي كريمة شهدوا بطيب طبعي وحسن خلقي، وفي بداية التحقيق عندما طلب مني الضابط بطاقتي قلت له أني نسيتها وقام عمي عادل بضمانتي، ولكن في الحقيقة أنا ليس لدي أي أوراق تثبت هويتي.
خرجت وكلنا في حالة صدمة والعمة كريمة منهارة باكية، وأنا مصدوم، كل أحلامي تحطمت، حبي الأول ضاع أمام عيني، بل ورحلت وهي تكرهني.
أقسمت أن أجلب لها حقها، سوف أنتقم ممن ظلمها حتى وإن كان أعز شخص بالنسبة لي.
مرت ثلاثة أيام وانتهى العزاء وحزني على ياسمين يزيد ولا يقل...
النوم قد سرق من عيني... من بعد فراق ياسمين وأنا لا أقدر على النوم نهائي... الساعة الثانية بعد منتصف الليل قررت أن أذهب وأبحث عن جواد مرة أخرى.
بمجرد أن وصلت إلى الشقة تفاجأت.
كان جواد هناك بالفعل...
أغلقت باب الشقة واجتاحت بداخلي عدة مشاعر، مشاعر شوق ومشاعر أنتقام وتساؤلات عدة لم أعد أعرف من أين أبدأ إلا وقلت بصوت مكتوم من صدمتي:
-أين كنت كل هذه الفترة...؟
كان يجلس على الطاولة يدخن سيجارته ببرود وأردف:

-عندما هربت بعد أن دافعت على هذه الفتاة، تعرفت على أناس جدد، وقمت بالعمل معهم، تقدر أن تقول مصلحة جديدة.
-ومتى رجعت هنا...؟
-منذ قليل، سعيد جدًّا برؤياك، لم أكن أدري أنك تشعر بي لهذه الدرجة.
اقتربت منه وبدأت اسأله بصوت مهزوز:
-هل أنت قابلت ياسمين...؟
رد بعدما رسم علامات الغباء على وجهه:
-من هي ياسمين...؟
-أنت تعرف جيدًا عما أتحدث... هي قالت إنها رأتك حتى بالأمارة تلك العلامة التي على رقبتك.
قام من مكانه وزاد غضبه وأردف...:
-يعني تكذب صديقك وأخيك وتصدق فتاة...!
وقفت أمامه وطرقت بيدي على الطاولة بقوة وقلت له غاضبًا:
-أنا أصدق الحق يا جواد.
نظر لي وضحك ضحكة تهكم وقال لي بسخرية:
-ولأول مرة أراك غاضب وتعلي صوتك علي، ومن أجل من...؟
من أجل فتاة تعرفها منذ بضعة أشهر.
اقتربت منه وامسكته من ياقته وزاد انفعالي وقلت له صارخًا:
-كيف تجرأت أن تفعل ذلك بها...؟ وكيف وصلت إليها...؟ لمَ فعلت كل هذا...؟
بعد يدي عنه وقال بثبات:
-كنت اختبرها لك، وطلعت رخيصة لا تستحقك.

ازداد غضبي وقلت له وأنا أهم بلكمه:
-هي ليست رخيصة هي ذهبت معك لأنها كانت تظن أنك أنا... ولقد وافقت على تلك الفعلة لأنها تحبني واعطتني الأمان، ولكن هي قالت لي أنك من أجبرتها على ذلك.
نظر لي جواد بعد ما لكمته وقال لي متعجبًا:
-أحقًا تلكمني من أجل فتاة، يااه لهذه الدرجة نسيت ما فعلته من أجلك.
-لمَ فعلت ذلك في حبيبتي...؟
-كنت أريد مصلحتك.
لم أتحمل كذبه علي، انفعلت بجنون ولم أشعر بنفسي إلا وقمت بلكمه مرة أخرى وقلت له:
-توقف عن الكذب يا خائن.
ولكنه قام بدفعي فسقطت أرضًا.
تمالكت نفسي ووقفت من جديد، وقمت بدفعه بقوة فارتطم في الحائط فاستغللت سقوطه أرضًا، وهرعت إلى المطبخ وجلبت سكينًا، عندما التفتت رأيته خلفي يحاول أن يمنعني من الانقضاض عليه، حللت قبضته عني وصرت أؤشر له بالسكين، فقال لي متعجبًا:
-هل تريد أن تقتلني من أجلها...؟
-بل أريد أن أقتلك كي ترتاح في قبرها، أنت لم تظلمها هي فقط بل ظلمتني أنا أيضًا، سوف أجعلك تموت وتكون نهايتك مثل نهايتها التي تسببت بها.

هرعت تجاهه بجنون وقمت بطعنه في رقبته بقوة، حينها فقت ورأيت صديق عمري مرمي أرضًا غارق في دمائه، سقطت أرضًا بجواره باكيًا نادمًا على ما فعلت.
لم اتوقع أبدًا أن أقتل صديق عمري، ولكن أقسم أن هناك قوة خفية تمكنت مني تسببت فيما فعلته، الآن أنا فقدت حبيبتي وصديق عمري بل وبهذه الجريمة فقدت حياتي تمامًا... هربت من الإسكندرية وأردت الهرب إلى القاهرة ولكن الظروف رمتني ها هنا إلى هذا البيت المهجور الذي ظهرتي لي به يا عجيبة ها قد حكيت لكِ ما مررت به هل يمكنكِ مساعدتي...!؟

*****

الفصل السادس

الاستنتاج

نظرت فريدة إلى فارس بأسى وقالت له:
-نعم يمكن...
وهنا انتقلت فريدة إلى عالمها الآخر، يبدو أن الوقت قد انتهى.
*****
فريدة تفكر في فارس، وتفكر كيف سوف تساعده في ورطته...
فتسألت في قرارة نفسها:
-كيف سوف أساعده...؟ ولكن أكيد سوف أجد طريقة لمساعدته... الله أرسلني إليه كي أنقذه... ولكنه قاتل...! وعليه أن يسلم نفسه للعدالة... آه أنا محتارة جدًّا احتاج أن ارتاح قليلًا عقلي يؤلمني من هذه المغامرة...
*****
يد شاب تقترب من فتاة ذات شعر طويل أسود، ها هو يقترب أكثر فأكثر، من ثم التفتت الفتاة وكشف عن وجهها...
إنها فريدة...
وضع الشاب يده على كتفيها وبكي لها بحرقة:
-صدقيني أنا لم أقتل، صدقيني...
أرجوكِ ساعديني...
سألته فريدة بلهفة:
-كيف أساعدك...؟
بدأ صوت الشاب يبتعد عنها وهو يقول:

-كوني مكاني... ساعديني...
ساعديني يا عجيبة...

*****

أفاقت فريدة من نومها تحاول أن تلتقط أنفاسها، ها هي تحاول أن تمسح وجهها بيدها كي تزيل عن نفسها أثر هذا الكابوس، وأردفت:
-ولكن يمكن ما رأيته ليس كابوس، يمكن أن تكون هذه رسالة، ولكن ما معناها...؟ ماذا عليّ أن أفعل...؟
قامت فريدة من سريرها وأردفت بتنهد:
-آخ يا ربي ما هذا الذي اقحمت نفسي به...
جهزت فطورها ومن ثم احتست كوب النسكافية الخاص بها ومن ثم جال بخاطرها كلام أمها:
-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يؤوّل كما هو من دون تفسير.
لمعت فكرة في بال فريدة وقررت تنفيذها وقالت في قرارة نفسها:
-يبدو أني سأبدأ مغامرة جديدة اليوم، مغامرة في حياة فارس ولكن سأراها بنفسي لن استمع إليه مجددًا، معروف أن الموقف يختلف من شخص لآخر أثناء السرد، وأحيانًا يتغافل المرء عن بعض التفاصيل، أريد أن أرى بنفسي لكي أعرف كيف أساعده بحق.

*****

مصر-شبرا-عام 2010 في شهر ديسمبر اليوم السادس عشر.

نقل الجهاز فريدة لبيت فارس، طبعًا الجهاز لا يحتاج سوى أبسط التفاصيل ويفهم ما يجول بالخاطر ويتكفل بمعرفة التفاصيل، هي لا تعرف سوى موعد هروبه من بيته وأنه اسمه فارس، وكان هذا كفيل لهذا الجهاز...
لا داعٍ للتركيز على الجهاز، فلنركز على ما رأته فريدة هنالك...

*****

عمارة كبيرة تتكون من 12 طابق، وفريدة في الطابق التاسع، إن شقة فارس تتكون من طابقين أي ما تسمى بالدوبلكس...
يتوسط الصالة صينية كبيرة عليها مبخرة ضخمة، قطع شرود فريدة صوت صرخات طفل، اتبعت فريدة مصدر الصوت، كان الصوت يأتي من خلف غرفة مغلقة...
اخترقت الباب... لأنها حددت في الجهاز أن تكون روح أي جسد أثيري ليس لها ترددات الجسد المادي الملموس...
رأت طفل في العاشرة من عمره مقيد بالحبال، وأبيه عاكف على ضربه بسوط والأم تقف بجوار الأب وتبكي وتمسك به وتقول له:
-أرجوك يكفي هذا يا فتحي... الولد سوف يضيع منا ونحن أنجبناه بعد عناء...
رمى الأب السوط أرضًا وقال نادمًا:
-ويا ليته ما جاء للدنيا... إنه عقاب الرب لي... ومهما أتوب لن يتقبل الله توبتي أبدًا... بسببه حل عليّ العذاب في الدنيا وسوف أعذب في الآخرة.

كانت فريدة تسمع ولكنها لا تفهم أي شيء مما يقع على سمعها...
خرجا كل من الأب والأم من الغرفة، ولكن فارس أخذ يبكي ويأن وينادي على أمه وهو يجهش بالبكاء:
-أرجوكِ يا أمي تعالي، تعالي وحرريني، فكي قيدي يا أمي، يا أمي ألا تسمعيني...!
فقامت الأم من سريرها ولكن فتحي أمسكها من يدها وقال لها:
-لا تذهبي إليه، أتريدينه أن يفعل كما يفعل كل يوم...؟
تبكي رحاب وهي تنظر إليه بحسرة:
-ولكنه ولدي، قلبي يتمزق من حزني عليه يا فتحي، لا أستطيع سماع بكائه هكذا...
-أرجوكِ اعينيني على إكمال ما بدأته، أرجوكِ اتركِ عاطفتك جانبًا... كي أستطيع أن أخلصه.
وقفت رحاب تاركة يده وقالت وهي تجهش بالبكاء:
-تخلصه من ماذا...؟ أنت سوف تخلص عليه يا فتحي... سوف تقتل ولدي الذي ليس لي غيره في الدنيا من بعدك...
وقف بجوارها وهم باحتضانها وقال لها برفق:
-يعني ألا ترين ما يقوم بفعله... ألا تظني أن ما يفعله غريبًا يا رحاب، هل أنا اتبلى عليه كي أؤذي ولدي ها...؟
-لا، لم أقصد ذلك، ولكن أكثر من شيخ جاء وقال إنه ليس به شيء... أرجوك ارفق به يا فتحي...
خرج فتحي كي يقوم بفك فارس وبمجرد أن اقترب فتحي من فارس لفكه همس فارس له بتشفي وبصوت لا يمكن أن يكون مصدره طفل أبدًا:

-ودع كوابيسك وليالي آلامك ومعاناتك يا فتحي، ولتستعد لنهايتك...
فزع فتحي وهم من مكانه ولكنه تمالك نفسه بمجرد عندما التفت وجد خلفه رحاب، سألته برفق وهي تمسح وجهه الذي صار يتصبب عرق بقوة لا تتناسب مع الجو:
-ماذا حل بك يا فتحي...؟
نظر لها بتوتر وحاول أن يتمالك نفسه وقال لها:
-لا شيء يا حبيبتي لا شيء، اذهبي للنوم.
نظرت رحاب بشفقة لأبنها ومن ثم خرجت ولكن قبل أن تخرج أوقفها صوت ابنها فارس معاتبًا إياها:
-أنتِ لا تحبيني، أنتِ لا تفكرين سوى في زوجك الذي يؤذيني، لمَ لا ترحميني من إيذائه وتأخذيني ونعيش من دونه... إنه ظالم،
إنه يعذبني، لا يحبني...
التفتت أمه وقالت له برفق:
-لا بل يحبك يا ولدي، إنه والدك، هل رأيت أب يكره ابنه...؟
-نعم رأيت هو يكرهني ولا يحبني، وأنتِ كذلك لا تحبيني لأنك تسمحي له بمعاقبتي على لا شيء.
مسحت رحاب على شعر فارس وقالت له مطمئنة إياه:
-كل شيء سيكون على ما يرام يا ولدي، لا تقلق...
مر الوقت بدون حدوث أي شيء فقررت فريدة أن ترى ما سوف يحدث بسرعة قصوة مع تخطي الوقت الذي بدون أحداث

ولكن فجأة أوقفها صوت ارتطام شيء في الصالة، حينها هم فتحي من نومه وكان يمسك في يده اليمنى مصحف وفي اليد اليسرى سبحة، وعندما وصل رأى أن الفازة قد كسرت، صار يتمتم بذكر الله وهو يقترب من غرفة فارس ويقوم بفتحها، ولكنه تفاجئ بأن فارس نائم.

فأغلق الباب على فارس والتفت...

ولكن قلبه قد وثب رعبًا عندما رأى فارس خلفه، وعينيه حمراء تمامًا وينزف منها دمًا وهو يؤشر بيده تجاه فتحي ويرفعه في الهواء...

بدأ فتحي يتمتم بذكر الله ولكن فارس ضحك وقهقه، وقال متهكمًا:

-هل تظنه سوف يحميك... قد فات الأوان...

وقام برميه بقوة في الجدار المقابل في الصالة فسقط على السفرة وكسرها من قوة الارتطام...

هنا قامت رحاب مهرولة للخارج مفزوعة وقالت صارخة:

-ماذا يحدث هنا...؟

التفت لها فارس بعينيه الحمراوين وقام برفعها في الهواء، فزادت من صراخها وهي تتوسل له:

-أرجوك اتركني يا فارس... أنا أمك التي تحبك.

دفعها فارس وجعلها تثبت في الحائط وقال لها بصوت أجش:

-توقفي عن الصراخ لن يسمعكِ أحد...

حينها فجأة هجم فتحي بكامل قواه على فارس وأنقض عليه...

وبدأ يتمتم بذكر الله ويعلي صوته أكثر وأكثر، ولكن هذا زاد من غضب فارس أكثر، فدفعه بقوة وصرخ صرخة هزت أرجاء البيت وقال:
-توقف، قلت لك لن يساعدك أحد، لن يحميك أحد مني...
هنا نظر فتحي لرحاب وقال لها نادمًا:
-قلت لكِ يجب أن نتخلص منه قبل فوات الأوان، إنه لعنة، لعنة الشيطان...
قام فارس برفعه عاليًا أمام باب الشرفة وقال له بتهكم:
-بالفعل قد فات الأوان، وقد حان أن أتخلص منك...
وقام بدفعه تجاه زجاج الشرفة ورميه من عل....
ومن ثم قام برفع أمه عاليًا وحاول أن يرميها ولكن أمه بدأت في التوسل إليه باكية وقالت:
-فارس حبيبي أنا أمك، أمك التي تحبك لا تفعل بي هذا سوف أفعل لك ما تريد و...
ولكنه بدأ يقترب منها ويقول لها بغضب:
-ولكني لا أحبك يا من سببتِ في دمار حياتي قبل أن تبدأ...
أجهشت أمه في البكاء وقالت له غير فاهمة:
-ماذا فعلت أنا يا فارس كي تقول لي هذا الكلام...؟
ولكن فجأة شعرت أن الكلام لا يجدي نفعًا معه فبدأت بترتيل آية الكرسي وقالت صارخة يا رب...
كانت تلك الكلمة كفيلة أن تسقطها أرضًا.... وأغمى عليها...
عاد فارس لفراشه... ونظر للسقف بعينيه الدمويتين، ومن ثم أغلقها، ومن ثم في ذات اللحظة فتحها، ولكنها كانت عادية تمامًا، شعر بالعطش، فقرر أن يقوم كي يشرب، قام متألمًا من

أثر الضرب على جسده، ولكن تفاجأ بأن غرفة أبيه مفتوحة ولم يجد أمه ولا أبيه، ولكن بمجرد أن مر في الصالة وجد أثر تكسير، وأمه ساقطة أرضًا... بدأ يبكي وقال متمتمًا:
-إن هذا الرجل قتل أمي وأكيد سوف يقتلني، أنا سوف أهرب ولن أعيش معه ثانية...
وبالفعل نزل فارس الشارع فوجد الناس ملتفين تحت عمارته، ولكنه لم يكترث قرر فقط أن يهرب بلا رجعه...
تبعته فريدة وهي تقول في قرارة ذاتها:
-يبدو أنك لست سهلًا أبدًا يا فارس كما توقعت، سأظل ورائك للنهاية كي أعرف كيف سوف تكون نهايتك...
جعلت فريدة الوقت أمامها يمر بسرعة كي تعرف كل ما مر به فارس بأقصى سرعة قبل انتهاء وقتها...
مشى فارس كثيرًا إلى أن وصل إلى تلك المواسير الكبيرة، وبالفعل هنالك قط أسود يداعبه ومن ثم دخل إلى الماسورة كي يتحامى من البرد القارس، وأخذ يتحدث ولكن إلى من...
أن فارس يتحدث مع نفسه...! لا وجود لجواد نهائيًا...!
فارس يمشي في السوق وهو الذي يسرق، وها هو يجلس على الرصيف ويأكل ويتحدث مع ذاته...
فريدة تجعل الوقت يمر بسرعة أكبر كي تصل لليوم التالي حيث تم الاختطاف...
أن من تم اختطافه كان طفل سمين لا يمت بصلة لملامح فارس أي أن لا وجود لجواد وأن جواد لم يكن معه في بيت المعلمة سماح...
فارس بمفرده يسرق و...

تفوت السنين وفارس يتحدث مع نفسه في الغرفة لا وجود لأحد معه، بل أن فارس هو من يستغل المعلمة سماح، هو الذي يدخن وهو من يتعاطى المخدرات وهو من يزني، لا وجود لشخصية جواد التي اختلقها كي يهرب من عيوبه بها...
فارس هو من سافر بمفرده للإسكندرية وهو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات...
وفارس هو من اعتدى على الضابط... لا وجود لجواد في أي موقف من المواقف.
وهو من أخذ ياسمين وفعل بها تلك الفعلة الشنعاء...
ولكن ياسمين هي التي قتلت نفسها، وفارس أمامها مصدوم غير مصدق ما تفعله...
فريدة تريد أن تتأكد من آخر شيء وألا وهو قتل فارس لجواد...
ها هو فارس في البيت يتجادل مع نفسه، إلى أن قتل بالفعل...
ولكن... إنه ليس جواد... إنه مجرد قط أسود دخل عندما فتح باب الشقة...
بمجرد أن رأى الدم هرب نادمًا ولكن لمَ هو نادم أنه قط لا جواد...
فريدة ترى اللحظات الأخيرة لفارس بأقصى سرعة، هرولته باكيًا وصلاته وهروبه وركوبه القطار وبالفعل هو لم يدفع أجره لأنه كان نائم، من ثم ضرب مسؤول التذاكر وهرب ثانية...
إن فارس مضطرب حقًا...

وصل البيت المهجور فدخله وها هو ذات القط الأسود ذا العيون الخضراء المائلة للصفرة ينقض عليه فيفقد وعيه.
من ثم قررت فريدة أن تتجاوز تلك المحادثة الطويلة التي دارت بينهما وتوقفت عند كلمة:
-نعم يمكنني مساعدتك يا فارس...
هم فارس ناهضًا باكيًا ويقول لها كيف...؟
نظرت فريدة أرضًا ومن ثم تنفست الصعداء وقالت لفارس:
-أنت لم تقتل جواد...
نظر لها بتعجب ومسح دمعه وقال:
-كيف...؟ إن دمه لطخ يدي...
نظرت فريدة لفارس بحده وقالت له بكامل قواها:
-لم تقتل جواد لأن جواد ليس له وجود من الأساس...
ابتعد عنها فارس وقال لها:
-هل تظنين أني مجنون...؟ صدقيني أنا قلت لكِ كل ما مررت به في حياتي...
حاولت فريدة أن تقترب منه وقالت له بهدوء:
-أنا أصدقك يا فارس، أنت قلت لي ما تعتقده أنت في ذهنك، ولكن كما تعلم أنا قلت لك أني سوف أساعدك ورجعت بالزمن ورأيت حياتك بأم عيني، لا وجود لجواد، كنت أنت وحدك طوال هذا الوقت... جواد مجرد شخصية في خيالك...
أبعد فارس فريدة عنه وبدأ يغلق أذنه ويقول لها بانفعال:
-توقفي، توقفي، أنا لا أتوهم، أن جواد حقيقي صدقيني...
بدأت فريدة تقترب منه وانزلت يده عن أذنه ولكنه بدأ ينزل أرضًا من قوة الصدمة فبدأت تهمس له:

-فارس، أنا معك، سأظل بجوارك وسوف أساعدك كي تكون بخير، الله ارسلني لك كي أساعدك... يمكن الله جعل أبي يوصي أمي أن أدرس الطب النفسي من أجلك...
أنت مصاب بمرض الاضطراب الوهامي، أنت تختلق مواقف وشخصيات ليس لها وجود، أحيانًا نختلق شخصية تعوضنا عن شعور نفتقر إليه في حياتنا، بعض الأطفال لديهم الصديق الوهمي أو الخيالي، ولكن سرعان ما نخرج من هذا الوهم للواقع وتكوين صداقات في الواقع، فقدانك لأهلك وبعدك عن الناس وانفرادك بذاتك جعل مرضك النفسي يتمكن منك...
-صدقيني جواد كان معي دائمًا...
-أصدقك، وأصدق كل مشاعرك، ولكن عليك أن تصدقني، وأن تسلم نفسك للشرطة...
نظر لها فارس بدهشة متسائلًا:
-لماذا أسلم نفسي للشرطة...؟ أنتِ قلتِ لي أني لم أقتل جواد وياسمين ماتت منتحرة...؟ ما الذنب الذي اقترفته كي أذهب للسجن...؟
قالت فريدة وهي تنظر لعينيه وعينيها تترقرق بالدمع:
-لأنك قتلت بالفعل...؟
-لم أقتل أحد أقسم لكِ...
وأجهش بالبكاء، فقالت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها:
-بل قتلت، قتلت والدك...
صدم فارس وقال بدهشة:
-أنا قتلت والدي، والدي هو من كان يعذبني وأنا هربت من فرط قسوته.

-لا بل هذا ما تظنه أنت، الحقيقة أنت من أذيته وهو كان يفعل ذلك من أجل أن يخلصك من شيطان نفسك...
مسح فارس دمعه وقال متعجبًا:
-شيطان نفسي...! لا أفهم ما تقولينه...
جلست فريدة أمامه وأمسكت يده وقالت له:
-كما تعلم أغلب العرب عندما يجدون أحد تصرفاته صارت شاذة أو غريبة أول ما يخطر في بالهم هو الشيطان والسحر وكفى، يلجؤون إلى الدجالين ولا يخطر في بالهم الطب النفسي...
-يعني أبي كان يضربني ظنًا منه أني ملبوس...؟
-هذا ما كان يظنه...
-ولمَ ظن هذا...؟ ماذا كنت أفعل له...؟
-كنت تحرك الأشياء وتدمر البيت وتلعب بأبيك مثل الدمية وغير ذلك الكثير...
-أحقًا هذا ما كنت أفعله...؟
-هذا ما رأيته بأم عيني...
-ولكن هل بالفعل المرضى النفسيين قادرين على تحريك الأشياء عن بعد هكذا...
-العلم أثبت أن هنالك بعض الأشخاص لهم قدرات فائقة يتحكمون بالقوانين الفيزيائية فيصيرون قادرون على جذب الأشياء ورفعها عن بعد...
-يعني أنا قاتل وسارق... لا أريد أن أعيش أريد أن أموت...
-لا تقل هذا يا فارس، بل قدم نفسك للعدالة واحكي ما حكيته لي بالضبط وبالكشف الطبي سوف يثبت مرضك العقلي، أنت لا

يجب أن تموت، يجب أن تذهب لمستشفى الأمراض العقلية، وتتخلص من مرضك النفسي وتتعافى وتبدأ من جديد...
-ولمَ أبدأ من جديد...! لا يوجد لي أحد في هذه الحياة، لا يوجد لي دافع للبقاء ها هنا، لا يوجد أبدًا...
ومن ثم خبأ رأسه بين ذراعيه وأنكمش وأجهش بالبكاء، قامت فريدة برفع رأسه وقالت له هامسة:
-لا، بل سأكون أنا معك، وسأكون بجوارك إلى أن تتعافى...
نظر لها فارس ومسح دمع عينه وخرج من البيت وقدم نفسه إلى أول قسم شرطة وبمجرد أن دخل القسم طلب أن يقدم بلاغ، وبالفعل دخل للضابط الذي كان ينفث سيجارته بغضب وسأله:
-أين بطاقتك...؟
ارتجف فارس ومن ثم تمتم قائلًا:
-ليس لدي بطاقة، والبلاغ هو، أريد أن أبلغ عن نفسي، وعن تاجرة بالبشر، وتاجرة مخدرات...
قام الضابط بإطفاء سيجارته ووضع يداه الاثنان تحت ذقنه وقال له:
-ياااه، كل هذا، تفضل احكي...
-ولكن أرجوك يا باشا أن تجعلني أحكي لك كل شيء ولا تقاطعني وأن تصدقني ويمكنك أن تتأكد من صدق كلامي بعد الانتهاء...
قام الضابط بطرق المنضدة بقوة:
-لا تشترط عليّ يا روح أمك، أنا هنا من يعطي الأوامر.
هز فارس رأسه إيجابًا ثم قال له:

-حاضر يا باشا، سوف أحكي، أنا هربت من أبي في طفولتي لأنه كان يعنفني وعندما هربت تعرضت للخطف من عصابة تجار بالبشر وعلموني أنا وأطفال أخرين السرقة، وكانت البنات ببلوغهن يعملن في الدعارة، يمكنني أن أقول لك عنوان المعلمة سماح في إمبابة شارع... بيت رقم...

وبمجرد أن جئت إلى هنا سكنت في بيت في سيدي جابر بواسطة المعلمة قدرية التي عرفت فيما بعد أنها تاجرة ووسيط في تجارة المخدرات...

أوقف الضابط كلام فارس وقال له:

-وكيف عرفت أنها لها في تجارة المخدرات...؟

-سوف أشرح لك يا سعادة البيك في البداية أريد أن أقول لك عنوانها في سيدي جابر شارع... البيت رقم... كي تتأكد من صحة كلامي يا باشا...

ما سأقوله لك لن تصدقه ولكني أريد أن ارتاح من هذا العبء الذي اجتاح قلبي وصدري، وأريد كل واحد يأخذ جزائه...

أنا عرفت أن المعلمة قدرية تاجرة مخدرات من صديقي جواد...

قام الضابط بإشعال سيجارة وقال لي:

-ومن هو جواد وأين هو...؟

ابتلع فارس ريقه وحاول أن يتمالك قواه وقال:

-جواد هو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، هذا ما كنت أظنه...

-ماذا تعني بهذا الذي كنت تظنه...؟

-سوف أشرح لك يا باشا، لقد كنت في بيت مهجور وأنا هناك ظهرت لي من حيث لا احتسب فتاة، عبارة عن طيف، سألتها ما هي قالت لي أنها من المستقبل، حكيت لها قصتي وطلبت منها المساعدة، فرجعت بالزمن ورأت حياتي واكتشفت ما لم أكن أعرفه، قالت لي لا وجود لصديقي المقرب جواد، وأني أنا من كنت أسرق مع المعلمة سماح لا مجرد من كنت أساعد جواد، وأنا من كنت أتاجر وأتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، وقالت لي أني قبل ما أهرب في طفولتي أنا من تسببت في انتحار والدي ولكني كنت أظن أني هربت فقط هربًا من بطشه وقسوته... وكي تتأكد من وقوع حادث الانتحار سوف أذكر لك يوم هروبي في السادس عشر من ديسمبر عام 2010 اسم والدي هو فتحي عبد السلام، شبرا الشارع... رقم العمارة... هي تقول إن الحادث صار في نفس اليوم...

نظر له الضابط بتعجب وتسأل:

-من الذي قالت لك...؟

-عجيبة يا باشا...

ضرب الضابط المنضدة بقوة وهم واقفًا... وقال بغضب:

-هل أنت تتعاطى مخدرات يا روح أمك...؟ يا أمين...

دخل أمين الشرطة فهم الضابط أمرًا إياه بحزم:

-خذ هذا المخبول إلى الزنزانة، إلى أن نتأكد من صحة ما قاله...

قام الأمين بالتحية وقال:

-تمام يا فندم.

وهم بسحب فارس من يده ومن ثم نادى عليه الضابط فقام فارس بالالتفات إليه:
-أقسم لك أن لم يكن ما ذكرته لي صحيحًا لسوف أجعلك تهلوس بالفعل من شدة التعذيب لن تحتاج من بعدها أن تتعاطى مخدرات مرة أخرى يا ابن ال...
قام الأمين بسحبه وقال متمتمًا وهو يجر فارس:
-توقفوا عن تعاطي هذا السم يا ولاد الحرام...

*****

القيّ فارس في زنزانة فخر على الأرض، لا يدري ماذا فعل بنفسه، يسأل نفسه:
-كيف سمحت لها أن تلعب في عقلي وأن أصدقها، قالت لي سوف تساعدني، بل هي استغنت عني ورمتني في الجحيم... ليس لدي سوى أن أقول يا رب ساعدني...
بعد ساعة واحدة فقط جاء الأمين وفتح الزنزانة ونادى:
-فارس فتحي عبد السلام...
قام فارس ببطء من شدة التعب وقد سيطر عليه اليأس وقال:
-نعم، أنا فارس...
هم الأمين بسحبه بسرعة وقال له بحزم:
-هِم معي قليلًا سيادة الباشا يريدك...
دخل فارس وهو مطأطئ رأسه فقال له الضابط بنبرة مختلفة جعلت من فارس يرفع رأسه متعجبًا:
-أجلس يا فارس، لقد قمت بعدة اتصالات، وتمكنت القوات في القاهرة القبض على المعلمة سماح ومن معها، وتمكنت القوات من القبض على المعلمة قدرية في الإسكندرية، وتأكدنا من

انتحار والدك بالفعل، وهذا يثبت صدق كلامك، بالنسبة لشهادتك على المعلمة سماح وقدرية تم اعتبارك شاهد ملك، وبالنسبة لانتحار والدك بشهادة الجيران يقولون إنه رمى نفسه لم يسقطه أحد وتلك الفعلة كانت في صغرك ولكن لا يضر أن يتم عرضك على طبيب نفسي وإن أثبت مرضك النفسي سوف تؤهل للعلاج في المصحة...

اغلق المحضر يا ابني...

يا أمين اطلب له الطبيب النفسي...

ومن ثم خرج فارس من الغرفة وهو غير قادر على استيعاب ما يحدث له...

ومن ثم وهو يهم بدخول الغرفة الأخرى كي يتحدث مع الطبيب النفسي سمع صوت يعرفه جيدًا... التفت لصحاب الصوت بلهفة

كان الصوت صوت فريدة تقول له بلهفة:

-ألم أقل لك... أن الله ارسلني إليك كي أساعدك...

همس لها:

-كيف فعلتِ هذا...؟

ظهرت كطيف أمامه اشار لها وهو يحملق عينيه... فضحكت وقالت له:

-لا يراني سواك لا تقلق...

سألها بتعجب:

-كيف تفعلين ذلك...؟

قالت له بابتسامة مبسطة الأمر:

-كله في هذا الجهاز...

طبعا قراءي الأعزاء لا تتعجبون من قدرة هذا الجهاز في عام 2038 ها نحن ذا في عام 2022 ويمكننا في الواتساب أن نجعل الحالة الخاصة بنا تظهر لشخص والأخر لا، لذا لا داعِ للتعجب من إعدادات التكنولوجيا أبدًا...
اووووه، دعوني أكمل لكم ما جرى، ما دخل الواتساب الآن...
أكملت له فريدة وقالت:
-لقد تلبست الضابط وقمت بالإجراءات بأقصى سرعة، أنت تعرف تباطؤ الموظفين، وأنا ليس لدي وقت في مغامرتي يا فارس، وأنا من طلبت بإحالتك لطبيب نفسي وصدقني الطبيب غير الضابط سوف يصدق كل شيء تتفوه به، احكي، لأن كل ما تحكي أكثر يتم التشخيص أفضل...
نظر لها فارس بامتنان وقال لها:
-أشكرك يا عجيبة...
هنا صدر صوت الطبيب النفسي عندما ظهر في الغرفة وقال:
-احم احم، تفضل يا فارس، احكي لي ما مررت به...
هنا بدأ فارس يحكي للطبيب النفسي وتم احالته للمصحة النفسية عرفت فريدة اسمها ولم يسعها الوقت أن تكمل معه بقية اليوم...

*****

عادت فريدة إلى يومها العادي وهي تشعر أنها متعبة ولكن يجب أن تذهب للجامعة ضروري...
عادت للبيت مساءً وكانت متعبة جدًّا فنامت نوم عميق نامت وهي مرتاحة جدًّا بعد أن تمكنت من اكمال رحلتها ومغامرتها مع فارس...

الفصل السابع

العودة من جديد

فتاة طويلة وعريضة ذات شعر كستنائي طويل واقفة في مكان شبه مظلم، تمسك رقبتها وتأن، فاقتربت فريدة منها تحاول أن تساعدها، التفتت إليها الفتاة مسرعة، وسحبت السكين من عنقها وبكت بهستيريا وهي تمسك السكين وتؤشر به لفريدة وتقول:

-لم أقتل نفسي...

صدقي فارس...

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...

بدأت صورتها تتلاشى ولكن صوتها ما زال يتردد صداه...

-خلصيه من الشيطان.... خلصيه من الشيطان...

الشيطان...

*****

قامت فريدة من نومها وقد وثب قلبها من هول الكابوس... أخذت كأس الماء من جوارها واجترعت ما به من ماء وقالت بتعب:

-آه يا رب وأنا كنت أظن أن موضوع فارس قد أنتهى يبدو أن الموضوع قد عاد من جديد...

قررت فريدة أن تكتب التاريخ الذي وصل فيه فارس للمصحة النفسية، طبعًا فريدة عندما ترغب أن تزور فارس ويتذكرها يجب أن تكتب تاريخ أول لقاء لهما فما بعد، أي تاريخ قبل ذلك

إذا رآها فارس سيظن أنه لا يعرفها، فهي تكمل ما بدأته، وتكمل حيث توقفت...
كان فارس مقيد في السرير ويطير في الهواء ويصرخ ويقول:
-أنت وهم، أنت غير موجود، لا أحد يراك، إذن أنت غير موجود، سوف اتخلص منك، لن ادعك تسيطر عليّ، ابتعد عني... ابتعد...
وها هو الطاقم الطبي يهرع من جديد إلى فارس ويقومون بحقنه، يبدوا أن هذه النوبة تكررت معه من قبل...
وقفت فريدة تتسأل متعجبة:
-ما تلك الحالة التي يمر بها فارس...؟ لمَ كل فترة في حياته بأعراض مختلفة...؟ وهل بالفعل هو يرى جواد الآن حقًا...؟ اووه أن تلك الفتاة التي تشبهني التي أظنها أنها ياسمين قالت لي عليّ أن أصدق فارس، وأمي تقول الكلام في المنام حق.
أمسكت فريدة رأسها وقالت:
-آاه ماذا عليّ أن أفعل...؟ يا رب ساعدني ألهمني...!
هنا سمعت تمتمة فارس الأخيرة قبل أن يدخل في سبات نوم عميق، أنا لا أراك... أنت...وهم...وهم.
هنا التمعت فكرة في بال فريدة وقالت:
-لا يوجد أحد يرى جواد سوى فارس فقط، معنى هذا أني إذا تلبست فارس سوف أراه... لمَ لا أجرب...! كما تلبست الضابط وتحكمت به لمَ لا اتلبس فارس وأرى الحقيقة من منظوره هو... كي أفهم جميع جوانب الموضوع يجب أن أراه من الجوانب كلها بالفعل...

اقتربت فريدة من فارس، من ثم استجمعت قواها وقررت اختراق جسده، وبالفعل تمكنت فريدة من تلبس فارس وفتحت عيني فارس ولكن بمجرد أن فتحت عينيه رأت أمامها صورة طبق الأصل من فارس إلا فرق علامة شعله على رقبته، وكان يضحك ضحكة شيطانية وقال هامسًا:

-نهايتك على يدي يا فارس.... أوه أقصد يا فريدة... نهايتك ستقترب أنتِ كذلك إن اصررتِ على الاقتراب من فارس...

ومن ثم قهقه ضاحكًا ثم اختفى.

هنا لم تستطع أن تلبث أكثر من ذلك، قررت فريدة الخروج من جسد فارس بل وقررت الانسحاب من هذه المغامرة وخرجت مسرعة، قامت لاهثة خائفة، متسائلةً:

-ماذا عليّ أن أفعل الآن... ما هو هذا الجواد...؟ ما هي حقيقته... ولمَ يريد أن يتخلص من فارس...؟

هل أنسحب أم أكمل...؟ ولكن حياتي معرضة للخطر...!

قررت فريدة أن تذهب للجامعة ولكنها كانت شاردة الذهن، عقلها يفكر في فارس، وتتذكر صراخه ورفضه حقيقة جواد... اقنعته أن جواد وهم... ولكنه حقيقة.

ولكن كيف يكون حقيقة إذا كان حقيقة ولا يراه سوى هو ماذا يعني هذا...؟

هذا لا يعني سوى شيء واحد أنه...

أنه... شيطان.

ما هذه التخاريف يا فريدة... أتصدقين هذه التخاريف والماورائيات... أنتِ شابة عالمة دارسة... لا تستندي إلا للعلم وكفى...

يمكن سيطر عليّ تفكير فارس فرأيت ما يراه من شدة التفكير في جواد.
نامت فريدة في المحاضرة الثالثة غصب عنها، إن تلك المغامرات تؤثر على عقلها بشدة...
وما زال نفس الصوت يتردد في عقلها:
صدقي فارس...
صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...
افاقت فريدة من نومها على صوت الدكتور وهو ينادي عليها:
-فريدة، فريدة...! هذا ليس مكان للنوم.
هنا التفتت فريدة فرأت كل من في القاعة يضحك عليها، اعتذرت للدكتور وقالت له:
-أنا متعبة قليلًا يا دكتور اعذرني.
وقررت الخروج من المحاضرة...
وعادت إلى بيتها متعبة وما زال الصوت يتردد في أذنها:
صدقي فارس...
صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...
أصدق فارس...!
بالفعل بدأت أصدق فارس بعدما رأيت ما يحدث له من خلال عينه لا من منظوري أنا، ولكن عليّ أن أتأكد من المواقف التي حكى لي عنها، ولكن في هذه المرة سوف أكون أنا بداخل عين فارس كي أرى ما يراه.
كتبت فريدة في الجهاز تاريخ لقاءها بفارس ومن ثم حددت أن تكون طيف غير مرئي ولا محسوس ومن ثم تلبست فارس

وقامت بنسخ كل ما رأه فارس منذ صغره إلى هذه اللحظة من عينيه إلى عدسة عينها، ومن ثم عادت إلى بيتها.
قامت بنقل التجربة المخزنة على الجهاز إلى هاتفها وبدأت تشاهد حياة فارس من وجهة نظره.
أخذت تتخطى الكثير وتتوقف عند المهم أو ما ذكره لها فارس بالتحديد.
فارس بالفعل طفل ذا عشر سنوات يحاول الهرب ليلًا عندما لم يجد أباه ورأى أمه ملقاة أرضًا.
وبالفعل إنه يرى طفلًا يشبهه وبالفعل يقوم بكل ما ذكره لي...
جواد هو الذي يسرق.
جواد هو الذي يتعاطى مخدرات ويتاجر بها ويزني.
فريدة أوقفت المشاهدة وتعجبت، ومن ثم سألت نفسها بصوت مرتفع:
-ولكن كيف يا فريدة...؟ كيف الآن عندما رأيت من خلال عين فارس رأيت كل ما قاله لي بالفعل، وهذا معناه أن فارس ليس مريض نفسي...
ولكن كيف؟
أنا عندما رأيت المشهد من منظوري أنا لم يكن هناك وجود لجواد، كان فارس من يفعل كل تلك الأمور ويتحدث مع ذاته...
هذا بالفعل ليس له إلا تفسير واحد...
تفسير لا يتناسب مع عقليتي.
ألا وهو...
لا، لن أتعجل في تحليلي للأمر.

ياسمين جاءت لي في المنام وقالت لي: "عليّ أن أصدق فارس وفتحي".
الآن أنا قد صدقت فارس وعلي الآن أن أصدق فتحي.
جاءت فكرة في بال فريدة ألا وهي العودة بالزمن إلى ما قبل موت فتحي...
قالت فريدة في قرارة نفسها: "أنا رأيت الموضوع من ثلاث جوانب... الجانب الأول الحقيقة الغير كاملة أي ما يعلمه فارس فقط والجانب الثاني هي الحقيقة التي رأيتها بعيني أنا وهي التي لا يعلمها فارس والجانب الثالث هو وجود جواد التي لا يراه سوى فارس... لم يتبقى سوى الجانب الرابع للموضوع وهي نظرة فتحي... أكيد سوف أصل لطرف الخيط الذي سوف يصلني لحل...
أمي قالت إن الكلام في المنام حق...
يجب أن أتبع التعليمات... يجب أن أتبعها...
لن أخاف من جواد ولا من تحذيره...
هنا بدأ ضوء غرفتها في التذبذب وبدأت تشعر برجفة بسيطة، فقالت فريدة بثقة وهي تهم بإخراج سلسلة أمها المنقوش عليها لفظ الجلال "الله" وقالت بقوة:
-لقد رباني أبي على عدم الاستسلام وعلى عدم الخوف...
ومن ثم كتبت تاريخ قبل هروب فارس...
كان الوقت متأخرًا عندما وصلت الشقة وكان البخور يعبق جو المكان.
لفت انتباهها صوت بكاء رجل قادم من أحد الغرف.
اخترقت الغرفة، فرأته منكمش ويبكي نادمًا... ويقول:

-يا رب ساعدني على التخلص من هذا الشر الكامن به... يا رب أنا أعلم أني وحدي من سوف أتمكن من تخليصه لأني وحدي الذي تسببت في كل هذا...
ولكنك لا تريد أن تتوب عليّ بسبب ما فعلت... أرجوك ساعدني وخلصني من عذابي...
هنا قررت فريدة أن تظهر له وقالت له برفق:
-أرجوك لا تفزع مني، أنا جئت للمساعدة...
وقف مكانه وقال وتمتم:
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...
قالت له بلين كي تهدأ من روعه:
-حسنًا هيا بنا نقولها سويًا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أرأيت...؟ لم احترق... أنا من الأنس لا من الجن، ولكني جئت من المستقبل كي أنقذ ابنك، ابنك يتعذب وجواد يريد أن ينهي حياته.
نظر لها فتحي باستغراب وسألها:
-من هو جواد...؟
-جواد هو شاب يشبه ابنك فارس.
ومن ثم حكت فريدة الحكاية من جديد إلى فتحي وفهم وقال باكيًا:
-إن الشيطان هو من وهبني فارس ويريد أن يأخذه مني، كنت أريد ابن لي سند، ولكن بمجرد قدومه كان لعنة حياتي.
نظرت له فريدة باستغراب وسألته:
-الشيطان هو من وهبك فارس...! كيف هذا...؟ أنا أعلم أن الله هو من يهب كل شيء لا الشيطان.

بكى فتحي وخر أرضًا وقال:
-الله، الله لن يرضى عني بعد ما فعلت... الشيطان يا بنيتي قادر أن يفعل لكِ كل شيء بمجرد أن تؤمني به وتسجدي له وتكفري بالله... الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به... وأنا لم أشرك فقط بل كفرت... لم ألجأ للرب بل لجأت للشيطان.
فصارت حياتي جحيم بسبب الشيطان في الدنيا... وستكون جحيم في الآخرة بسبب عدم رضى الرب.
نظرت له فريدة وهي لا تفهم شيئًا وسألته:
-لا أفهم شيئًا لمَ لجأت للشيطان...؟
-السبب هو...
ولم يكمل كلامه وبدأ البيت في الارتجاف والضوء في الاهتزاز وصوت ضحك مخيف قادم من غرفة فارس، ومن ثم قام بكسر الباب وقام برفع أبوه عاليًا الذي كان يذكر الله ولكن قواه تزداد أكثر، ولم يخر فارس واقعًا إلا بعد أن لفحته أمه بمفرش منقوش عليه آيات قرآنية، ذلك المفرش شل حركته تمامًا.
وأنا بمجرد أن سمعت صوت فارس في البداية اخفيت نفسي، وها أنا أتابع ما يحدث، قام فتحي من على الأرض، ويقول لرحاب أن تحمل فارس لسريره، وجلب هو الحبال وقام بتقيده، ولكن حينها كان فارس في حالته العادية ولكن أبيه فتحي بدأ في ضربه ويقرأ القرآن، صار فارس يستنجد بأمه وما حدث أنتم تعرفونه جيدًا...

قررت فريدة العودة لحياتها ومن ثم ترددت وقالت في قرارة نفسها:
-لا ليس لدي وقت للراحة يجب أن استغل ما تبقى من وقت هذه الرحلة في معرفة الحقيقة، يجب أن أعرف ما فعله فتحي ولمَ...؟
قررت فريدة أن توقف الزمن، وتلبست فتحي، وقررت أن تنسخ ذاكرة فتحي من عدسة عينيه على عدستها الخاصة في أقصى سرعة.
خرجت مسرعة من جسد فتحي وأنهت التجربة تمامًا...
عندما عادت للواقع سقطت أرضًا وأغمي عليها...
يبدو أن التجربة أثرت عليها إلى أقصى درجة هذه المرة من هول وكمية المشاهد التي قامت بنسخها على عدستها التي تشكل لها ذاكرتها المؤقتة...
وبمجرد أن أفاقت أمسكت رأسها كانت تشعر بالدوار...
قامت بتوصيل جهاز السفر عبر الزمن لا سلكيًا بنقالها لمست خاتمها وعرضت كل الملفات على الشاشة المنبثقة أمامها...
كل ملف يحمل يوم من أيام فتحي...
قررت فريدة أن تتغيب عن الجامعة وذهبت لكي تعد كوب "النسكافية" القهوة سريعة التحضير الخاص بها ومن ثم بدأت بأول ملف وبأقصى سرعة وتتوقف عند المشهد المهم وكفى...
ومن هنا بدأت...

*****

الفصل الثامن

الشيطان

في عام 1996 في شهر يوليو ها هو فتحي يجلس على كورنيش النيل مع شابة في العشرينات من عمرها، إنها طويلة وعريضة وشعرها متوسط الطول وفاحم اللون، ملامحها تشبه فريدة ولكن غلب عليها طبع البلدي بسبب طريقة كلامها وكانت ترتدي عباءة سوداء ضيقة وحجاب غير مربوط يغطى نصف شعرها وملطخة شفاها بأحمر شفاه، وفتحي بجوارها يأكل الترمس ويبدو أنه في أواخر العشرينات.

أخذت تقول له وهي تتمصص شفتها:

-ألن تتقدم لي يا فتحي...؟

قام فتحي بوضع قرطاس الترمس جانبًا وأردف بضيق:

-آه بدأنا في اسطوانة النكد يا عليا...؟

-لست نكد يا فتحي ولكني سأمت من وضع العشاق هذا واللقاء من حين لآخر خفية، كل ما في الأمر أني أريد أن أكون لك...

-وأنا أريد ذلك بل وأكثر ولكن ليس بيدي حيلة... وأنتِ تعلمي أني لا أريد سواكِ...

-نعم أعلم أن قلبك لا يريد سواي، أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم.

فتح فتحي قرطاس الترمس وبدأ يأكل منه وهو يأكل متهكمًا:

-حياتي ستصير جحيم أكثر من الذي أنا به...!

ضربته برفق وقالت له:

-ألا تكف عن المزاح يا فتحي، يا فتحي أنا مرتبطة بك منذ ست سنوات ولم تقدم خطوة للأمام، إلى متى سأنتظر...؟
رمي فتحي قرطاس الترمس في النيل ونظر بغضب لعليا وقال لها:
-ماذا تريديني أن أفعل لك...؟ يعني أن رأيتني اتصنع الضحكة في وسط الهم نكدتِ علي، تكفي الدنيا علي يا عليا، ما الذي كان بيدي أن أفعله ولم أفعله قولي لي...؟ مرتبي الذي أخذه من وقفتي في المحل طول الشهر يكفي خروجنا سويًا وإيجار الشقة التي أعيش بها مع أهلي...
-بيدك يا فتحي، بيدك أنك وسيم...
-وسيم...! أول مرة أعرف أن الرجل يمدح لوسامته... وماذا سوف أفعل بوسامتي، أتريديني أن أمشي على حل شعري وأبيع شرفي... يا ليت ولكني رجل... لا فائدة من وسامتي.
نظرت له عليا بمكر وابتسمت وقالت:
-لا بل يمكنك أن تستغل وسامتك ونأكل الشهد...
نظر لها فتحي مستغربًا... وأردف بصوت مكتوم من الحيرة:
-لا أفهمك يا عليا... فهميني...!
-رحاب...
رسم ملامح الغباء على وجهه وتسأل:
-رحاب من...؟
-رحاب الذي تعمل عندها في المحل، صاحبة السوبر ماركت الموجود في عمارتها...
نظر لها فتحي وأشاح نظره عنها ونظر للنيل وقال ساخرًا:

-يعني رحاب سوف تترك كل من يريدها وسوف ترضى بي أنا...؟
-لا تعطيها أكبر من حجمها يا فتحي، هي أكبر منك أولًا وعمرها الآن ثلاثين وأرملة بعد عشر أعوام من الزواج للمعلم صلاح الذي كان يكبرها بثلاثين عامًا...
بينما أنت تصغرها، هي لم تعش شبابها يا فتحي، بل اشتراها رجل في عمر والدها ودفن شبابها، والآن هي محرومة من الزوج لها عام، العب على مشاعرها بحجة الحب، سوف تلين لك أنت، من يتقدم لها كلهم رجال متزوجين ومعهم أولاد فلا يهمهم إن كان بها عيب الانجاب أم لا لأنهم لديهم أولاد في الأساس الكل يريد أن يمتص شبابها ويتمتع بها، بينما أنت ستكون المختلف عنهم، أنت الشاب الوحيد الذي تجرأ على حبها وما يميزك عن بقية الشباب أنك وسيم، هي من ستطمع بالاستمتاع بك وأن تعوض نفسها بك عن حرمانها...
نظر لها فتحي باستغراب وسألها:
-هل أنتِ بالفعل تحبيني يا عليا...!؟
ضربته عليا على صدره وضحكت ضحكة متصنعة:
-طبعًا أحبك، وهل هذا سؤال يا فتحي...؟
نظر لها فتحي بجدية وسألها:
-كيف تحبيني وأنتِ تريديني أن أكون لغيرك...؟ أنا لا أحب سواكِ ولم تملأ عيني أي امرأة كانت... وإن كان من أجل المال لا أريده... أنا لم أخنك في خيالي تريدني أن أفعل هذا في الواقع...؟

وضعت يدها على كتفه ومن ثم لفتت وجهه تجاهها وقالت له بلين:
-أنا واثقة في إخلاصك لي يا فتحي... لذلك قلت ذلك لأني واثقة أنك سوف تنفذ الخطة وكفى ومن ثم نستمتع نحن في العز...
أرجوك اسمع لي يا فتحي، لقد سأمت الفقر والبعد...
أشاح فتحي نظره عنها وقال لها:
-لا أستطيع أن أفعل ذلك يا عليا صدقيني...
-إن كنت تحبني بصدق يا فتحي أفعل ما أقوله لك، جربها هل بالفعل سوف تميل لك أم لا، وإن لم تمل سوف أجعلها تميل بطريقتي...
نظر لها فتحي باستغراب وقال:
-وما هي طريقتك...؟
التفتت عليا ومصصت شفتها وقالت بتهكم:
-لا تتعجل الشيء قبل أوانه، وعلى العموم على رأى المثل أن فشل رجالها ما يتمها إلا نسوانها...
نظر لها فتحي متهكمًا:
-لم أسمع بهذا المثل من قبل...
قامت عليا بضربه على كتفه وضحكت وقالت:
-قطيعة تقطعك يا فتحي، اسمع وأنت ساكت.

*****

مر أسبوع وفتحي يحاول أن يجذب انتباه رحاب له كل ما تأتي للمحل، لا يتوقف عن النظر لها بإعجاب أو حمل أشياء ثقيلة أمامها مما يبرز من عضلاته وقوته وشبابه أمامها، ولكنها لم

تكترث له قط، ولكن في نهاية الأسبوع كانت المفاجأة عندما نادت عليه رحاب...
هرول إليها مسرعًا وهو يشعر أنه يطير من الفرحة وكأنه يقول:
-رحاب قلبها مال...
ولكنها سلبت الابتسامة من وجهه عندما همست له:
-إن لم تتوقف يا فتحي عن تلك الحركات والنظرات لي سوف أقطع رجلك من المحل، ولن يكون لك أكل عيش هنا، ولكني صبرت عليك لأني أعرف أنك مسؤول عن أهلك، وأنا لا أحب قطع الأرزاق.
حاول فتحي أن يدافع عن نفسه وتمتم متوترًا:
-ولكن يا معلمة أنا...
قاطعته رحاب وقالت له بحزم:
-لا لكن ولا غيره، مثل ما أنا لاحظت نظراتك لي هذا يعني أن كل من في المحل لاحظها كذلك، وأنت لا ترضى لي تلويث سمعتي، مثل ما أنا خفت عليك وعلى رزقك، خاف على سمعتي إلا والله...
قاطعها فتحي مستسمح إياها:
-أنا أسف يا معلمة... توبة يا معلمة... العين لا تعلو على الحاجب... آخر مرة يا معلمة.
ورحل مطأطأ الرأس وأكمل يومه وهو خذلان.
ثم في اليوم التالي أتت إليه عليا وكأنها تشتري شيء ما وسألته هامسة:
-ها سبع ولا ضبع...؟

نظر لها فتحي بلا مبالاة وتمتم:
-كلب...
-ماذا تقصد بكلب...؟
-مسحت بكرامتي الأرض مثل الكلب.
-لا يهمك يا فتحي، اترك الأمر لي.
-ماذا ستفعلين...؟
تركته ورحلت ولم تجبه، وعندما أوشكت الخروج نظرت لرحاب التي كانت تنظر لها ولفتحي، ومن ثم رحلت...
في اليوم التالي جاءت عليا لفتحي وقالت له:
-ضع ما في هذا الظرف في أي شيء لرحاب، كوب ماء، شاي، قهوة أي شيء، وادعِ لي...
نظر لها فتحي بغباء وسألها هامسًا:
-ما الذي في الظرف...؟
همت خارجة من المحل متبخترة ضاحكةً وقالت بصوت عال:
-سكر يا سكر...
ومن ثم نظرت نظرة مكر لرحاب ورحلت...
وبالفعل بعد قليل طلبت رحاب شاي وجلبه لها فتحي ولكن قبل وصوله المحل فتح الظرف وتفاجئ فعلًا أن ما بالظرف سكر... لم يهتم وضعه وقلبه وقدمه للمعلمة...
بعد قليل من الوقت، قالت له رحاب بصوت متعب:
-فتحي أنا سوف أعود للبيت أنا متعبة قليلًا...
هم فتحي تجاهها وقال لها بلهفة:
-أتريدين أن أوصلك يا معلمة...؟
-لا انتبه أنت للمحل...

وتحاملت على نفسها وصعدت، ظلت رحاب لا تنزل للمحل لمدة أربعة أيام، ولكن في اليوم الخامس جاءت المحل وهنا صدم فتحي بما رآه...
رحاب خلعت عباءتها السوداء وارتدت فستان وردي وحجاب موضوع على رأسها كاشف عن شعرها وكانت متبرجة، رحاب كانت بيضاء جدًّا واسعة العينين جميلة ذات شعر حريري كستنائي، هم فتحي ووضع لها الكرسي وهلل لها:
-نورتِ المحل يا معلمة، المحل كان مظلم من دونك والله.
ضحكت رحاب ولأول مرة يرى فتحي ضحكتها بالفعل:
-يقطعك يا فتحي ألا تتوقف عن الكذب أبدًا.
هنا فتحي لم يتوقف عن الكذب بل قلبه الذي توقف وقد خلع من مكانه بعد ما رأى ضحكتها التي زادتها فوق الجمال جمالًا...
ولكن سرعان ما أفاقته رحاب وقالت له وهي تطقطق أصبعيها كي يفق من شروده:
-فتحي، ما بك شارد هكذا...!؟
أفاق فتحي من شروده وتلعثم في الكلام وقال:
-أخاف أقول لك السبب يا معلمة تقطعي رجلي من المحل، وأنتِ تعلمي أنه مكان أكل عيشي...
نظرت له رحاب برفق وقالت له:
-قل ما تشاء يا فتحي، أنت لك معزة خاصة في قلبي.
هنا تسمر فتحي مكانه، يشعر أنه يحلم، كيف لرحاب أن تكلمه هكذا، هنا شعر أنه في السماء وطاقة القدر قد فتحت له.
قطعت رحاب شروده مرة أخرى وقالت ضاحكة متهكمة:

-وماذا بعد يا فتحي، هل سوف تقضي اليوم كله شارد وساهم هكذا...! هيا على أكل عيشك.
ابتسم فتحي وقال لها:
-أوامرك يا معلمة.
لم تزل ابتسامة فتحي عن وجهه وما كان يجعله يبتسم أكثر أن رحاب كانت تبادله نفس النظرات...
على المغرب نادت رحاب على فتحي ومن ثم قالت له:
-فتحي، أنا سوف أذهب لشقتي كي ارتاح قليلًا وأنت بعد أن تنتهي من عملك هنا وقبل أن تذهب لبيتك جهز كشف الحساب وإيراد الأيام السابقة كي أراهم غدًا.
ظل فتحي شاردًا في جمال عينيها وقال في قرارة نفسه:
-لا أدري هل العمل الذي قامت به عليا لرحاب كي تحبني أم لي أنا كي أهيم بها عشقًا إنها....
هنا قطعت رحاب شروده وقالت بابتسامة:
-ماذا بك يا فتحي...؟ ألن تتوقف عن شرودك وتكلمني مثل ما أكلمك...!
تمتم فتحي متوترًا:
-بصراحة يا معلمة أنا...
ابتسمت له رحاب ونظرت له نظرة تعطيه الأمان:
-أكمل يا فتحي وأنا كلي آذان صاغية.
ازدرد فتحي لعابه وقال:
-بصراحة أنا...
ضربته رحاب على صدره وكانت هذه أول مرة يشعر بلمسة يدها وقالت له وهي تهم بالتحرك أمام المحل:

-أكمل كلامك بسرعة يا فتحي أريد العودة لشقتي لكي أرتاح.
استجمع فتحي تركيزه وقال:
-أنا بحبك يا معلمة.
نظرت له رحاب وابتسمت له وقالت بتهكم:
-ولماذا تقول يا معلمة...؟
-العين لا تعلو عن الحاجب يا معلمة.
همت رحاب بالتحرك بدلال في طريقها لباب العمارة وقالت:
-إذا كنت تحبني حقًا لا تقل لي يا معلمة.
اتبعها فتحي وهو غير مصدق كيف رحاب تعامله هكذا ولكنه أكمل حواره معها:
-ماذا تريدين مني أن أناديكِ به يا معلمة...؟
-مرة أخرى معلمة...! اسمي رحاب، قل لي يا رحاب، أم اسمي لا يعجبك يا سي فتحي...!
وقف فتحي أمام باب عمارتها وقال وهو شارد في جمالها ويزدرد لعابه غير مصدق:
-سي فتحي...! يا لهوي على هذه الكلمة منكِ يا معلمة.
تصنعت رحاب الضجر وقامت بوضع يدها على كتفه كي تزيحه من أمام باب العمارة كي تدخل وقالت:
-يبدو أنك مصمم أن تضايقني بقولك تلك الكلمة، لذا دعني أصعد شقتي.
سد فتحي مدخل البوابة ببنيته الضخمة وقال لها بآسف:
-حقك عليا يا ست رحاب، ولكن لساني لا يطاوعني، أنتِ ستي وست العالم كله.

رفعت رحاب حاجبها وابتسمت له ومن ثم قامت بإزاحته من أمام طريقها وقالت بدلال:
-حسنًا يا فتحي، ولكن دعني أعود لشقتي أشعر ببعض التعب.
هم فتحي بالاقتراب منها كي يمسك يدها وقال لها بلهفة:
-تحبي اسندك لشقتكِ كي أطمئن عليكِ.
نظرت له رحاب نظرة حزم مصطنعة وقالت له وهي تبعده عنها وتهم بدخول مدخل العمارة:
-شقتي لن تصعد لها ألا بعد أن تكون زوجي أم الآن فلا.
اتبعها فتحي لاهثًا وأوقفها قبل أن تفتح باب المصعد وقال لها غير مصدق:
-وكيف لي أن اتزوجك يا معلمة "أيش جاب لجاب"...؟
نظرت له نظرة مطمئنة إياه وقالت:
-وما الذي ينقصك يا فتحي...؟ أنا أراك رجل تتمناك ألف واحدة غيري.
من ثم قامت بفتح باب المصعد وكتبت رقم الطابق الذي به شقتها، بينما فتحي استمر في شروده غير مصدق ما يسمعه وما يراه، ولكن قطع شروده صوت رحاب وهي تقول:
-الباب يا فتحي، اتركه كي أصعد.
استعاد فتحي تركيزه وقال لها بلهفة:
-أنا لا أصدق الذي اسمعه منكِ يا معلمة، اضربيني يا معلمة كي أفق من حلمي، أكيد هذا حلم ليس علم أبدًا.
-يمكن يكون حلم، ولكن ليس من الصعب أن يكون حقيقة.
هم فتحي بدخول المصعد بلهفة والباب أغلق من خلفه وقال بلهفة:

-ولكن كيف أحققه يا معلمة...؟
عطلت رحاب المصعد كي لا يتحرك وقالت له بابتسامة:
-بشرطين، الأول أن تتوقف عن كلمة معلمة.
قال فتحي بلهفة وتسرع:
-اتوقف عنها وعن أبوها تأمريني يا معلمة.
-يبدو ليس هناك فائدة منك دعني أصعد لشقتي.
أمسك فتحي بذراعها وكانت هذه أول مرة يجرأ على ذلك وقال لها:
-حقك عليا ولكن أكملي لي شروطك وأنا تحت أمرك.
-يمكن الحلم يتحقق بأن نتزوج.
فتح فتحي الباب بسرعة وخرج منه يطير فرحًا، أوقفته رحاب بصوتها بلهفة:
-إلى أين أنت ذاهب يا فتحي.
التفت لها فتحي بلهفة وقال لها:
-ذاهب لكي أتِ بالمأذون.
قالت له رحاب بدلال:
-ليس اليوم بل غدًا سيكون أفضل يا مجنون.
*****
وبالفعل تم الزواج وأخذا إجازة شهر العسل وقاما بقضاء شهر العسل في الإسكندرية ومن ثم عادا للعمل من جديد، كان الناس يحسدونهما بالفعل على حبهما لبعضهما البعض...
وعندما جاءت عليا للمحل طلبت رحاب من فتحي ألا تأتي للمحل مرة أخرى... لأنها تغير عليه بشدة.

كان يستغل الأيام التي تسافر فيها لأهلها أو متابعة أعمالها ويبقى هو بحجة متابعة أمور المحل ليقابل عليا سرًا في الشقة. كان يقابلها لا من أجل أنه ما زال يحبها ولكن من أجل أن يتخلص من ظهورها من حين لآخر.

مرت سنة ولم تحمل رحاب، فقالت له عليا:

-سحبنا مبلغ ممتاز من المغفلة رحاب.

نظر لها فتحي باحتقار وقال لها:

-ألا يكفي ما جمعتيه إلى الآن.

نظرت له بغضب وقالت:

-اسمها جمعناه، هذا المال لي ولك يا فتحي... ما بك يا فتحي...؟ لمَ تغير اسلوبك معي، أنا ملاحظة التغيير ولكن تحملت إلى أن أصل لمبتغاي... أقسم لك يا فتحي إن كان ما في بالي صحيح أنت تعلم ماذا سأفعل...أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم.

قام فتحي من مكانه وقال لها غاضبًا:

-يكفي تهديد، في كل مقابلة تهدديني.

همت خلفه وعانقته وهمست له برفق:

-آسفة يا حبيبي، ولكنك تعلم أني أحبك وأريدك لي وحدي.

نزع فتحي يدها عنه وجلس على الكرسي المقابل لها وسألها بحنق:

-وما هي خطتك التالية...؟

-نتخلص منها...

هنا صدم فتحي وهم واقفًا متوترًا متسائلًا:

-كيف نتخلص منها...؟

هنا اقتربت منه عليا متسائلة بتهكم:
-ولمَ فزعت وتوترت هكذا...؟ أتحبها...؟
أشاح فتحي نظره عنها كي لا تفضحه عيناه وقال محاولًا تمالك أعصابه:
-القصة ليست قصة حب، كل ما في الأمر أنكِ تتكلمين في قتل، وهذا أمر ليس هين...
التفتت ووقفت أمامه عليا وأمسكته من ذراعه وقالت له:
-ومن قال لك سوف نقتل، بل سوف أتصرف بطريقتي...
هنا سكت فتحي قليلًا ومن ثم قال اقتراح وقد رسم ابتسامة على وجهه:
-لدي اقتراح آخر يا عليا، لمَ نخلص عليها الآن ونأخذ فتات من الورث، بينما ننتظر إلى أن يكون لي منها ولد ونأخذ الجمل بما حمل.
-والله فكرة يا فتحي، أم هل تحبها يا فتحي...!؟
-لا أحب إلا أنتِ والمال فقط.
-إن كان على حب المال موافقة... ومن ثم عانقته، هنا رأت فريدة أن فتحي يختنق من أثر عناقها له.
تحملت عليا أن يكون فتحي لغيرها لعام آخر على أمل أن ينجب ولكنه لم ينجب قط، كان فتحي لا يبالي بالإنجاب مادامت معه رحاب.
في شهر اغسطس في عام1998 أي بعد مرور سنتين على زواج فتحي من رحاب صار مضطر أن يوافق على شرط عليا له، إن لم ينجب خلال تلك الفترة فلتبدأ هي وتتصرف بطريقتها.

سألها فتحي:
- ماذا ستفعلين وإلى أين تأخذيني معكِ...؟
-سوف نصل وتفهم كل شيء الآن.
ها هما يدخلان بيت متهالك في إحدى القرى بيت ممتلئ بالقطط السوداء، ومزدحم بكثير من الناس مختلفين الشكل والملبس، نظر فتحي لها وسألها:
-ماذا نفعل هنا...؟
همست له:
-ما أريد أن أفعله لا يمكنني أن أفعله بنفسي يجب أن تكون موجود أثناء الطقوس.
ترك يدها وابتعد عنها وقال لها:
-أي طقوس...؟
هنا التفت إليهما الناس، فسحبته من يده للخارج وقالت له وهي تكز على أسنانها:
-لا تفضحني ها هنا، اتبعني ولا تسأل كثيرًا لا تجعل غضب الشيخة يسقط علينا.
مر الوقت وها هما فتحي وعليا دخلا غرفة لا يوجد بها أي مصدر للضوء سوى شموع تعكس ظل تلك العجوز على الجدار مما زرع شعور الخوف في قلب فتحي، تتوارى تلك العجوز متشعثة الشعر الأشيب خلف بخور كريه الرائحة، سرعان ما سمع فتحي صوتها فخلعت قلبه من مكانه وزادته فوق الفزع فزعًا:
-اقترب يا ابن سيدة وصلاح، تريد المال والجاه، إليك ما تتمناه، ولكن نفذ ما أقوله لك، وسوف تجد مرادك تحت قدمك.

هنا نظر فتحي بتوتر إلى عليا، فوكزته كي يتقدم ويجلسا سويًا.
أول ما قالته العجوز الشمطاء بصوتها القوي الذي لا يتناسب مع سنها:
-اسجدا لسيدكما...
هنا اعترض فتحي وفز من مكانه، فأمسكت عليا يده كي يجلس مرة أخرى.
فترك يدها وقال بغضب:
-أجننتِ...!؟ من الذي يسجد ولمن...!
هنا ربتت عليا بيدها ع صدرها كي يسمع لها ولكن سرعان ما حول فتحي نظره عندما سمع صوت الساحرة التي تقول بسخرية:
-أنت من سوف يسجد يا ابن سيدة الخدامة وصلاح الحرامي.
هنا همست عليا وهي تقول له برفق:
-أرجوك دعنا نكمل ما بدأناه، لا تجعلها تنزل علينا سخطها.
نظر فتحي للساحرة وهو يخر على ركبتيه ويسألها بحيرة:
-ولمَ أسجد...؟ أنا أعلم أن السحر لا يتطلب هذا.
قالت الساحرة بغضب وهي تلقي بالمزيد بالبخور على الجمر المتلهب:
-علمني عملي يا فتحي.
هنا اقتربت عليا وقالت بخوف:
-اسمع الكلام يا فتحي ونفذه أرجوك.
هنا شعر فتحي برجفة في المكان وصارت شعلات الشمع تهتز وانطفئت، هنا ارتعب فتحي، ولكن سرعان ما رأى أمام عينيه

نار اشعلت بشدة بدلًا من الفحم، النار صارت تتأجج مثل الجحيم، وعيون الساحرة صارت حمراء وقالت بغضب:
-الآن.... قم بالسمع والطاعة.
بدأ فتحي وعليا يرتجفا رعبًا وسألها بخوف:
-ولكن لمَ...؟
-تعويذة جلب المال... تحتاج الولاء لسيد الجان كي يتغير لك الحال...
تمتم فتحي وقال لها بتردد:
-ولكن... لم أكن أظن هذا...
هنا ارتجفت الغرفة بشدة، وظهر دخان رمادي كثيف، ومن خلف الدخان بدأ يتكون جسد ضخم ذا جلد أسود مثل الفحم وله أجنحة ضخمة مرتفع عن الأرض برغم عدم استخدام أجنحته، جسده أشبه بالبشر ولكن بضخامة وجلد بشع، وملامحه كانت مفزعة، عيناه كانت مثل عيون الثعبان ولكنها كانت عبارة عن جمرتين ملتهبتين ينبعث منها الشر في نظرته وأنفه كان مطموس بداخل وجهه، ويخرج من رأسه قرنين أسودين، تصلب كل من فتحي وعليا من شدة الصدمة ولكن سرعان ما وقع على مسامعهم صوت قادم من الجحيم:
-اسجدوا لي يا أولاد أدم، ولكم عندي ما تتمنوه...
هنا تجمد فتحي فزعًا من صوته ومن لسانه المشقوق ومن طلبه أن يسجدوا إليه.
ولكن ترده لم يدم كثيرًا لأنه فجأة اهتزت الغرفة بشدة وبدأت جدران الغرفة في السقوط ولكن سرعان ما تغير المكان إلى مكان أشبه بالجحيم وها هو فتحي وعليا يمسكان ببعضهما على

منحرف صخري أسفله حمم بركانية ملتهبة، بدأت عليا تصرخ وهي تمسك بفتحي وتقول باكية:
-أرجوك، لا تفعل ذلك سنسجد لك، سنسجد لك.
في غمضة عين رجعا إلى نفس الغرفة ولم يصب الغرفة أي تغيير، هنا نزلت عليا ساجدة وقبل أن تسجد سحبت فتحي كي يسجد معها... وبالفعل قد سجد.
بمجرد أن رفعا رأسهما من السجود لم يكن للكيان الشيطاني وجود.
ارتجفت الغرفة واهتز ضوء الشموع إلى أن أطفأ تمامًا... ومن ثم أضرمت النار فجأة، من ثم... لا شيء...
استعاد فتحي وعيه وبعد نفسه عن عليا وهو يحاول أن يواري سوءته وينظر حوله غير مستوعب ما حدث.
ما هذا...؟
يوجد شيء حدث لم يره فتحي بعينيه...
يجب أن أعود بالزمن وأكون أنا طرف خارجي وأرى بنفسي.
ها هو فتحي يصرخ بقوة ويرجع ظهره للخلف وكأن شيء قد تلبسه، من ثم رجع لوضعه ببطيء وفتح عينيه بسرعة فكشفت عن جمرتين ملتهبتين، وهم بالتقرب من عليا و...
لا داع لذكر ذلك المشهد الوحشي، من ثم صار جسد فتحي ملقى أرضًا وكأنه خاوي تمامًا من أي روح... وعليا فاقدة للوعي وعلى وجهها ملامح من تعرض للتعذيب.
واقتربت الساحرة ومعها قطعة قماشية من عليا الفاقدة للوعي.

أمسكت بالقطعة القماشية التي صارت مبللة ومن ثم بإشارة منها فاقا عليا وفتحي، يشعران بدوار رهيب ويهمان كي يواريا سوءتهما.
ونظرا للساحرة التي كانت تكتب تعويذة بذلك الدم، وكانت تتمتم بكلمات لم يفهماها قط ومن ثم قالت لفتحي:
-بهذه التعويذة ستكون رحاب خاتم في أصبعك يمكنك أن تكتب لك كل أملاكها بكامل إرادتها.
نظر لها فتحي متعجبًا:
-كل أملاكها من هذه التعويذة...! يعني هذا يعني لا داعِ لفكرة الحمل من الأساس... يعني لا يوجد داعٍ أن نجرب فكرة الحمل مع عليا من الأساس لأنه لا داعِ لهذا الأمر.
نظرت له الساحرة بتهكم وقالت له ساخرة:
-ابنك في رحمها الآن.
نظر فتحي بصدمة وقال:
-ابني...! أنا لم أفعل شيء...
-بل فعلت، لقد استخدمك لوسيفر كوعاء له، لا يوجد نكاح بين الجن والأنس إلى من خلال التلبس ببشري...
قالت عليا بصوت متألم:
-أشعر بنار في رحمي...
قالت لها الساحرة بلا مبالاة:
-بعد قليل ستكونين بخير، إنه ابنك من فتحي.
قال فتحي معترضًا:
-ليس ابني، أنا لم أفعل شيء...
قالت الساحرة بنبرة رخيمة وهي تكمل كتابة تعويذتها:

-بالفعل أنه ليس ابنك لأنك عقيم، ولكن الماء مائك أنت، ولكن وجوده مثل عدمه، ولكن بقوة سيدنا تم الحمل...
ابتعد فتحي وهَم يحاول الهرب وهو يقول بذعر:
-أنه ليس ابني، إنه ابن الشيطان، ابن شيطان.
ولكن الساحرة أوقفته ورفعته عن الأرض وقالت:
-إذا خرجت الآن لا يوجد أحد سوف يخسر سواك.
ومن ثم قامت برميه بقوة على الأرض في إحدى زوايا الغرفة.
هنا نظرت له عليا بغضب وقالت له:
-أنا فعلت ذلك لأني اعلم أنك خسيس سوف يأتي يوم وتتركني وتأخذ كل شيء لك وحدك، لذا قررت أن يكون بيني وبينك هذا الطفل كي يكون له ما سيكون لك.
أنت تعلم جيدًا أني يمكنني أن أجعلك تخسر كل شيء، هذه الساحرة تكون عمتي وبيدها أن تحول حياتك جحيم.
يمكنني مثل ما جعلت رحاب تحبك يمكنني أن أجعلها ترميك رمية الكلاب.
إن أردت أن تفوز بمالها فسوف أفوز به معك.
وإن قررت أن تبعد عني، سأجعلك تخسر رحاب وتكون لي كلب تابع لي.
هنا حاول أن يقوم فتحي وهو يشعر بالذل وكأنه في وكر عصابة تمكر له، ومن ثم قالت له الساحرة:
-اسمع يا فتحي خذ هذه التعويذة وأجعلها تبيت في رحم زوجتك ليلة كاملة.
توتر فتحي وسأل:
-وما فائدتها...؟

-ما بداخل هذه اللفافة سيجعل زوجتك تحمل منك ولكن ضعه بداخلها بعد الانتهاء، أي بعد نوم زوجتك.
ومن ثم ضربت رأسها متذكرة وقالت:
-أه نسيت يجب أن تجعلها تشرب هذا المسحوق في أي مشروب قبل أن تنام، يعني بمجرد عودتك لبيتك في أي وقت يناسبك ولكن لا تنسى أن تفعل الاثنان في نفس اليوم المشروب أولًا واللفافة بعد الانتهاء.
-ما هو هذا المسحوق وما فائدة الانجاب ما دام ستكون مثل الخاتم في أصبعي فلأنقل كل أملاكها باسمي وكفى...؟
-هذا المسحوق ستكون به مثل الخاتم في أصبعك ولكن من قوة السحر الذي سوف يجري في جسدها بسببه سوف تفقد الوعي فاستغل أنت هذا الوقت وضع بداخلها هذا العمل طوال الليل وسوف يتحقق مرادك...
وفكرة الانجاب منها من أجل شكلك أمام الناس، أتريد الناس يتلسنون عليك بأنك الرجل الذي تزوج من أجل أن يستغل زوجته وينقل كل أملاكها لصالحه.
أم تكون أمام الناس غير مستغل بل محظوظ بأنك رزقت بطفل منها فصارت أملاكها لك وحدك والوفاة قضاء وقدر، ولكن قضاء وقدر وأنت غير مستغل أمام الناس أفضل بكثير.
نظر فتحي مصدوم وقال:
-كيف تفكران هكذا...؟ كيف...؟
نظرت له الساحرة بحزم وأشارت له بسبابتها:
-أحذرك، لا تلعب مع عليا، نفذ ما تريده منك وكفى.
أومأ فتحي برأسه وأخذ عليا وخرجا.

*****

وبالفعل عاد فتحي، وكان العرق من شدة التوتر يملأ وجهه، نظرت له رحاب متعجبة فسألته برفق وهي تقترب منه:

-ما بك يا فتحي، لمَ أنت شارد هكذا...؟

سرح فتحي في عينيها البريئتين ولعن نفسه مليون مرة على وقاحته وحقارته لأنه يستغلها من ثم فاق من شروده عندما شعر بلمسة يدها على خده وهي تكرر سؤالها، فأخذ يدها من على خده وقبل باطنها ومن ثم قال لها هامسًا وعينيه تحكي أنه نادم على ما فعله وما سوف يفعله بها ومن ثم رسم ابتسامة زائفة وقال لها برفق:

-متعب بعض الشيء يا حبيبتي بسبب سفري اليوم لمتابعة موضوع أرض السادس من أكتوبر، كنت أعرضها على مشتري ولكنه غير رأيه.

نظرت له بلين وهي تمسك كلتا يديه وسألته بصوتها الحاني:

-أهذا ما يعكر مزاجك إلى هذا الحد...؟

فضحك لها وقال لها وهو يهم بالنهوض:

-وكيف لمزاجي أن يعكر ما دمتِ معي...؟

وهم برفعها وحملها على كلتا يديه فضحكت رحاب ومن ثم نفذ بالفعل ما طلبته منه الساحرة.

لم يستطع فتحي النوم من شدة تأنيب الضمير، يسمع صوت نابع من داخله يطلب منه ألا يكمل آخر جزء من الخطة، وهو أن يقتل رحاب بعد أن تنجب بفترة ويتزوج بعدها عليا بفترة أخرى.

ينظر لرحاب الراقدة بجانبه، يمسح على شعرها الحريري، ويفكر ويتردد، محتار يتذكر عليا التي كان يحبها ولكنه تشكك في حبه لها هل حقًا كان يحبها بإرادته أم كان تحت تأثير سحر ما... هناك صوت بداخله يقول له أنه يحب عليا... ولكن ما فعلته اليوم جعله يتردد.

شعور مؤلم جدًّا أن يشعر المرء أنه تم إجباره على شيء... شعور مؤلم أنك مجبور أن تكمل مع أحد... كان من الممكن فتحي أن يكمل مع عليا ولكن شعوره أنها تريد ذلك بالإجبار جعله ينفر... إلا الحب والزواج لا يمكن أن يكون بالإكراه أبدًا... إذا صار الحب أو الزواج بواحد في المئة بالإجبار تصير الحياة جحيم.

وبالفعل مع ظهور شمس النهار أخرج فتحي العمل من داخل رحاب... ولكن بمجرد أن أخرجه منها فاقت من نومها مفزوعة فقام فتحي بمداراة العمل في يده وباليد الأخرى قام فتحي بضمها مهدئًا إياها.

سألها فتحي وهو يمسح على شعرها:

-ما بك يا حبيبتي...؟

قالت رحاب لاهثة مرتعبة وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

-كابوس يا فتحي كابوس.

بدأ فتحي يمسح على شعرها ويقول لها برفق:

-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا بجانبك لا داعِ للخوف ما دمت معكِ.

خرجت رحاب من حضنه وقالت له بنظره فزع:

-لقد رأيت وحش بشع المنظر كان... كان...

بدأ فتحي يهدئها كي تكمل كلامها:

-كنت أصرخ ولكن صراخي كان مكتوم، إلى أن شعرت أن لهيب يصب بداخلي هنا لم اتحمل الألم فصرخت بشدة وتمكنت من الخروج من هذا الكابوس.
حاول فتحي تهدئتها وتركها كي تنام وترتاح وقام ورتب نفسه كي يكمل أعماله.
هنا كانت فريدة تنظر لهذا المشهد وتقول في قرارة نفسها:
-يبدو أن ما مرت به رحاب حدث أثناء خروج العمل منها، العمل خرج منها في ثواني ولكن في عالم الأحلام والروح الثواني تعني الكثير.

*****

بدأت فريدة تتخطى الوقت سريعًا إلى أن جاء المغرب ظلت تتبع فتحي أينما ذهب ولكن سرعان ما رأت فتحي راكب سيارته وفي نهاية الشارع كانت هناك عليا تقف، وأشارت له أن يقف، قال لها بتردد وهو يرد عليها من نافذة السيارة:
-عليا اعذريني، لدي مشوار ضروري، أرجوكِ أجلي حديثك إلى أن أنتهي من عملي.
نظرت له بمكر وبثقة وقالت له:
-أنا من أحدد يمكن أن نتحدث أم لا... ولن أخذ من وقتك الكثير لأن في الأول والآخر عملك هو عملي... المنفعة تصب لي في النهاية.
تنفس فتحي الصعداء وسلم أمره وقال:
-ماذا تريدين يا عليا...؟ اسمعك.
هنا التفتت عليا وقامت بفتح باب السيارة وقالت بثقة وهي تهم بالجلوس وفتحي ينظر لها باستغراب:

-سوف نتكلم في الطريق.
ومن ثم قالت وهي تبتسم ابتسامة صفراء وهي تهم بلمس وجه فتحي وقالت بصوت أشبه بالفحيح:
-اشتقت إليك يا فتحي، اشتقت إليك كثيرًا.
التفت فتحي وبدأ في قيادة سيارته ومن ثم تمتم شاردًا:
-وأنا اشتقت إليك.
ظل فتحي شارد يسمع لعليا ولكن بدون انتباه، ويومأ برأسه مع بعض التمتمة، سألته عليا بفضول:
-ما هو العمل الذي سوف تذهب إليه الآن يا فتحي...؟
لم ينتبه لها فتحي فكررت سؤالها فنظر لها وقال بشرود:
-أنا... كنت أريد أن أمر على أرض رحاب الموجودة في السادس من أكتوبر وهناك سوف يقابلني أحد.
ومن ثم جالت في خاطرة فكرة فضرب رأسه وقال بابتسامة متصنعة:
-أقصد أرض دمنهور، لذا يكفي هذا وسوف أجعلك تعودين لبيتك كي لا تقلق عليكِ أمكِ يا عليا.
نظرت له عليا بلا مبالاة وهي تتنفس الصعداء ببرود:
-لا تشغل بالك بأمي هي تعلم أني يمكن أن أتأخر في العمل، ولكن هذه المرة سوف أقول لها أن العمل كان كثير عند الست هانم وتعبت وقمت بالبيات هناك.
ومن ثم نظرت بقوة وقالت:
-طول ما أنا كاسرة عينها، ليس لها حق أن تلومني.
التفت لها فتحي في ثواني محاولًا إقناعها بالعودة:

-ولكن أمكِ مريضة وسوف تقلق عليكِ ولها حق أن تطمئن و...
زاد غضب عليا وقالت بتهكم وحنق:
-لها حق عليّ...! لا يوجد أحد له حق عليّ، أبي الذي أنجبني ورماني لا أعني له شيئًا ولا كأني قطعة منه.
ولا أمي التي بمجرد أن شب عودي وأنا مطحونة في العمل كخادمة في البيوت لأنها لا تقدر على فعل شيء.
لم يكن أحد في يوم مسؤول عني، بل أنا المسؤولة على كل شيء، لذا لا يوجد أحد له حق عليّ، وهيا أنا معك ورجلي على رجلك في القادم متى أشاء.
صمت فتحي عندما وجد أن لا فائدة من إقناعها أو التملص منها، ولكنه بعدما سرح قليلًا جالت في خاطرة فكرة أخرى فابتسم ابتسامة بسيطة على طرف فمه، فنظرت له عليا باستغراب وقالت له:
-ماذا يجول في خاطرك يا فتحي...؟
أفاق فتحي من شروده وقال بتوتر:
-لا، لا شيء يا حبيبتي.
فسألته عليا بتعجب:
-ولكن يا فتحي ماذا سوف تفعل فور أن تصل دمنهور...؟ لأننا سوف نصل في وقت متأخر.
رد عليها فتحي وهو منتبه للطريق:
-أريد في بداية الأمر أن أمر بحارس الأرض ومن ثم يجب عليّ أن أمر على بيت الحاج رجب وسيقوم بضيافتي، أنتِ تعلمي أهل دمنهور أهل كرم.

نظرت له عليا بلا مبالاة:
-للحق لا أعلم.
تمتم فتحي وأكمل كلامه:
-ولكن بما أنك معي، سنمر على الحارس فقط، ومن ثم نبحث عن أي لوكاندة حتى الصباح ومن الغد أباشر العمل.
وصلا أمام الأرض المحاطة بسور وعليه لوحة توضح ملكية رحاب لها.
هنا لم تتمالك عليا نفسها عندما وقفت أمام سور الأرض وقررت الخروج من السيارة... فخرج وراءها فتحي وهو ينادي عليها بتعجب:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا عليا...؟
وقفت عليا بشموخ وقالت بكبرياء وثقة وهي تلتفت لفتحي:
-أريد أن أرى أرضي هل تمانع...؟!
هنا ابتسم لها فتحي وقال لها:
-لا أمانع أبدًا، كل هذا الذي نحن فيه بفضل عقلك.
ومن ثم التفت فتحي وفتح السيارة... هنا نظرت له عليا وسألته:
-ماذا تفعل يا فتحي...؟
رد عليها وهو منحني كي يجلب شيء من السيارة:
-أجلب السجائر فقط يا حبيبتي.
ومن ثم التفتت عليا وظلت تنظر إلى اللوحة المعلقة على سور الأرض وهي تتخيل اسمها بدلًا من اسم رحاب... ومن ثم وهي تلتفت وتقول لفتحي:
-لا تبيع هذه الأر...

لم تكمل كلامها من هول صدمتها مما رأت أمامها... قالت بذعر:
-ما هذا الذي في يدك يا فتحي...؟!
نظر لها فتحي بتهكم وقال لها:
-ألا تعلمين ما هذا يا عليا...؟
هنا ترددت عليا وبدأت تتراجع إلى الخلف وهي تنظر إليه نظرة توسل:
-أعقل يا فتحي، ماذا جرى لك...؟! أنا عليا حبيبتك.
قال فتحي بتذبذب وتردد وهو يقترب منها:
-حبيبتي...؟ كنتِ حبيبتي إلى أن ظهر وجهك اللئيم الطماع يا عليا... لا أدري هل بالفعل أحببتك أم جعلتِني أحب...؟
هنا بكت عليا وقالت بندم:
-أقسم لك لم أقم بأي شيء كي تحبني، حبنا صادق يا فتحي أرجوك لا تجعل الشيطان يدخل بيننا وينسيك حبنا.
هنا ضحك فتحي بسخرية:
-شيطان... شيطان يدخل بيننا...
وقهقه ضاحكًا بهستيريا وسقط على ركبتيه من شدة الضحك التهكمي، ومن ثم رفع رأسه ونظر إليها بكره وقال لها:
-شيطان يدخل بيننا...!
من ثم قام واقفًا واقترب منها وهو يقول:
-بسببك جعلتني أسجد للشيطان.
هنا اعترضت عليا وقالت بغضب وتبجح:
-الآن ترمي اللوم كله عليّ يا فتحي، ألم تسجد له بسبب طمعك ورغبتك في المزيد من المال...!

هنا تذبذب فتحي وأمسك برأسه وقال بغضب:
-كله من وراء رأسك يا ابنة الشيطان، لم أفكر في يوم لا في مال ولا غيره، بسببك أدخلتني في دوامة ليس لها مخرج ورحاب ضحية طمعك وجشعي...
هنا اقتربت عليا ونظرت له بشر وقالت له:
-يعني تغيرك عليّ بسبب رحاب...! أحببتها يا فتحي...؟
نظر فتحي وقال لها وهو ينظر في أم عينيها:
-نعم أحببتها... أحببت براءتها لأنها ملاك، ليست مثلك...
ومن ثم التفت ومسك رأسه وقال والدموع تنزل من عينه:
-لقد خدعت بكِ، كنت أظنكِ ملاك ولكن حقيقتك أنكِ لا تختلفين عن الشيطان شيئًا.
هنا قالت عليا بتبجح لفتحي الباكي:
-يعني الآن كرهتني، وتريد أن تقتلني يا فتحي...! تقتلني أنا وابنك.
ثار فتحي ودفعها أرضًا فسقطت صارخة متألمة من قوة الدفعة واقترب منها فتحي مؤشرًا إليها بالمسدس ذا كاتم الصوت وقال:
-ليس ابني، بل إنه ابن شيطان، سوف أخلص العالم منكِ ومن بذرة الشيطان التي بداخلك.
هنا نظرت له عليا بثقة وعلى ثغرها ابتسامة وقالت:
-صدقني يا فتحي إن لم تكن لي أنا سوف تتحول حياتك إلى جحيم.
قال لها فتحي وهو يهم بالضغط على الزناد وقال ببرود وهو يمسح دمعه باليد الآخرة:

-لن تحولي حياتي جحيم لأني سوف أخلص عليكِ الآن.
نظرت له عليا بتهديد وتوعد وقالت له بعينين تقدح شررًا:
-استعد لجحيم حياتك.
-الجحيم هو أن أكمل معكِ أيتها الشيطانة.
ومن ثم قام بإطلاق عليها جميع رصاصات المسدس، فرغ الرصاصات في عقلها وقلبها وبطنها التي تحمل شيطان بداخلها ومن ثم هم بالحفر بكلتا يديه إلى أن جرح أصابعه، كان يبكي بحرقه لا يدري لما يبكي، أكيد لا يبكي عليها ولكن يبكي على حاله الذي صار عليه، بسببها سجد للشيطان وخسر رضا ربه وسرق وقتل وخدع، يبكي ندمًا متمنيًا أن لم يكن يعرفها قط.
ومن ثم بعد أن دفنها... قام ب...

*****

قالت فريدة في قرارة نفسها:
-هذا يكفي لا داعٍ لكي أكمل القادم واضح.
لذا قررت فريدة التوقف عن المشاهدة ومن ثم قامت من سريرها تمسك رأسها متعبة مما رأت فأعطت أمر للروبوت بتجهيز قهوة كي تفق قليلًا وتجمع أفكارها.
ها هي ترتشف قهوتها وهي تنظر لحديقة بيتها من عل.
قررت أن تجلس في الهواء الطلق.
كثرة الضغط عليها من كثرة الرسائل والكوابيس التي تراها اتعبتها قليلًا.
نزلت الدرج وهي تكمل فنجانها، من ثم طلبت من الروبوت فنجان آخر وأن يجلبه لها في الحديقة.

قالت فريدة بحيرة في قرارة نفسها:
-يعني ما رأيته الآن يدل على أن الطفل الذي مات في رحم عليا هو جواد أخ فارس.
يعني استنتاجي من تجربتي مع فارس أنه يوجد جزء فارس لا يدري عنه شيئًا وأنا تأكدت بنفسي من وجود جواد في حياة فارس فقط، هذا معناه أن الأساس في أغلب الأحداث هو جواد لا فارس، أوه، أقصد أنه جسد فارس ولكن جواد هو المتحكم به وفي عقله، لذا فارس لا يدري شيء عن كل ما كان يقوم به.
وبالفعل من يسرق ويزني وبقية تلك الأمور كان هو جواد وحده، إن فارس ما هو إلا قالب لجواد.
ومن ثم يقوم جواد بنسخ أحداث معينه وكأنها مشتركة لهما سويًا أمام الناس، لا وجود لتلك الأحداث إلا في عقل فارس.
لا وجود لجواد وفارس سويًا سوى بمفردهما... غير ذلك هو جواد من يقوم بالشر كله... بينما فارس يقوم بالخير فقط، أما مجرد أفكار تجول في خاطره يزرعها جواد، أما ظهوره بالفعل لفارس كي يتعلق به ويجرجره لفعل ما هو خاطئ.
إن جواد كان منذ البداية يزين الشر ويغوي فارس بكل الطرق ولكنه لم يغوى أبدًا.
أغواه بلذة السرقة وخفة اليد وكثرة المال، ولكنه لم يقبل أن يستمر في حياته بكونه محتال.
زين له الشهوة والزنى ولذة المتعة والانتشاء بالمخدرات ولكنه لم يحب أبدًا حاله هكذا.
الشيطان يحاول معنا بأكثر من طريقة.

طريقة إغوائه لكل منا تختلف، إذا فشل في إغواءنا بطريقة ما يبدأ في تجربة طريقة أخرى.
حاول أن يقنعه أن الله غير موجود وأن الله لا يساعد فلا داعِ للاعتماد عليه.
وغير ذلك الكثير، وعندما فشلت كل محاولاته مع فارس بدأ في الخطة الاساسية له منذ البداية ألا وهي الانتقام...
الشيطان ينوي لنا منذ البداية الانتقام، الانتقام أن طعنا أو أن رفضنا.
ولكن أن أطعناه سوف ينتقم منا بعد أن خسرنا رضا الرب، بينما إذا كنا عباد صادقين في إيماننا فليس للشيطان سلطان علينا كي يتمكن من إغوائنا... أو الانتقام.
أوه، ولكن لمَ يريد الانتقام من فارس.
ذلك لأن جواد ليس شيطان بل هو مزيج من عليا ولوسيفر، أي أنه قام برسالة أبيه ألا وهي الإغواء فقط، ولكن عندما فشل بها بدأ في تطبيق الخطة الأساسية الخطة الأنسية التي املتها عليه أمه عليا.
معروف أن شر الأنس يكون أكثر بكثير من شر إبليس وبنيه أحيانًا.
لقد سمعت كثيرًا أن من يُقتل تظل حياته معلقه في الحياة للانتقام.
ولكن ماذا عليّ أن أفعل الآن لفارس...!
إن تحليلي كان خاطئ بأن فارس مريض نفسي، وفكرة أنه موجود في المصحة ولا أحد يصدق ما تراه عيناه هذا يدل على أن جواد سوف يبدأ في تعذيبه وقتله تدريجيًا.

الموت التدريجي من خلال العذاب يكون أشد وأقوى من القتل مرة واحدة.
إن جواد عقلية مريضة مثل أمه.
ضربت فريدة رأسها وتقول بصوت عالي وهي تنظر للسماء:
-يا رب ساعدني، كيف لي أن أساعده...؟
من ثم تذكرت شيء وقالت بشك:
-ولكن عليا قد ماتت بالمسدس وأنا رأيتها في المنام قد قتلت بالسكين.
هل التحذيرات التي أراها أثناء نومي غير صحيحة...؟!
أكملت كلامها وحيرتها وهي تهم واقفة وتقول:
-لا أدري، لا أدري شيء.
هنا قطع كلامها مع نفسها وميض خاتمها...
كانت أمها هي المتصلة، هنا جال سؤال في بال فريدة فقالت بسرعة وبشكل مباشر مقاطعة صوت أمها التي تطمئن عليها:
-بخير، بخير يا وتين، ولكن عندي سؤال لكِ، أنتِ قلتِ لي: "إن الكلام في الرؤيا حق...!".
قاطعتها أمها وأردفت بهدوء:
-نعم، صحيح يا...
قاطعتها فريدة بتعجل:
-وتين انتظري قليلًا، أعلم أنه صحيح، ولكن سؤالي هو ما معنى القتل بالسكين في المنام؟
قالت لها أمها بنبرة مازحة كي تهدأ من جدية بنتها:
-وهل يمكن أن أرد الآن يا أستاذة فريدة...؟
بتعجل فريدة المعهود مع ابتسامة قد اخترقت قلقها:

-تفضلي يا وتين.
-القتل بالسكين في أغلب الأحيان يؤول بالأذى والغدر، ولكن على حسب من الذي قتل ومن الذي حلم و...
قاطعتها فريدة بسؤال آخر بجدية:
-يعني إذا رأى المرء أن هناك من قُتل بالسكين هذا ليس شرط أن يُقتل بالسكين...!
-لا ليس شرط يا ريدا، يوجد الكثير من الكتب التي تخص تفسير الأحلام موجودة في مكتبة البيت يمكنك قراءتها، لو مهتمة بهذا العلم.
هنا بدأت فريدة تنهي المكالمة كي ترتب أفكارها:
-حسنًا يا وتين، سوف أفعل ذلك، ولكن لدي الكثير من الأمور عليّ فعلها سوف أتصل بك في وقت آخر.
تعجبت وتين من بنتها وأردفت:
-تتصلي بي...!
ولكن لم تكمل كلامها لأن فريدة كانت قد أغلقت الاتصال.
استمرت في التفكير قليلًا ولكنها لا تعلم كيف تُخلص فارس من جواد، لذا شعرت بالتعب وأمسكت رأسها وكأن القهوة لم تقم بأي مفعول.
لذا قررت أن تدخل البيت.
وبمجرد أن دخلت البيت لمحت على يمينها باب مكتب أبيها مفتوح، هنا قررت أن تدخل وتجلس على كرسي أبيها، وبدأت تبكي وهي تلمس كرسي أبيها وكل ما على المكتب، إلى أن وصلت إلى صورتها هي وأبيها وأمها معًا فبدأت تجهش في

البكاء وهي تلمس ملامح أبيها وتبتسم ابتسامة مكسورة امتزجت بالدمع وأردفت:
-لقد اشتقت إليك يا مراد، اشتقت لضحكتك يا حبيبي.
ومن ثم عانقت الصورة واجهشت في البكاء وقالت بحرقة:
-أنا لست بخير من دونك يا أبي، احتاجك بشدة، حياتي صارت متعبة بفراقك، احتاج لرجاحة عقلك كي تساعدني فيما أنا مقدمة عليه أو ما أمر به.
قامت فريدة من على الكرسي والتفتت تجاه المكتبة وصارت تلمس كتب أبيها وهي تبكي، إلى أن فجاءة شعرت أن هناك شيء لمسها من الخلف، التفتت فزعة ومن شدة الخوف شعرت أن الدم قد جف في عروقها.
ولكن سرعان ما وضعت يدها على صدرها محاولة التقاط أنافسها وأردفت:
-آوه، كيف تدخل هكذا يا روبوت من دون استئذان لقد افزعتني.
رد عليها روبوت بلكنة آلية:
-لقد جاءني إنذار بوجود مشاعر حزن، وأنا هنا كي لا تشعري بالحزن، أنا معكِ.
مسحت فريدة دموعها ومن ثم التفتت مرة أخرى للمكتبة وقالت بهدوء تستجمع قواها:
-لا تقلق، كل ما في الأمر أني اشتقت لأبي.
-هل تريدين عرض ذكريات لكِ ولمراد...؟
ردت عليه فريدة وهي شاردة الذهن في كتب المكتبة:

-لا تقلق عليّ بخصوص هذا الأمر، لدي طريقة للقائه، ولكن أنا الآن ابحث عن كتاب تفسير احلام من كتب أمي.
هنا هم روبوت بإصدار شعاع ليزر من عينيه كي يمسح كل عناوين الكتب واختيار الكتب المرجوة، ومن ثم قال لها وهو يأشر بيده الألية لأعلى:
-ها هو، هذا الركن يا فريدة به أكثر من كتاب لتفسير الاحلام.
ولكن فريدة قالت له:
-اجلب لي أي من الكتب يا روبوت، لن أستطيع أن أجلبه بنفسي إن المكان عالٍ بالنسبة لي بعض الشيء.
هنا مد روبوت يده وأثناء جلبه لكتاب من منتصف الكتب سقط كتاب آخر.
هم بالاعتذار وهو يهم بالتقاط الكتابين راغبًا في إرجاع أحدهما، ولكن فريدة قالت له وهي تهم بأخذهما من يده:
-لا داعٍ يا روبوت إن أمي قالت لي أن لها عدة كتب لتفسير الأحلام يمكن أن يفيدني.
هم روبوت موضحًا:
-لا، هذا ليس كتاب، بل رواية.
هنا تمعنت فريدة لغلاف الرواية الذي أخذ طابع الرعب بعض الشيء، قد شدها الغلاف ومن ثم جلست على المكتب وقالت لروبوت وهي سارحة في الرواية:
-اعد لي كوب من النسكافية وأحضره لي هنا في المكتب.
قامت بالنظر لظهر الغلاف وأخذت تقرأ الكلمة التعريفية عنها على الأقل هنا قد شدها أكثر الكلام الموجود على ظهر الغلاف وخاصةً هذا الجزء "وفي خلال هذه المغامرة سوف تكتشف

أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيَّبة عنها، وسوف تُصدم فيمن كانت تحسبهم أحباب بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر...!"

كانت الرواية اسمها "طيف أروما" تأليف "رانيا رمضان" انتبهت فريدة للاسم ونظرت للغلاف مرة أخرى وقالت في قرارة نفسها:

-يمكن فكرة سقوط هذه الرواية في يدي ليس محض الصدفة، يمكن أجد بها الحل لما أمر به، لذا سوف أقرأها، إذا وجدت بها حل هذا ما أتمناه، ولكن إن لم أجد بها حل ستكون على الأقل اراحت عقلي وجعلته يفصل قليلًا مما أمر به، إن الروايات والكتب لها تأثير كبير على راحة العقل، هذا ما كانت تقوله لي أمي دائمًا، لذا فلأبدأ الآن.

*****

الفصل التاسع

المحاولة

بدأت فريدة تقرأ الرواية وهي تشرب "النسكافية"، وبدأت تنجذب للرواية بشدة ولم تقم من مكانها إلا أن أكملتها.
عندما انتهت من القراءة وقفت وبدأت تسأل نفسها:
ـماذا عليّ أن أفعل الآن...؟
هل أرجع بالزمن الذي ذكرته الكاتبة في الرواية وأقابل الشيخ متولي...؟ ولكن ماذا إن لم يكن موجود إلا في خيال المؤلفة فقط...! ولكن المؤلفة ذكرت أنها قصة حقيقية...!
هنا قررت فريدة أن تخرج من غرفة المكتب وتذهب كي تريح جسمها قليلًا ولكن مازالت وهي تمشي متعبة تفكر في حل.
مددت فريدة جسدها وأغلقت جفناها كي تنعم بالقليل من الراحة كي تساعدها قليلًا في الوصول لحل.
ولكن سرعان ما فتحت فريدة عينها وقامت من رقدتها وجلست وهي ترفع شعرها لأعلى وقالت بلهفة:
-أوه، كيف لم تأتي في بالي هذه الفكرة، سوف أذهب وأقابل هذه المؤلفة نفسها وهي التي ستدلني.
خرجت فريدة مسرعةً من غرفتها ونزلت للمكتب من جديد وجلبت الرواية.
همت مسرعة كي تعود لغرفتها كي تجلب الجهاز وكتبت التاريخ الذي ختمت به الكاتبة روايتها الموجود في أخر صفحة، وكتبت اسم المؤلفة ومكانها حينها مثل ما ذكر أنها من

الإسكندرية، وهذا كان كفيل لأن تجد نفسها في لمحة عين في غرفة رانيا رمضان.
رأت أمامها شابة تغمرها السعادة لانتهائها من عمل من أعمالها، فقررت الظهور أمامها، هنا فزعت رانيا وهمت من سريرها صارخة متوجهة تجاه الباب.
ولكن سرعان ما امسكتها فريدة من يدها وباليد الأخرة وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ، وقالت لها هامسةً مطمئنة إياها:
-اهدئي أنا لن أؤذيكِ.
هنا كانت رانيا تحاول أن تصرخ صرخات مكتومة بسبب قبضة فريدة التي لم تستطع رانيا أن تتخلص منها؛ وذلك لأن بنية رانيا صغيرة جدًّا مقارنة بفريدة برغم فرق السن بينهما.
كررت فريدة بنظرة توسل لرانيا:
-صدقيني، أنا لن أؤذيكِ، أنا جئت لكِ من المستقبل... لقد قرأت روايتك وأريدك أن تساعديني.
هنا ملامح ذعر رانيا تحولت إلى ملامح تعجب بسبب لكنة فريدة وأصدرت صوت مكتوم... فقالت لها فريدة غير فاهمة:
-ماذا تقصدين...؟
هنا توقفت رانيا عن المقاومة بيدها بل أشارت بيدها على فمها أي تسمح لها بالكلام... وبالفعل فكت فريدة قبضتها عن رانيا بعد أن اطمأنت من نظرة عينها ومن ثم توجهت رانيا كي تجلس على سريرها ومن ثم قالت وهي تلتقط أنفاسها:
-اعذريني على ما صدر مني من ردة فعل، ولكن أنا جبانة جدًّا، لتوي انتهيت من كتابة رواية عن شبح فمجرد ظهورك أمامي فزعت للغاية.

اقتربت منها فريدة وجلست أمامها على نفس السرير وقالت:
-هذه الرواية هي التي قرأتها لكِ بالفعل، وجئت إليك من المستقبل كي تساعديني.
هنا نظرت لها بتعجب وسألتها وهي ترفع أحد حاجبيها:
-أحقًا أنتِ من المستقبل...؟
أومأت لها فريدة برأسها أي نعم ولكن رانيا أكملت كلامها وقالت:
-أنا فزعت لفكرة ظهورك أمامي مرة واحدة من دون أي مقدمات، ولكن عندما رأيت أنكِ غير مسلحة جال في خاطري أنك مجرد لصة فقررت التكلم معكِ ما دمتِ غير مسلحة.
ويمكن أنكِ تمكنتِ من الدخول من دون أن أنتبه لأني مشغولة في مراجعة العمل واسمع موسيقى بصوت عال.
نظرت لها فريدة بتعجب وقالت بنبرة تهكمية:
-هل حقًا أنتِ رانيا مؤلفة الرواية أم أني أخطأت في العنوان؟
نظرت لها رانيا مؤكدة لها:
-بل أنا بالفعل مؤلفة...
فسألتها فريدة بتهكم:
-وهل عمرك رأيتِ لصة تخترق البيوت ليلًا... أظن أن النساء بالكثير يقومون بالنشل أو العمل مع عصابة إنما بمفردها في اختراق البيوت هذا لم يمر عليّ أبدًا.
نظرت لها رانيا وقالت:
-إن كلامك صحيح، ولكن كل ما في الأمر أني لا استبعد شيء.
تنفست فريدة الصعداء وأردفت:

-رانيا كل ما أريد أن أعرفه منكِ أولًا هل رواية "طيف أروما" مبنية على قصة حقيقية بالفعل...؟
نظرت رانيا وقالت لها:
-للصدق، إنها قصة حقيقية ولكن بها بعض التفاصيل مختلقة من تأليفي...
هنا احبطت فريدة وقالت بخيبة أمل:
-هذا ما كنت لا أتمنى سماعه أبدًا.
هنا همت فريدة واقفة ولكن رانيا أمسكت يدها وسألت كي تتأكد:
-هل بالفعل أنتِ من المستقبل...؟ أم أنك مجرد فتاة الدنيا اتعبتها فقررت أن تجد طريقة للعيش ألا وهي السرقة...!
ضربت فريدة رأسها بكف يدها وقالت لها بتهكم:
-وهل هذه الهيئة توحي لكِ أني لصة فقيرة الدنيا اتعبتني... أرجوكِ لا تجعليني أندم أني اعجبت بروايتك.
وقفت رانيا أمامها وقالت لها:
-صدقيني تلك الاستنتاجات الغبية بسبب أني غير مقتنعة بفكرة القدوم من المستقبل من الأساس.
فكت فريدة قبضة رانيا عن يدها وقالت لها وهي تؤشر على خاتمها فانبثقت منه شاشة عائمة في الهواء ودخلت على الصور حينها رانيا ذهلت عندما رأت التاريخ المكتوب على الصور.
ومن ثم قامت فريدة بتشغيل فيديو لها وهي تطير بحذائها النفاث ومن ثم قالت فريدة لها بنفاد صبر:
-هل تريدين دليل آخر يا رانيا...؟

نظرت لها رانيا ببلاهة غير مصدقة وقالت لها:
-للحق أنا جبانة ولكن للصدق أنا أحب الأمور الغير طبيعية والماورائيات.
ولكن فريدة طأطأت رأسها وقالت:
-ولكن روايتك ليست كلها حقيقية كنت احتاج أن...
لم تكمل كلامها واشاحت بنظرها وأردفت:
-لا داعِ أن أكمل ولا أن أوضح لأن هذا سيكون بلا نفع.
همت رانيا تسألها بلهفة:
-وماذا إن كانت كلها حقيقية يا... آه حقًا ما اسمك...؟
-اسمي فريدة...
قاطعتها رانيا بلهفة وقالت لها:
-أنا أحب هذا الاسم بشدة...
هنا استأذنتها فريدة وقالت لها:
-لا داعِ أن أضيع من وقتك أكثر من هذا، سوف أرحل.
أخذت فريدة جهازها كي تعود بالزمن...
هنا همت رانيا مسرعة وأمسكت الجهاز، ومن ثم نظرت له وقالت لها بلهفة:
-آوه، هل هذا هو جهاز السفر عبر الزمن...؟
هنا همت فريدة أن تنطق ولكن رانيا قدمت سؤال آخر...؟
-ما هذا...! هل هو هاتفك...؟
هنا أخذت فريدة الجهاز من يدها وتنفست الصعداء وقالت بنفاد صبر:
-كان الأمل بدأ ينزرع بداخلي تجاهك ولكن يبدو أن لا فائدة.
سألتها رانيا بصوت هادئ:

-انتظري، قبل أن ترحلي على الأقل قولي لي كيف كنتِ تريدين أن أساعدك، أنا أرغب في مساعدتك، أكثر شيء يسعدني في الحياة هو مساعدة الغير، حتى وإن كنت لا أستطيع أن أساعدك سوف أفعل كل ما بوسعي كي أساعدك.

قررت فريدة أن تجلس وتكلمت:

-إن الحمل عليّ كبير، أرغب في إنقاذ شخص ما...

هنا قاطعتها رانيا وقالت لها بجدعنة مصرية:

-لا تقلقي أنا بجانبك، وعلى رأي المثل المصري "القُفة أم ودنين يشيلوها اتنين".

همت فريدة واقفة وتنفست الصعداء وقالت بيأس:

-لا، لا، يبدو أن لا فائدة منكِ يا رانيا... قد يئست بالفعل، كل ما أعطيكِ فرصة تصدميني...

ضحكت رانيا بصوت عال، ومن ثم كتمت ضحكتها وقالت محاولة اظهار بعض الجد في حديثها:

-اهدئي يا فريدة، ها أنا بالفعل كلي آذان صاغية لكِ.

جلست فريدة ومن ثم تنفست الصعداء ولكن من ثم التمعت عيناها وسألتها بجدية:

-لا، بل أريد أن أعرف المقصود بالمثل.

ضحكت رانيا وقالت لها:

-حسنًا سوف أشرحه لكِ ولكن عليكِ أن تقولي لي سبب قدومك هنا...

وبالفعل مر الوقت وفريدة حكت لها كل ما مرت به.

أمسكت رانيا رأسها وملامح الجد قد رسمت على وجهها فقالت لها فريدة والحزن سيطر عليها:

-ها قد حكيت لكِ كل شيء، هل لديكِ حل لي...؟
نظرت لها رانيا بيأس وقالت بحزن:
-إن جئتِ للحق، ليس لدي حل.
هنا توقفت رانيا عن الكلام عندما رأت أن حزن فريدة زاد أكثر، ولكنها سرعان ما تمالكت الموقف وأردفت مكملة وهي تمسك يد فريدة كي تهون عليها بابتسامة رسمتها على وجهها:
-ولكن سيكون لدي حل...
هنا التمعت عين فريدة وسألتها بتعجب:
-ولكن كيف...؟!
قالت لها رانيا بثقة وعلى وجهها نفس الابتسامة:
-لا، كيف هذه اتركيها عليّ، لا يغرك صغر جسمي ولا سني، ولا يغرك أني بنت، آه أنا بنت ولكن في المواقف أجدع من مئة رجل وأنا قلت لكِ كلمة، والكلمة بالنسبة لي سيف...
نظرت لها فريدة ببلاها وسألتها:
-هذا ما معناه يا رانيا...؟
رسمت رانيا ابتسامة على طرف فمها:
-هذا معناه تعالي لي غدًا في نفس الوقت وسوف أقول لكِ الحل.
هنا شكرت فريدة رانيا وقامت بمعانقتها كأنها تضع بها كل الأمل وأردفت:
-أنا واثقة أنكِ سوف تساعديني يا رانيا.
ضحكت رانيا وقالت لها بثقة:
-بعون المولى سوف أساعدك.

خرجت فريدة من التجربة وعادت إلى غرفتها وهنا عندما رأت سريرها ابتسمت وقالت بصوت هامس وهي تقوم بفرد شعرها الطويل:

-الآن يمكنني أن ارتاح قليلًا.

استيقظت فريدة على اتصال من ليندا، التي تعجبت من عدم حضور فريدة المحاضرة على غير عادتها قالت لها فريدة بصوت ناعس:

-متعبة قليلًا يا ليندا سوف...

هنا قاطعتها ليندا بلهفة:

-متعبة، سوف أتي إليك حالًا.

هنا تمتمت فريدة بنفاد صبر:

-ليندا، أرجوكِ، لا تقلقي كل ما في الأمر أنا احتاج أن ارتاح وكفى، سوف اطمئنكِ علي.

ومن ثم اغلقت المكالمة وهمت من مكانها وتوجهت للحمام فنظرت لنفسها في المرآة وقالت بحزن على حالها:

-لقد صرتِ باهتة جدًّا يا فريدة، بالفعل لقد صدق جون بأن هذه التجربة تجهد العقل كثيرًا.

ولكن الأمر ليس فقط اجهاد من التجربة ولكن الخوف، الخوف يأكل في روحي، خائفة ألا أستطيع أن أنقذ فارس.

من ثم نظرت لنفسها بجد وسألت نفسها:

-ولمَ تخافي...! كل ما عليكِ هي المحاولة أنقذتِه يكون خير وأن لم تنقذيه فليس ذنبكِ شيء.

من ثم نظرت فريدة لنفسها بجد وقالت لنفسها بصوت عال بعض الشيء:

-ألا تكونِ أحببته يا فريدة...؟
هنا فريدة فتحت الماء بسرعة وقامت بغسل وجهها عدة مرات ومن ثم رفعت رأسها ونظرت مرة أخرى لنفسها في المرآة وقالت:
-يبدو أن وحدتك وعيشك بمفردك جعلك تفقدين عقلك، حب... ال حب ال... لا، حب ماذا...؟ كل ما في الأمر أرغب في المساعدة وكفى.
نظرت لعينها في المرآة ومن ثم قالت لنفسها في غضب وهي ترمي الماء على صورة انعكاسها:
-لمَ أنظر لعيني هكذا...؟!
ومن ثم همت بالخروج وقالت بغضب:
-يبدو أني جننت بالفعل، لقد جننت.
من ثم جلست على كرسيها المتحرك وهي تنظر للحديقة وقررت أن تطلب من روبوت أن يحضر لها الفطور.
صار الفطور أمامها، ولكنها اكتشفت أنها لا تشتهي أن تأكل شيء.
فسألت نفسها:
-هل أقدم على التجربة الآن...
تنفست الصعداء وقالت:
-اووه، أنا متعبة حقًا، ولكن أريد أن ارتاح من هذا الحمل الذي عليّ...
هيا، هيا يا فريدة، من طبعك دائمًا الاقدام والمواجهة وعدم الخوف... تفاءلي يا فريدة تفاءلي.

كتبت نفس تاريخ الأمس ولكنها زادت يوم وحددت نفس الوقت بعد منتصف الليل، ومن ثم صارت أمام رانيا من جديد، ولكن هذه المرة كانت رانيا مستعدة لهذا اللقاء.

نظرت لها رانيا وابتسمت لها بابتسامتها التي اعتادت فريدة عليها التي تبعث الأمل في قلبها من جديد.

قالت لها رانيا بلهفة:

-ها قد اتيتِ يا فريدة أنا أنتظركِ منذ ساعة.

هنا ابتسمت فريدة لها برفق ومن ثم قالت لها بصوت هادئ:

-طمئنيني يا رانيا...!

-وصلت لشيخ اسمه الشيخ منصور كل الناس يتكلمون عن بركته ولا يتقاضى أجر أبدًا...

-رانيا هل تكلمتِ معه فيما في حاكيته لكِ...؟

أومأت رانيا برأسها مؤكدة ومن ثم سحبت فريدة كي تجلس وأردفت:

-طبعًا حكيت له وهو مستعد أن يأتي معي في أي وقت ولكن يجب أن أؤكد عليه قبلها بيوم من أجل أن يعتذر لل...

هنا قاطعتها فريدة وهي تضرب رأسها بكف يدها:

-أووووه، كيف تاهت عن بالي...؟

نظرت لها رانيا بتعجب محاولة أن تفهم وأردفت:

-ماذا تقصدين يا فريدة...؟

التقطت فريدة أنفاسها ورسمت على ملامحها مشاعر مختلطة بالحزن والغضب:

-أنا أريد أن أنقذ فارس ولكن اليوم الذي قابلته به في شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ بينما نحن الآن عام ٢٠٢١.

قالت لها رانيا مطمئنة إياها:
-وما المشكلة يا فريدة، إن الأمر بسيط سوف أذهب أنا والشيخ منصور معكِ عن طريق الجهاز الخاص بكِ وننقذه سويًا.
قالت لها فريدة بأسى والدمع بدأ يلمع في عينها:
-رانيا، إن جهازي خاص بي أنا فقط، يكفي لشخص واحد للنقل عبر الزمن، إن المعدات الملحقة به خاصة بفرد واحد.
قالت لها رانيا مطمئنة إياها:
-يمكنكِ أن تعودي لزمنكِ وتجلبي جهازين أخرين.
قالت لها فريدة بنفاد صبر وقد خانها دمع عينها هذه المرة:
-يا رانيا، يا رانيا افهميني، هذا الجهاز صممه لي صديق والدي، لا يوجد منه إلا نسخة واحدة لي أنا فقط.
هنا نظرت لها رانيا بلهفة ترغب أن تتكلم، هنا فريدة مسحت دمع عينها وقالت بعصبية اختلطت بالحزن بسبب اليأس:
-أعرف ما تريدين قوله، تريدين أن أطلب من دكتور جون أن يصنع لي جهازين أخرين.
هنا التمعت عين رانيا بالدمع وأومأت برأسها أي نعم ولكن في نفس الوقت اجهشت فريدة في البكاء:
-إن هذا سيأخذ وقت، وأنتِ لا تعلمي كم أنا متعبة لا أستطيع أن أنام بسبب كثرة التفكير وإن نمت من شدة التعب استيقظ والتعب قد أكل روحي... لن أستطيع أن اتحمل هذا التعب أكثر من ذلك، أريد أن أنقذ فارس كي ارتاح، الله جعلني أبدأ هذا الأمر من أجل أن أساعده أكيد، ليست مجرد تجربة فقط.
هنا اقتربت منها رانيا وأخذت تربت على كتفها وتهمس لها:
-لا تقلقي أنا بجانبكِ وسوف نصل لحل سويًا.

هنا مسحت فريدة دمعها وقالت بيأس:
-تعرفين ما هو الحل يا رانيا...؟
نظرت لها رانيا بحنو ولين وسألتها:
-ما هو الحل يا فريدة...!
نظرت فريدة للأرض وأردفت:
-الحل أن أنسى الأمر برمته، ولكن ضميري يأنبني، إنه لأمر...
هنا التمعت فكرة في عقل رانيا وقامت بسحب وجه فريدة كي يكون مواجه لها وأردفت لها بلهفة وابتسامة:
-لا، بل بالفعل هناك حل.
نظرت فريدة بتعجب وقد جف الأمل من روحها وسألتها:
-وما هو يا رانيا...؟
-غدًا سوف تأتي لي نهارًا بعد الظهر وأنا سأكون في انتظارك أمام بيتي وسوف نذهب للشيخ منصور.
هنا سألتها فريدة بتعجب:
-ولكن كيف...؟
قاطعتها رانيا وقالت بثقة وبنفس الابتسامة:
-أنتِ طلبتِ مني المساعدة، كل ما عليكِ أن تثقي بي وكفى... هيا لنرتاح الآن لكي نستعد لمغامرة الغد.
ومن ثم ودعتها وعادت فريدة مرة أخرى لبيتها، طبعًا لم تستغل كل وقت المغامرة هذه المرة، لذا فضولها جعلها لا تتحمل وقررت أن تكتب الموعد الجديد وتكمل التجربة اليوم.
وبالفعل فريدة قابلت رانيا وذهبتا إلى الشيخ منصور سويًا.

إن فريدة كانت تتوقع أن البيت سيكون قديم ومتهالك وبه الكثير من البخور مثل بيت الساحرة الذي ذهبا إليه فتحي وعليا، ولكن البيت كان بيت عادي يدل على أن صاحبه من الطبقة المتوسطة حين ذاك.

رحب بهم الشيخ منصور الرجل الخمسيني الأسمر ذا الابتسامة المريحة للنفس، وطلب منهما أن يرتاحا، وبمجرد أن جلست فريدة همست مسرعة في الكلام:

-أنا يا شيخ...

هنا قاطعها الشيخ بضحكة سمحة:

-أعرف يا بنيتي، لقد حكت لي رانيا كل شيء، وجودك أمامي الآن كي أشرح لكِ ما عليكِ فعله.

نظرت فريدة بتعجب لرانيا وللشيخ منصور ومن ثم أردفت:

-أنا... ماذا عليّ أن أفعل...؟

قهقه الشيخ وقال:

-مهلكِ يا بنيتي، سوف أشرح لكِ كل شيء ولكن أريدك قوية، ولا يهزك ما سوف ترينه فيما بعد.

أومأت فريدة وبدأ حزن عينيها يتحول إلى نظرة جد.

هنا قال لها الشيخ منصور بتشجيع:

-هذه هي فريدة القوية، فلنبدأ.

هنا نظرت لها رانيا بتشجيع وابتسمت لها وهي تمسك يدها محفزة إياها، وحينها بدأ الشيخ في الكلام:

-إن الأمر بسيط يا بنيتي ولكن يحتاج شجاعة وثبات، لا تنسي يا بنيتي لا الجن ولا عفريت الجن ولا عفريت الأنس قوي مثل

الإنسان، نحن الأسمى والأقوى، إن الجسد المادي أقوى من ترددات الجسد الأثيري، لا يخدعنك هول المظهر.
هنا رجع اليأس يدخل قلب فريدة وأردفت:
-ولكن أنا في هذه التجربة مجرد جسد أثيري، إن جسدي في المستقبل و...
هنا تردد الشيخ ولكن في نفس اللحظة قال لها بنفس الابتسامة كي يطمئنها:
-أي نعم ليس معكِ جسدكِ المادي ولكن معكِ القوي، معكِ الله، وما خاب من استعان فقط بالله.
شعرت فريدة بالخزي وقالت:
-ولكني غير ملتزمة ولا أعرف...
قاطعها الشيخ وأردف موضحًا:
-كلنا مقصرين يا بنيتي ومهما نفعل نحن مقصرين في حق الله، أنا جهزت لكِ تسجيل سوف يساعدك في التخلص من قوة الشر على هذا الجهاز... ومعكِ هذه الورقة اقرئي منها أثناء تشغيل التسجيل على هذا الجهاز.
استجمعت فريدة قواها وبدأت ملامح اليأس تزول عن وجهها ولكن مازال التوتر يتلألأ في عينها وأردفت:
-هل هذا ما عليّ فعله...!؟
تنفس الشيخ منصور الصعداء وابتسم لها:
-ربي يهديكِ يا فريدة، أرجوكِ لا داعِ للتسرع أو التوتر، وللعلم أنا لم أكمل كلامي.
حاولت فريدة أن تتمالك أعصابها وهدأت ومن ثم اصغت جيدًا لصوت الشيخ منصور الرخيم.

-سوف تعودين بالزمن وتقابلين فارس عندما توقف وحكى لكِ حكايته، وذلك قبل أن يذهب للسجن أو للمصحة، احكي له ما رأيته وما توصلتِ إليه ومن ثم ابدئا في الحفر في ذاك البيت الذي وجدتِ به فارس لإخراج بقايا عليا.

هنا نظرتا كل من رانيا وفريدة بتعجب وسألت فريدة:

-لمَ...هذا البيت...؟

وضح لها الشيخ منصور بهدوء:

-ألا تتذكرين أن فتحي قد قتل عليا في أرض دمنهور... التي كانت حينها منطقة هادئة قليلة السكان تقريبًا...؟

رسمت دهشة أكبر على ملامح فريدة وقالت:

-لم يأتِ في بالي هذا الأمر و...

ولكن جال سؤال في بال فريدة وقالت:

-ولكن كيف تم بناء هذا البيت ولم يجدوا العمال جثة عليا...؟ وأين سأحفر بالتحديد...؟

-كل هذا يمكنك التأكد منه من خلال جهازك وتري ما حدث... ولكن المهم الآن أن تخرجا بقايا الجثة وتبدأن في حرقها مع تشغيل ذلك التسجيل وترددي ما في الورقة... ومهما حدث أمامكِ لا تتراجعي... لا تخافي... ولا تستسلمي.

نظرت له فريدة بتردد وسألته:

-وهل تظن أني سأنجح في هذا الأمر في التخلص من الروح الشريرة...أنا أظن أن هذا الأمر يحتاج لشخص مثلك.

نظر لها الشيخ منصور وابتسم وقال مطمئنًا إياها:

-وما أنا يا فريدة...! ما أنا إلا شخص مثلك... أجاهد نفسي كي أكون صالحًا وسخرت نفسي لمساعدة غيري... وأنتِ كذلك

يمكنكِ أن تكوني مثلي... نيتكِ الطيبة في مساعدة الغير ستمكنكِ من النجاح.
وللتخلص من الروح الشريرة لا تحتاج قوة بنيان ولا رجل دين... كل ما في الأمر والمهم هو القلب الصادق المؤمن حقًا بقوة الله وحده وكفى.
طول ما أنتِ قلبك مؤمن بالكلمة التي تقولينها... ما دام قلبك مؤمن ومتمسك بقوة القوي الذي تستعينين به فلن يخذيكِ الله أبدًا... طول ما عقلك مدرك بأنه ما دام استعان بخالقه وخالق من أمامه من الجن والأنس وأن الخالق قادر على أن ينصره عليه فسوف ينتصر عليه بالفعل...
هنا أشار الشيخ منصور على قلبه وعلى وجهه ابتسامة تبعث الأمان في النفس وأردف برفق:
-ما دام هذا لديكِ نقي وسليم ولم يظلم أبدًا ودائمًا تفكرين في غيرك وكفى ومتوكل على المولى فسوف ينصركِ الله يا بنيتي.
رسمت فريدة ابتسامة وبدأت لمعة التوتر تقل في عينيها ولكن فجأة رجعت من جديد وتنحنحت وقالت بخجل:
-يا شيخ آخر سؤال والله...
ضحك الشيخ منصور وقال لها:
-تفضلي يا بنيتي أنا معكِ.
-يعني بالفعل إذا توكلت فقط وأمنت بقوة الكلمة وبالله سوف أتمكن يعني لا احتاج رجل دين أكيد...؟ أشعر أنك تطمئنني وكفى.
ابتسم الشيخ منصور وتنفس بعمق وأردف بهدوء:

-ربي يهديكِ يا بنيتي، اسمعيني كي تصدقي كلامي بناءً عن موقف حدث بالفعل لنبينًا محمد صل الله عليه وسلم.
هنا توقف الشيخ منصور ونظر لكلاهما وقال لهما بابتسامة:
-لقد ذكرت سيرة الرسول أين الصلاة عليه...؟
ضحكتا كل من رانيا وفريدة وقالت رانيا بخجل:
-اعذرني يا شيخ ولكني كنت في حالة تركيز شديد لما سوف تقوله، أنا بالنسبة لي وجودي أمامك فرصة وأريد أن ينهمر عليّ من علمك وثقافتك وقصصك.
ابتسم الشيخ منصور وقال بحماسة للعودة للحديث مرة أخرى:
-حسنًا يا بنيتي أين كنا...؟
في نفس واحد رانيا وفريدة:
-نبينا محمد صل الله عليه وسلم.
ضحك الشيخ منصور ومن ثم أكمل حديثه:
-عليه الصلاة والسلام... دعوني أشرح لكما الأمر لقد سُحر نبينا محمد و...
هنا قاطعته رانيا معتذرة وأردفت:
-اعذرني يا شيخ، ولكن بالفعل هذا الأمر قد حيرني كثيرًا، كيف لنبينا محمد صل الله عليه وسلم المعصوم أن يُسحر... هذا الأمر يقلل من شأنه كثيرًا...
هنا فريدة كانت تنظر لرانيا باستغراب ولكن سرعان ما قطع صوت الشيخ منصور شرودها الذي أردف:
-افهم يا بنيتي ما يجول في خاطرك...
هنا أكملت رانيا بصوت متردد:

-أنا أحب نبينا محمد كثيرًا وأحب التعمق في أمور الدين ولكن أحيانًا تجول في خاطري تساؤلات لا أجد لها مبرر...
ابتسم الشيخ منصور وقال بثقة:
-بل يوجد مبرر مقنع يا بنيتي، فلتسمعي لي جيدًا...
سوف أحكي لكما المفيد وباختصار، ذكر عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث ذكرت به ما معناه أن النبي محمد صل الله عليه وسلم...
هنا همستا كل من رانيا وفريدة بالصلاة على النبي، فابتسم لهما الشيخ منصور وأكمل كلامه:
كان يخيل له أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، المقصود بهذا التعبير أن النبي محمد كان يخيل له أو يظن أنه جامع أهله ولكنه لم يجامعهم قط، يوجد بعض العلماء الذين أوضحوا أن هذه الحالة كان يشعر بها فقط النبي محمد مع السيدة عائشة التي ورد عنها الحديث، لأنه لم يذكر من أي واحدة أخرى من أمهات المؤمنين كلام عن هذا الأمر، ولكن السيدة عائشة استخدمت في حديثها صيغة التعميم لحيائها وخجلها...
يذكر أن كان هناك شخص من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، قام بعمل سحر باستخدام مشط النبي محمد وما به من خصلات شعر النبي المصطفى، وقرر أن يقوم بعمل سحر كي يؤذي النبي محمد في أكثر ما يحب ألا وهي السيدة عائشة.
بعدما علم النبي محمد من السيدة عائشة بأنه يظن له فقط ولا يجامعها بالفعل، بدأ يتعب ويسأل عن سبب ما به، ولكن من ثم جاء للسيدة عائشة وقال لها: " إنه رأى ملكان يذكر أنهما

جبريل وإسرافيل وكان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، قال أحدهما:
مال الرجل...؟ رد الآخر: " إنه مطبوب".
فرد الآخر: "ومن طبه...؟"
مطبوب يا بنياتي المقصود بها مسحور... ومن طبه المقصود بها من سحره... فرد الآخر:" لبيد بن الأعصم" إنه قام بهذا السحر على مشط ومشاطة، وسبق وشرحت لكما تلك النقطة، وذكر له مكان السحر إنه في جف طلع نخلة ذكر في بئر ذي أروان.
والجف هو شيء أشبه بالكوز الذي يحتوي على لقاح النخل.
وشفاء نبينا محمد كان على يد سيدنا جبريل عندما سأله: هل اشتكيت يا محمد، قال النبي محمد: "نعم" فقال جبريل: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين أو حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك".
وشفي نبينا محمد ومن ثم ذهب إلى البئر واستخرج السحر، كان السحر معقود بشعره أحد عشر عقدة فنزلت المعوذتين أحد عشر آية (أي سورتي الفلق والناس) وتخلص النبي محمد من هذا الأذى وعاد كما كان.
هنا قاطعته فريدة وقالت له باستغراب:
-ها أنت قلت إن النبي محمد سيدنا جبريل هو من رقاه أو خلصه من الأذى الذي عليه.
-لا يا بنيتي بل أنه علمه كيف يتخلص من الأذى، جبريل ما هو إلا وحي يعلم النبي محمد ما لا يعلمه، كي يعلمنا نبينا ما لا نعلمه كذلك...

الله يا بنيتي جعل النبي محمد يُسحر لحكمة، كي يكون قدوة لنا في كل شيء ويعلمنا كل شيء...
وفكرة أن السحر ينقص من شأن النبي محمد ويشكك بعض الناس في صدق نبوته، لأن البعض يقول" وكيف لي أن أصدق شخص يخيل له...؟ يمكن أنه كان يخيل له جبريل وما يوحى إليه...!
وطبعًا هذا الكلام غير صحيح... لأن صدق الكلام الذي ورد عن النبي محمد مثبت بالمعجزات...
ثانيًا هذا السحر أصاب نبينا محمد بعدما هاجر النبي محمد للمدينة وبعد ما ثبت مكانة الدين الاسلامي... أي ليس في بداية الأمر كي نتشكك في صدق نبوته...
وما السحر إلا هو نوع من العلل التي يصاب بها الجسم...
والنبي محمد كان يمرض مثلنا.
الذي يقول:" كيف للنبي المعصوم أن يسحر...؟"
النبي معصوم فقط في نبوته وفي الوحي... معصوم من الشياطين كي لا يمنعوه من تبليغ رسالته.
بينما غير ذلك كان النبي محمد يبكي ويتألم ويمرض مثلنا تمامًا...
عصمة الله للنبي محمد من الشياطين كي يمنعه من أن يصيبه كيدهم.
إصابة نبينا محمد صل الله عليه وسلم بالسحر مثلما أُصاب في مرة من المرات بالسم، عندما قدمت إليه امرأة يهودية كتف شاه وهذا الجزء المحبب للنبي محمد، قدمت له كتف الشاه

المسموم، ولكن بعد أن تذوقه واختلط السم في ريقه سمع النبي محمد أن لحم الشاه يخبره أنه مسموم.
فأخرج النبي محمد ما بفمه وحذر من معه من الأكل ولكن بعد ذلك مرض أحدهم ومات.
طبعًا فكرة أن يُسَم النبي محمد هذا من مكر الشيطان كي لا يكمل دعوته...
وبالرغم من دخول السم لهاته أي حلقه لم يمت النبي محمد من السم، بل جعله الله يكمل رسالته تمامًا، وعندما أكمل الرسالة مرض النبي محمد وظهرت عليه أعراض السم وحينها خيره الله أن يستمر في الحياة أم يختار الرفيق الأعلى... والنبي محمد اختار الرفيق الأعلى لأنه أكمل رسالته فلم يختر الدنيا قط.
عصم الله النبي محمد من الشيطان ومن أذى الأنس والجن إلى النهاية... عصمه أي ما معناه أنه لا يجعلهم يتمكنون منه... أو ينهوا على حياته بالقتل قبل اكمال الرسالة كما حدث مع الكثير من الرسل...
ولكن هذا لا ينكر أن النبي محمد تعرض لأذى الكثير من الناس ومن الشيطان ولكن لم ينجح أحد في التمكن منه...
على سبيل المثال:
عندما كانت تضع أم جميل الشوك والنار في طريقه وجاره اليهودي يضع القمامة أمام بيته وواحد من المشركين عندما رمى أحشاء شاه على ظهر النبي محمد وهو عاكف في الصلاة أمام الكعبة وعندما قام أحدهم بخنقه أثناء صلاته، وغير ذلك عندما طرد من الطائف وهرب منهم بعدما اجتمع كل من بها

بضربه بالحجارة وسبه وغير ذلك الكثير عندما اجتمعت كل قبائل مكة لقتله...
فكرة أن النبي محمد يتعرض للأذى هذا شيء طبيعي لأن من المهم أن يتعرضوا الأنبياء للأذى لكي يكونوا قدوة لنا في تحمل الأذى والصبر...
الضرب والإهانة والمرض والسحر الذي تعرض له النبي محمد لا يقلل من قدره ونبوته بل يدل على عظمته ويدل بالفعل أن الله معه حتى أكمل رسالته...
وكما قلت لكما أن النبي محمد طبيعي يتعرض للأذى من الناس ومن الشياطين على سبيل المثال:
كان الشيطان يحاول في مرة أن يلهي النبي محمد في صلاته، فقام النبي محمد برفع يده كأنه يقبض شيء في الهواء، بعد الانتهاء من الصلاة سألوه الصحابة فقال لهم أنه رأى الشيطان وكان يريد أن يظهره ويقيده في ساريه ولكن نبينا محمد قال إنه لم يرغب في فعل ذلك لأن نبي الله سليمان طلب من الله أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده.
هنا سألته رانيا بتعجب:
-بصراحة يا شيخ أنا لا أفهم، يعني كيف نبينا محمد رأى الشيطان، ولم يتمكن من أن يعلم أنه مسحور أو أن هناك من يمكر به...!
-الحكاية يا بنتي وما بها أن الله يريد أن يثبت لنا أن النبي محمد مثلنا لا يختلف عنا في شيء سوى أن الله فضله عنا باصطفائه وأنه مميز عنا بالوحي...

يعني بمنتهى البساطة النبي محمد ظل أربعين سنة كان شخص صالح عادي...
ولكن الله ميزه بالوحي... يعني ما كان يورد عن النبي محمد غير نابع منه بل من الوحي فقط.
وقد أنقطع عنه الوحي ستة أشهر فلم يستطع النبي محمد أن يقول كلمة في رسالته...
كل ما في الأمر أن الله هو المتحكم في هبات النبي محمد، متى يظهر له الجن ومتى يخفيهم عنه، متى يجعل الرسول يؤذى من الناس ومتى ينصره عليهم... الفكرة التي يجب أن نؤمن بها أن الله وحده هو المتحكم في حياتنا حتى في حياة النبي محمد...
وما نراه شر لنا أو أذى لحق بنبينا محمد ما هو إلا لحكمة...
وفكرة سحر النبي محمد حدثت كي يثبت لنا أن السحر حق، والتخلص منه بسيط كذلك.
أتمنى أن تكونا فهمتماني...
نظرت له رانيا بتفهم وقالت له وهي تهز رأسها:
-بالفعل لقد بدأت الصورة تتضح لي يا شيخ.
نظر الشيخ لفريدة وسألها:
-هل مستعدة الآن يا فريدة...؟
هزت فريدة رأسها بثقة وابتسامة:
-أكيد، بعون الله سوف أتمكن وأنجح بإيماني بالله وبصدق رسوله...
-وفقكِ الله يا بنيتي.
هنا همت فريدة واقفةً، فقامت رانيا جوارها وعانقتها بلهفة وهي تربت على ظهرها:

-متأكدة أنكِ سوف تنجحين.
ومن ثم اخرجتها من حضنها ونظرت لها بابتسامه:
-ولكن يجب عليكِ أن تعودي لي من جديد، وتحكي لي من جديد كل شيء.
ابتسمت لها فريدة وقالت لها:
-أكيد يا صديقتي المؤلفة.
ومن ثم التفتت مرة أخرى تجاه الشيخ منصور وقالت بابتسامة ممتنة:
-أشكرك كثيرًا على كلامك ونصائحك لي، أتمنى ألا تكون آخر مرة لي معك.
وقف الشيخ منصور وابتسم وأردف:
-البيت بيتك يا بنيتي، أنا معكِ وقتما تشائين.
قبل أن تخرج فريدة من التجربة قامت بتشغيل التسجيلات بسرعة قصوة كي يتم تخزينها في فيديو التجربة كي يكون معها عندما تعود مرة أخرى لواقعها، ومن ثم فتحت الورقة ونظرت لها كي يتم حفظها كذلك ومن ثم ودعتهما.
عادت فريدة مرة أخرى لحاضرها، فجلست لكي تفكر، وبعد قليل فتحت شرفة غرفتها كي تتنفس بعمق وهي مغلقة العينين والراحة بدأت تعود إليها من جديد...
ولكن بمجرد أن فتحت عينيها فزعت ورجعت للوراء، كان أمامها جسم هائم في الهواء...
لكن سرعان ما التقطت أنفاسها وقالت بغضب مكتوم:
-كدتِ تموتيني فزعًا يا ليندا.
دخلت ليندا ووقفت في الشرفة بجوار فريدة وقالت لها بلوم:

-أهذا جزائي لأني أحبك وقلقة عليكِ...!
هنا تركتها فريدة ودخلت الغرفة فلحقتها ليندا وسألتها:
-ماذا بكِ يا فريدة؟ أنتِ تغيرتِ كثيرًا هذه الفترة، قولي لي ما بكِ...؟!
نظرت لها فريدة بابتسامة متصنعة:
-لا تقلقِ يا صديقتي كل ما في الأمر أني متعبة بعض الشيء ويوم أو يومين وسأكون كما اعتدتِ عليّ...
نظرت لها ليندا وقالت لها بلهفة:
-إذن ما رأيكِ أن نخرج سويًا اليوم كي تتخلصي من تعبكِ...!
نظرت لها فريدة نظرة تبعث بداخلها الأمان وكي تنهي الحديث في نفس الوقت:
-ليندا، أرجوكِ لا تضغطي عليّ، صدقيني احتاج بعض الراحة فقط، اعطي لي يومين بالكثير، وأن لم أعد كما كنت فلتفعلي بي ما تشائين.
حل صمت ليندا، ولم تعد تعرف ماذا تقول، لأنها تعلم صديقتها جيدًا وتعلم أن فريدة تخبئ عنها شيء ما...
قالت لها فريدة وهي تنظر لها بابتسامة:
-اتفقنا...
أومأت ليندا برأسها وقالت بيأس بسبب صديقتها:
-اتفقنا، ولكن حينها ستقولين لي ما تخبئينه عني...
-حسنًا، اتفقنا...
رحلت ليندا وطارت بحذائها النفاث وهنا وقفت فريدة أمام المرآة وسألت نفسها:

-ها يا فريدة! هل ستقومين بالتجربة النهائية بالوقت المتبقي من تجربة اليوم...؟
لا، لا، أخاف من الوقت ألا يسعفني أن أقوم بالانتهاء منها، نحتاج وقت للحفر والمواجهة ولا أدري كم نحتاج من الوقت...!
وأنا أظن أن يكون معي الكثير من الوقت أفضل بكثير أن يكون الوقت قليل.
جلست فريدة على الكرسي الموجود أمام المرآة وأمسكت رأسها، وأردفت:
-أووه، أريد أن أنهي هذا الأمر حالًا.
رفعت رأسها أمام المرآة وقالت:
-لا، بل سوف أنتظر لمنتصف الليل أي بداية يوم جديد وأبدأ تجربة جديدة بوقت كامل.

الفصل العاشر

المواجهة

فريدة استغلت الوقت حتى منتصف الليل في حفظ الآيات والأذكار اللاتي كتبها لها الشيخ منصور.
وقامت بنقل التسجيلات على هاتفها كي تقوم بتشغيلها.
الساعة صارت الثانية عشر بعد منتصف الليل.
بدأت فريدة تتأهب... من ثم وقفت أمام مرآتها كي ترفع شعرها وتتنفس الصعداء وتحفز نفسها ولكن نظرت لنفسها فجأة تذكرت شيء...
تذكرت أن ترتدي سلسلة أمها التي تحمل لفظ الجلالة الله لأنها قامت بخلعها.
ارتدت السلسلة وتوكلت على الله وبدأت التجربة الأخيرة.
قررت أن تعود بالزمن لكي تتأكد بالفعل من تاريخ هذا البيت بنفسها.
من ثم ذهبت للحظة التي قتل فيها فتحي عليا، وأخذت تتجاوز الزمن بالجهاز سريعًا لكي ترى كل ما حدث.

***

في سنة ٢٠٠٤ بدأ فتحي بناء البيت للعائلة التي اشترت الأرض، إن المنطقة صارت بها بيوت أكثر مما كانت عليها من قبل.
برغم مرور السنين فتحي لم يجازف بحفر وعمل أساس للبيت ولكن أمر العمال بالبناء فوق الأرض بحجة أن الأرض طينية،

بل طلب منهم أن يقوموا بإضافة عدة طبقات من الردم فوق الأرض قبل البناء، ونفذ العمال ما أمر به.
قاموا ببناء بيت ذا طابقين، لقد عانا العمال في بناء هذا البيت لقد استمر بنائه واعداده عدة أشهر، كان العمال يقومون ببناء جزء فيأتون في اليوم التالي يجيدون أنه ليس كما تركوه بالأمس...
لقد خاف البعض وترددوا ولم يأتوا وهذا أخر عملية البناء أكثر، بسبب خوف العمال من القدوم لهذا البيت.
تم الانتهاء من البيت بأعجوبة وها قد جاءت العائلة لكي تسكن في هذا البيت، إن حياتهم به كانت بخير لمدة أسبوع واحد فقط، ولكن بعد أسبوع بدأت الأم تشتكي لزوجها أنها تسمع من يطرق كثيرًا على الباب بالرغم أنها لم تقم بتكوين علاقات مع الجيران.
أنكر زوجها وقال لها أن هذا بفعل الرياح.
وازدادت كوابيس الأم وكل يوم تقوم مفزوعة مما تراه أثناء نومها.
ترى امرأة تخيرها بين الرحيل من البيت أو الموت.
ولكن زوجها رفض وقال لها كيف سيترك البيت الذي دفع به كل ما يملك ويرحل منه من أجل كوابيس.
وصارحها أنه كذلك يرى كوابيس ولكن لن يترك البيت أبدًا.
خرجت الأم ليلًا كي تشرب، فمرت أمام غرفة ولداها ذو الست والخمس أعوام وسمعت ضحكاتهما فقررت أن تدخل عليهما كي تراهما، ولكنهما كانا نائمين في سبات عميق.

وبمجرد أن أغلقت الباب والتفتت وهي تتمتم بأنها يخيل لها، رأت امرأة وجهها متحلل البعض والبعض لا، وذات جلد متعفن، مشعثه الشعر وصرخت في وجهها:
-ارحلي من هنا.
هنا أغمضت عينها وصرخت صرخة ففزع كل من في البيت، حينها استيقظا الطفلان في الغرفة وصارا يصرخان: "أمي، أمي".
حينها خرج الأب من غرفته كي يرى زوجته، وأخذها وفتح باب غرفة الأطفال ودخل هو وزوجته.
أخذ زوجته في حضنه وهما الولدان في احتضان أبيهما وصارا يبكيان على بكاء أمهما.
والزوج لا يفعل شيء سوى أنه يمسح على شعر زوجته كي يهدأ من حالها، وبعد أن كفت الزوجة عن البكاء مسحت دموعها باندفاع وقالت لزوجها وهي تمسك به:
-دعنا نرحل من هنا أرجوك، لن أستطيع أن أعيش هنا بعد الذي رأيته.
أخرجها زوجها من حضنه وقال لها بتوتر وغضب:
-ماذا بيدي أن أفعل...؟ ليس لدي حل سوى العيش هنا...
-سوف أخذ أولادي وأرحل من هنا سأذهب للعيش مع أهلي.
ازداد غضب زوجها وقال لها:
-يعني يكون لنا بيت وتريدين أن نكون عالة على غيرنا...!
رجعت مرة أخرى للبكاء وقالت:
-عالة عالة على الأقل أعيش في أمان.

اقترب منها زوجها وقال لها وهو يقوم بسحبها كي تقف ومن ثم لمس وجهها برفق:
-دعينا نشغل قرآن في البيت كي يبعد عنا هذه الكوابيس والهلوسة، سنتغلب على كل ذلك ولكن فكرة الرحيل أخرجيها من رأسكِ.
نظرت له زوجته بيأس ومن ثم التفتت لأولادها وأعادت كل منهما لسريره وقبلتهما وطمأنتهما.
وبالفعل قامت بتشغيل الراديو في التسجيل الخاص بها.
وبدأت بالاطمئنان بسماع القرآن في الراديو... ولكن هذه الراحة لم تدم كثيرًا... لأن الراديو قد انفجر تمامًا.
هنا قامت مفزوعة وتمسكت بزوجها الذي أخذ يهدئها ويوضح لها أنه أمر عادي...
ولكنها بدأت في البكاء وتترجاه كي يرحلوا...
من ثم وهي تنظر لزوجها لمحت المرآة يكتب عليها بالدم "الانتقام سيبدأ".
هنا صرخت سلمى لعاصم وهي تؤشر بيدها المرتجفة تجاه المرآة:
-أنظر يا عاصم أنظر التحذير...
هنا التفتت عاصم وهو ممسك بيدها وقال والدهشة قد رسمت على وجهه:
-لا يوجد شيء يا سلمى يا حبيبتي، يجب أن ترتاحي اهدئي.
ولكن صارت سلمى في حالة هيستريا وقامت من مكانها وقفت أمام المرآة وقامت بلمس الدم بعنف كي تري زوجها، ولكن

زوجها هم من السرير وضربها كف كي تفق من هذه الحالة ومن ثم أمسك يدها وقال لها بغضب كي تهدأ:
-اهدئي، ماذا تفعلين لقد جرحتِ نفسك...؟!
هنا بدأت سلمى في التقاط أنفاسها ونظرت له وقالت بهدوء كي توضح له وهي تبكي:
-لم أجرح نفسي، إنه الدم الذي على المرآة.
مسك عاصم يدها وجعلها ترى الجرح.
هنا دهشت سلمى وقالت وهي تذرف الدمع:
-لكن صدقني كان هناك تحذير أقسم لك.
ومن ثم فاقت من شرودها وسألته بحزن وهو يأخذها للسرير:
-ولكن كيف جرحت...؟
قام عاصم بإحضار مطهر من الحمام وشاش كي يعالج لها الجرح، ورد عليها وهو يتحرك:
-ألا ترين أن هناك كسر في المرآة، حدث أثناء نقلها لهذا البيت...؟!
همست سلمى وهي تتألم من المطهر الذي سقط على جرحها:
-اااخ، كان يوم أسود يوم ما انتقلنا إلى هنا.
هنا سمعا صوت أذان الفجر، هنا همس لها عاصم وهو يقوم بربط الشاش على جرحها ومن ثم هم واقفًا مقبلًا رأسها:
-لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيكون بخير بإذن الله.
ومن ثم جعل سلمى تتمدد على السرير ونام بجوارها.
هنا قامت سلمى مرة أخرى:
-لو تكرر موقف آخر أرجوك دعني أعود لأهلي في أسوان أنا والأولاد.

هنا قام عاصم بغضب وقال:
-سلمى، منذ قليل لم أرغب أن أوضح أمام الأولاد ها، أنتِ تفهمين جيدًا أننا لن نستطيع أن نعود مرة أخرى ولن نرى أهلنا.
أنتِ تعلمين جيدًا أنا فعلت المستحيل كي نبدأ بداية جديدة بهويات جديدة بعد الذي فعلناه.
ترددت سلمى وقالت:
-ولكن أمام القانون أنت الذي قتلت وسرقت مديرك الذي ظن أنك صديقه المقرب وأمن لك وأدخلك بيته وقال لك كل أسراره.
فتح عاصم علبة السجائر وأشعل سيجارة وقال بحنق:
-الدنيا غير عادلة يا سلمى، إنه يكبرني بعامين فقط وهو صاحب الشركة بالرغم أن الأفكار يستمدها مني.
هنا قالت سلمى بندم:
-آه يا رب لمَ طمعنا...! أنت كنت مساعد مدير، لمَ نظرنا لحال غيرنا، ها نحن ذا لم نهنئ قط بالمال.
-هذا ما حدث يا سلمى، أرجوكِ لا تذكري لي هذا الموضوع مرة أخرى، وفكرة الرجوع ممنوع، لأنكِ إن عدتِ سيصلون لي من خلالك.
بدأنا سويًا فلنكمل سويًا... أم أنتِ معي في الحلوة وفي المرة لا...!
نظرت له سلمى بحسرة ويأس وأردفت:
-معك...

ومن ثم تنفست بحسرة أكثر وأخذت تمدد جسدها على السرير ونظرت للسقف، وأكملت تمتمتها:
-معك يا عاصم للأبد.
في اليوم التالي كان الوضع هادئ نهارًا كالعادة، قررت سلمى ألا تشغل بالها بالكوابيس والهلوسة التي تراها من أجل أن تعيش في سلام مع عائلتها.
ها هما طارق وسالم طلبا منها أن يصعدا للسطح كي يلعبا لأنها ترفض أن يلعبان في الشارع.
سمحت لهما بساعة ومن ثم ينزلا.
وبعد ساعة قلقت عليهما وقررت أن تخرج تنادي عليهما فنظر لها سالم الصغير وطلب منها المزيد من الوقت... وافقت بمجرد أن رأت ضحكة ابنها أمامها.
بعد ساعة أخرى كانت مشغولة في تحضير الغداء لأن زوجها في الطريق...
ولكنها سمعت صوت شيء سقط من علٍ... وتوازى مع صوت السقطة صوت صراخ طارق.
تركت ما في يدها وهمت مسرعةً في ثوان وصلت للسطح.
حينها كان طارق ينظر لأسفل وبمجرد أن سمع صوت أمه التفت لها وهو يبكي واقترب منها وقال لها:
-لست أنا من فعلت ذلك أقسم لكِ.
هنا جرت سلمى تجاه السور فرأت ابنها الصغير غارق في دمه.
هنا لم تسمع لبكاء ابنها ولا لدفاعه عن نفسه، همت مسرعة في النزول...

احتضنت ابنها الذي سقط على صخرة حادة أمام البيت، هنا بدأت تصرخ وهي تضع رأسه في حضنها، أمسكت يده بيدها الغارقة في الدم وتقبلها وتضعها على وجهها وهي مجهشه في البكاء وطارق يجلس بجوارها ويبكي معها، ولكن فجأة توقفت سلمى عن البكاء وسألت طارق بغضب مكتوم:

-لمَ فعلت ذلك بأخيك لمَ...؟

-أقسم لكِ يا أمي لم أفعل ذلك، بل جواد هو من فعل ذلك.

هنا نظرت له أمه بدهشة وسألته والدموع تنهمر من عينها:

-من هو جواد...؟!

-طفل في عمر سالم تقريبًا كان يأتي للعب معنا منذ أن أتينا لهذا البيت.

حتى في اليوم الذي فتحتي علينا الباب في الليل كان هو من يلعب معنا، وهو الذي أخبرنا أنك قادمة فتصنعنا النوم.

أخذته في حضنها وقالت له بندم وهي تبكي:

-لمَ لم تقل لي هذا يا طارق...!؟ لمَ...؟

-جواد قال لنا ألا نقول لكِ لأنك ستمنعيننا من اللعب معه.

أخذت جثة ابنها ولم ينتبه أحد للحادث حتى، المنطقة هادئة جدًّا والناس كلهم في بيتوهم وفي حالهم تمامًا وخاصة أن الوقت اقترب على المغرب وهذا وقت عدم تواجدهم بالفعل.

صعدت لشقتها كي تتصل بزوجها وتقول له ما حدث وهي تبكي وهي تتجه ناحية المطبخ كي تغلق على الطعام الذي تركته.

ولكن قبل أن تغلق الغاز... شعرت بوخز في ظهرها...

فالتفتت مسرعة مفزوعة باكية، رأت ابنها طارق عينه حمراء وممسك بسكين ويبتسم لها، هنا تراجعت بظهرها ناحية موقد الغاز وتؤشر له بيدها ألا يقترب منها.
ولكنه بدأ يقترب منها ببطيء وعلى وجهه تلك الابتسامة التي زرعت في قلبها الفزع منه.
ولكن سرعان ما قطع خوفها اصطدامها بطنجرة الطعام التي سقطت على جسمها، الحساء الساخن جعلها تصرخ بشدة وفقدت تركيزها مع طارق، استغل طارق لحظة إنحنائها عندما سقط عليها الحساء الساخن، فقام بطعنها في ظهرها...
فسقطت غارقة في دمها.
هنا اقترب طارق وقام بفتح باقي الغاز، وقام بغلق كل منافذ الهواء في البيت، ومن ثم عاد يجلس بجانب أمه وجثة أخيه.
بعد نصف ساعة وصل عاصم البيت، بعد أن استغرب من الدم الموجود أمام بيته، ولكنه بمجرد أن دخل نادى على زوجته ولكن لا يوجد رد، قرر الدخول غرفته كي يغير ملابسه، وبعد أن غير ملابسه قرر أن يشعل سيجارة وهو ينادي مرة أخرى وهو متعجب من هدوئها هي والأولاد.
ولكن تفكيره لم يدم كثيرًا، لأن في ذات الحظة حدث انفجار كبير في البيت، جعل البيت يرتجف تمامًا فأنكسر ما به من أبواب ونوافذ وأمسكت به النيران.
على صوت الانفجار تجمع الجيران عند البيت واتصلوا بسيارة المطافئ كي تطفئ هذه النيران ولكن لم يتمكنوا من إطفاء النيران إلا بصعوبة، ولم يجدوا أي جثث من سكان البيت...

وظل هذا البيت مهجور.
اكتفت فريدة لهذه النقطة وقالت في قرارة نفسها:
-إن الحرام لا يدوم أبدًا والله لا يرضى بالظلم، ولكن ما ذنب الأطفال...! أووووه، أكيد للرب حكمة في كل هذا.
من ثم قررت أن تعود للحظة الذي كانت فيها مع فارس وتوقفت عند اللحظة الذي طلب منها المساعدة.
ها هي فريدة أمام فارس وتقول له بثقة:
-طبعًا سوف أساعدك يا فارس، لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن اتخلى عنك أبدًا يا فارس.
طلبت فريدة أن ينتظر بضع دقائق، ذهبت لبيت جدها والكل نيام وأحضرت أدوات تساعدها على الحفر فأسين وجارفين حفر.
طبعًا دخلت البيت كطيف وعندما نزلت أكملت التمويه على الأشياء التي تحملها كذلك.
أول ما وصلت البيت تعجب فارس لما رآه معها، سألها بتعجب:
-ما هذا يا عجيبة...!
-لا تسألني كثيرًا فقط اتبعني.
هنا نظر لها فارس بضجر وأردف:
-مكتوب عليّ ألا أفهم شيء في حياتي.
شعرت فريدة بأسف تجاهه واعتذرت له وأردفت موضحة:
-إن الموضوع طويل يا فارس، وليس لدي وقت، أريد أن أنهي هذا الأمر ومن ثم سوف أفهمك كل شيء.

ولكن كي تفهم سوف ننزل للطابق الأول، وفي الغرفة الموازية لهذه الغرفة سوف نبدأ بتكسير الأرضية والحفر.
ازداد تعجب فارس وتسأل:
-لماذا يا عجيبة فهميني...!؟
-كي نخرج بقايا جثة ونقوم بحرقها كي تتخلص من الأذى الملاحق بك.
-لا أفهم شيء...!
-أرجوك، هذا ليس وقت للفهم، أريدك أن تثق بأني سوف أساعدك وكفى.
اقترب منها فارس ونظر لها بحنو:
-أثق بكِ يا عجيبة.
ابتسمت له فريدة ومن ثم أخذا الأدوات ونزلا.
همت فريدة تمسك بفأسها كي تساعد في التكسير ولكن فارس طلب منها أن ترتاح وهو سوف يتكفل بالقيام بكل شيء لأنه معتاد على هذا... ولكن فريدة رفضت وأعلنت الرغبة في البدء حتى ولو المساعدة بالقليل خوفًا من ضياع الوقت.
ها هما بعد أن بدءا في الحفر ارتجف البيت رجفة قوية اسقطتهم أرضًا.
فقام فارس وساعد فريدة في القيام من مكانها ولكن سرعان ما لمست فريدة خاتمها وقامت بتشغيل القرآن والرقية والأذكار التي سجلها الشيخ منصور.
هنا سألها فارس متعجبًا:
-ما الذي حدث يا عجيبة...؟
همت فريدة بإمساك الجاروف الآخر وقالت له مسرعة:

-هيا يا فارس أكمل معي بسرعة أرجوك.
هم فارس بكل ما أوتي من قوة يحفر والرجفة تزداد أكثر...
فارس يعيد تسأله بعد أن زرع الرعب في قلبه:
-ما الذي يحدث يا عجيبة فهميني...!
ردت عليه فريدة وهي تلهث من شدة الحفر:
-ردد مع القرآن يا فارس، ردد ما تسمعه أرجوك.
بدءا في ترديد القرآن وها هما قد وصلا لبقايا الجثة، وبمجرد أن هم فارس برفعها كما طلبت منه فريدة... سقطا أرضًا من قوة الاهتزاز، فسقطت الجثة على فارس فرماها مسرعًا عنه وقام مفزوعًا، قامت فريدة مسرعةً وأخذت الخشب والقماش الذي أحضرته من الشقة التي كان بها فارس، ورمتهما على الجثة، ومن ثم التفتت نحو فارس واليأس قد رسم على وجهها وأردفت:
-نسيت أن أجلب ولاعة.
نظر لها فارس في حيرة وأردف:
-وماذا سنفعل الآن...؟
هنا تذكرت فريدة وقالت لفارس:
-أنت قلت لي أنك قبل أن تأتي هاربًا إلى هذا البيت لقد قابلت جواد قبل أن تقتله، وكان جواد يدخن...!
هز فارس رأسه أن نعم.
طلبت منه أن يبحث في جيبه، وبالفعل لقد وجدها.
فأخذتها منه وأعطته ظهرها وهمت بإشعال الجثة، ولكن سرعان ما تلقت ضربة قوية من الخلف اسقطتها أرضًا بعد أن اصطدمت في الجدار الذي أمامها.

هنا التفتت فريدة ورأت فارس قد احمرت عيناه وقال متهكمًا:
-ها قد حفرتِ قبركِ بنفسك يا فريدة أو أقول لكِ مثل أخي الأخرق يا عجيبة... استعدِ لنهايتكِ.
تمالكت فريدة قواها وقامت وهي تقول بغضب:
-بل إنها نهايتكِ أيها الشيطان.
هنا بدأت فريدة بجعل الصوت أعلى من خاتمها وبدأت في ترديد القرآن بحزم وهي تقترب منه.
هنا صار جسد فارس يرتفع في الهواء وتعالت الضحكات التهكمية على فريدة، ولكن فريدة لم تعبأ بتهكمه ولم تخف من ارتفاعه في الهواء.
وأخذت تردد بكل يقين الآيات، ولكن فجأة خرج من الأرض أشباح.
شبح عليا وسلمى وعاصم والولدين الصغيرين.
احاطوا بها...
هنا فريدة أوشكت على الصراخ فزعًا من قبح أشكالهم.
ولكنها تذكرت الشيخ منصور وأن عليها ألا تتراجع...
لأنها إذا تراجعت أو خافت سوف يتمكنوا منها.
ولكنها بسرعة ارتفعت في الهواء وأخرجت من جيبها قارورة مياه صغيرة، وبدأت برشها على كل من في الغرفة وهي تردد رقية طرد الشيطان، وبالفعل بدأت الأشباح في الصراخ والاحتراق الذاتي إلى حد الاختفاء.
وبمجرد ما قطرات الماء اللاتي قرأ عليها القرآن والرقية الشرعية التي قامت فريدة بتحضيرها أثناء انتظارها وقت

التجربة، بمجرد أن سقطت على وجه فارس صرخ بقوة وبدأ وجهه في التآكل.
ومع قوة الصرخة تحرك بسرعة وأمسك بفريدة وقام بضربها تجاه جدار الغرفة، فسقطت من علٍ تتأوه من أثر السقطة، فرفعها فارس من شعرها في الهواء ويقول لها متهكمًا:
-تظنين أنكِ ذكية يا فريدة...! أنا من تركتكِ لكي تصلي لهذه النقطة والآن سيبدأ العقاب.
أمسك يدها التي ترتدي بها خاتم هاتفها النقال، من ثم بدأت تخرج من عينه شعاع أحمر حارق فشعرت فريدة بحرارته قبل أن يصل ليدها.
كانت فريدة برغم آلامها تنظر له بتحدٍ وقبل أن يكمل كلامه، فعلت في الجهاز خاصية الطيف، فتخلصت من قبضة فارس الذي تلبسه جواد.
في خلال ثوان كانت فريدة طيف ولكن تلك الثواني كانت كفيلة أن تدمر الأشعة خاتمها واحتراق أصبعها.
ولكنها لم يكن لها وقت كي تتألم.
طارت في الهواء كطيف أمامه بغضب وهي تخرج من تحت ملابسها سلسلة لفظ الجلالة الله وأمسكتها وقالت له بحزم:
- لقد تمكنت من إسكات صوت خاتمي، ولكنك لن تتمكن مني.
هنا هم بالهجوم عليها، ولكنها اختفت تمامًا فأرتطم جسد فارس المادي في الجدار...
فقالت له وهي ما زالت رافعة لفظ الجلالة الله في وجهه:
-اترك جسد فارس يا جواد... وهيا واجهني جسد أثيري مقابل جسد أثيري واخرج فارس من هذا القتال.

هنا ضحك جواد متهكمًا وقال وعينيه تشتاط نارًا:
-نهايتي تعني نهاية فارس.
-إن لم تخرج منه يا جواد سوف أخرجك أنا... وبدأت بقراءة القرآن مع تقريب السلسلة تجاه فارس...
هنا بدأ فارس في تشنجات على الأرض، وجواد بداخله يصرخ بصوت أجش ويقول:
-لن أخرج منه، وإن خرجت ستكون نهايته.
بدأت فريدة تستغل تشنج حركته أرضًا وبدأت ترش على جسده ما تبقى من الماء.
بدأت الحروق تبرز على جسد فارس، بل وقطرات الماء بدأت في تمزيق ملابسه أي كأنها نار تلتهمها...
ولكنها برغم بكائها وخوفها على فارس أكملت ذكرها.
هنا بدأ الجسد في التشنج أكثر والارتفاع بشكل أفقي في الهواء.
وتكرر الصوت الأجش من بعد الصراخ:
-اتركيني، حرريني وسوف أترك فارس يعيش في سلام ولن أؤذيكِ أبدًا.
قررت فريدة ألا تثق في ابن ابليس ذا... وأكملت ترتيلها للآيات.
هنا اشتد الصراخ أكثر وأكثر وارتجف البيت من قوة الصوت...
ولكن فريدة ظلت متماسكة عندما بدأت ترى الدخان يتصاعد من جسد فارس.
علمت حينها قد أوشكت على التمكن منه.

بدأت فريدة تكرر الأذكار بصوت أعلى، وهنا سمعت صوت جواد:

-سوف تندمين على فعلتكِ.

ولم يكمل كلامه لأنه صرخ صرخته الأخيرة.

في تلك الثانية سقط فارس من علٍ...

وهنا كانت الصدمة.

*****

الفصل الحادي عشر

النهاية

في نفس اللحظة التي تمكنت فيها فريدة من التمكن من جواد سقط فارس في غمضة عين.
ولكنها لم تكن مجرد سقطة عادية...
سقط فارس على الفأس الذي كان يحفر به...
طعن فارس بالفأس بقرب من قلبه.
هنا سقطت فريدة بجواره صارخة وهي تضع يدها على صدره الملطخ بالدم...
حاول فارس أن يفتح عينيه وقال بصعوبة بالغة:
-أشكركِ على ما فعلته من أجلى يا عجيبة...
أتمنى لو أراكِ في الحياة الآ...
لم يكمل كلامه ومات، مات وعينيه في عيني فريدة.
هنا صرخت فريدة وهي تبكي:
-أرجوك لا تتركني يا فارس، لقد فعلت المستحيل كي تكون معي... لمَ رحلت عني لمَ...؟
مالت فريدة على صدر فارس وبدأت تبكي بقوة وهي ممسكة به، رافضة فكرة رحيله عنها...
جلست فريدة بجوار فارس تبكي ومن ثم شرد ذهنها إلى أن تحولت الجثة إلى مجرد رماد...
أخذت الرماد كما طلب منها الشيخ منصور ونقلت نفسها للإسكندرية وقامت برميه في البحر، ما زالت تبكي وبدأت

تشكي للبحر حالها وتندم على حظها العاثر لأنها إذ تعلقت بشيء تخسره.
الآن فريدة تنظر للبحر وتسأل ماذا عليها أن تفعل الآن...!
قررت أن تعود للحظة التي ودعت فيها رانيا والشيخ منصور كي تحكي لهما ما حدث.
وقفت أمامهما وقالت لهما باكيةً:
-لقد فعلت كل شيء كما قلت لي وتخلصت من جواد ورميت الرماد، ولكن فارس لقد مات، أنا السبب في موته، أنا السبب.
واجهشت في بكاء هيستيري وسقطت أرضًا، جلست رانيا بجوارها وأخذتها في حضنها وأخذت تنظر للشيخ منصور وهي تربت عليها.
تكلم حينها الشيخ منصور مهونًا عليها:
-يا بنيتي الموت لا يوجد أحد يمكن أن يكون هو السبب به، الموت مقدر ومكتوب لنا في يوم سوف نموت فيه، مهما حاولنا ومهما غيرنا الوضع، قد تختلف طريقة الموت، ولكن في النهاية سوف يقع الموت.
يعني إن لم يمت فارس أمام عينيكِ، لكان مات بمفرده، أو مات في المستشفى وكله في نفس اليوم.
أنتِ تعلمين أن هناك أرواح تظل معلقة في هذه الحياة رغبة في الانتقام ومن ثم ترحل.
بكت فريدة وقالت بيأس:
-وما فائدة كل ما مررت به... ما حكمة الله في كل هذا...؟ ما دام جواد كان يرغب في الانتقام من فارس ويرحل عن هذا العالم.

-الله يا بنيتي كل شيء يفعله لحكمة، إن جواد لم يكن مجرد روح عادية، أكيد لم يكن سيكتفي بالانتقام من فارس وكفى، بل كان سيظل في الحياة ويشيع فيها الفساد، وهذا ما شاهدتيه بنفسك...

لا تعترضي على قدر الله يا بنيتي، أنتِ فعلتِ ما عليكِ وسوف تري حكمة الله فيما بعد.

بعد أن تمالكت فريدة نفسها ومسحت دمعها، ودعتهما، وقررت أن تعود بالزمن ورأت ما حدث لفارس في حياته لو كانت هي لم تظهر له من الأساس.

بالفعل رأت فارس يتعرض للتعذيب تحت يد جواد، مقيده ويحرق في جسده، ويسلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة، ومن ثم بدأ في تقطيع أجزاء جسمه، وفي كل مرة يغمى على فارس ينتظر جواد كي يفق من جديد ويستمر في تعذيبه إلى أن مات فارس من شدة الألم والعذاب.

هنا فريدة خرجت من البيت وسألت نفسها بندم:

-آه كيف لم يأتِ في بالي أن أرى مصير فارس...!

لا تندمي يا فريدة، كل شيء كان لحكمة، قدر الله ما شاء فعل، على الأقل مات فارس موتة أكثر رحمة مما مات عليها.

ويمكن بالفعل لقد خلصت العالم من شر جواد ابن لوسيفر.

مسحت فريدة دمعها الذي صارت غير قادرة على التحكم به.

قررت أن ترى ما كان مصير هذا البيت بعد موت فارس.

ها هي تمر بالزمن سريعًا لأنها لا ترى أحداث مهمة.

قررا أبيها مراد وأمها أن يعرفا حقيقة هذا البيت، لأن مراد قرر أن يشتريه إن عرف له صاحب ومن ثم يقوم بإعادة بناءه.

بمجرد أن دخل مراد البيت رأى شبح امرأة غاضبه ومعها ولديها الاثنين وقالت له غاضبة:
-اخرج من بيتي.
هنا التفت مراد وأخذ وتين من يدها، فقالت له بتوتر:
-ماذا حدث يا مراد...! نحن ما زلنا لم نصعد الدرج حتى... لا تقول لي أنك خائف... أنت قلت لي أنك لا تؤمن بهذه التخاريف.
استمر في سحبها إلى أن خرجا دون أن ينبس ببنت شفة وقال لها:
-كل ما في الأمر أني عدلت عن رأيي سنعيش في القاهرة.
-ولكنك قلت لي أننا سنعيش هنا من أجل أهلي وأهلك...!
-وتين هذا قراري، أرجو عدم فتح الموضوع مرة أخرى.
ومن ثم ظل البيت مهجور بالفعل.

***

أخذت فريدة تفكر:
-هذا ما حدث قبل أن أغير الأحداث وتخلصي من الأرواح الساكنة في البيت.
هذا معناه إن عدت للزمن بعد تغيري فيه، هذا يدل على أن أبي وأمي سيذهبان للبيت وأبي لن يرى تلك الأشباح ويمكن أن يعيد بناء البيت.
ولا أدري ما يمكن أن يحدث إن غيرت جزء من حياتي.
آوه ماذا عليّ أن أفعل الآن...؟
قررت فريدة أن تكون في البيت في اليوم الذي سوف يأتي فيه أبيها وأمها.

وعندما دخلا الاثنان، قامت فريدة بطلق شعرها وغطت به وجهها وطارت في الهواء كطيف وقالت لهما محذرة صارخة أن يخرجا من البيت.
وبالفعل لقد صرخت وتين من خوفها فاحتضنها مراد وخرجا مسرعين، وقررا سويًا إلغاء فكرة هذا البيت تمامًا.
هنا ارتاحت فريدة أنها اطمأنت أنها لم تغير شيء في حياة والديها.
قررت أخيرًا العودة إلى جثة فارس تنظر له بحسرة باكية وتسأل:
-ماذا سأفعل بجثتك يا فارس...! هل سأدفنك هنا...! أم ماذا عليّ أن أفعل...!
قررت فريدة العودة لبيت فارس في شبرا... وبالفعل رأت أمه رحاب تعيش بمفردها في شقتها.
قامت الأم مفزوعة من نومها، صارخةً:
-فارس... أين أنت يا ولدي...!
همت مسرعة الخادمة على صوت رحاب ودخلت الغرفة واعطتها كوب ماء ودواءها المهدأ.
من ثم قامت رحاب بلم شعرها الحريري الذي اختلط به الكثير من الشيب وبدأت تنادي بحسرة:
-آه أين أنت يا فتحي...! وأين أنت يا فارس.
بدأت الخادمة تهدأ من حالها، هنا قررت أن أخرج وأطرق باب شقتها وأخبرها بمكان ابنها.
بالفعل دخلت فريدة وقالت لها على مكان فارس.
فسألتها رحاب بلهفة غير مصدقة:

-ابني فارس، أنتِ تعرفين فارس حقًا...! كيف عرفتِ مكاني وكيف عرفتِ مكانه...؟!
هنا ظلت فريدة ساكتة لم ترد.
فكانت كلما سكتت سألت رحاب المزيد من الأسئلة.
فجأة قررت فريدة أن ترحل دون أن ترد لأن عينها بدأت تبكي على لهفة أم فارس.
وبمجرد أن خرجت وغلقت الباب وراءها...
هنا حاولت رحاب أن تلحق بها وفتحت الباب... ولكنها لم تجدها...
طبعًا اتصلت رحاب بشرطي تعرفه معرفة شخصية وابلغته بمكان فارس.
وبالفعل عثرت الشرطة على جثته وتم نقله للمستشفى في القاهرة.
هنا اتصل بها الشرطي وأخبرها بمكان ابنها.
وتم اللقاء بعد غياب دام لتسع سنوات.
قررت أن تدفنه في حديقة بيتها الموجود في السادس من أكتوبر...
وقررت أن تستقر هناك، هي وابنها فارس.
أغلب جلوسها صار في الحديقة أمام قبر ابنها الذي تحكي معه طول الوقت وكأنه يسمعها.

*****

عادت فريدة إلى حياتها مرة أخرى...
هنا وقفت أمام مرآتها وشرعت في البكاء على فراق فارس، هناك صوت بداخلها يقول لها:

-لمَ تبكين على فارس لهذا الحد، حتى وإن كان ظل على قيد الحياة لكان في الوقت الحالي رجل تخطى ٣٨ عامًا ويمكن أن يكون لغيرك.

هنا نظرت للمرآة وقالت بندم:

-على الأقل سيكون على قيد الحياة.

هنا بدأت تشعر أن قدمها لا تستطيع أن تحملها فقررت أن ترمي نفسها على السرير.

وهنا لم تشعر بشيء سوى في صباح اليوم التالي، سمعت من يطرق على شرفة غرفتها.

قامت مفزوعة بسبب قوة الطرق...

فتحت عينيها رأت أن ليندا واقفة غاضبة، فهمت بفتح الشرفة فدخلت ليندا وسألتها بلهفة:

-لمَ هاتفك مغلق يا فريدة...؟

هنا نظرت ليندا ليد فريدة وقالت صارخة بدهشة:

-ماذا حدث ليدكِ...؟

عادت فريدة للسرير وتمددت وقالت بتعب:

-حادث بسيط، لا تشغلي بالكِ.

قررت ليندا أن تهتم بفريدة وأن تقضي معها أسبوع حتى يتحسن حالها.

وبعد ذلك عادت فريدة لدراستها ولأصدقائها... ولكن مع شرود كثير في أغلب الأحيان.

*****

تمر السنين وها هي فريدة وليندا قد تخرجتا، ولكن توماس قد قرر أن يسافر أمريكا بعد أن يأس من محاولاته في اقناع فريدة.
قرر أن يبعد ويعتزل ما يؤذي قلبه ما دام لا يستطيع الحصول عليه.
بالفعل إن لم يكن بإمكانك شراء قطعة الحلوى فلا تظل واقف أمامها، لأن هذا سيزيد الأمر سوءًا.
قامت فريدة بافتتاح عيادة للعلاج النفسي هي وليندا، باختلاف مواعيد الدوام.
كانت فريدة تحب عملها جدًّا، لأنها تشعر بلذة رهيبة عندما تتمكن من شفاء مرضاها من عقدهم النفسية.
وفي يوم بعد أن أكملت دوامها الليلي قررت أن تغلق العيادة...
فكتبت الرقم السري على مقبض الباب، ولكنها شعرت بأن هناك صوت طقطقة حذاء يأتي من خلفها.
التفتت مسرعة فرأت شيء جعل ضربات قلبها المتسارعة تنبض أسرع...
ولكنها سمعت صوت جعلها تلتقط أنفاسها وعلى ملامحها علامات الاندهاش:
-هل يوجد أحد بداخل العيادة...؟ كنت أرغب في استشارة سريعة.
ظلت فريدة مذهولة مما تراه عيناها.
نظرت له من أخمص قدميه لأعلى رأسه، هو، إنه هو...
فارس، نفس الطول، العرض، العضلات، الشعر الناعم

الطويل ولكنه قام برفعه لأعلى، نفس اللحية، لكن الفرق العين لونها رمادي اختلط بالأخضر.
ولكن سرعان ما أفاقت من شرودها وقالت:
-لقد انتهى الدوام و...
هنا أزاح الشاب نظره وقال معتذرًا:
-آوه، حسنًا، شكرًا لكِ.
وهَم بالنزول ولكن فريدة أوقفته وقالت له بلهفة:
-ولكن يمكنك أن تسألني عما تريده، أنا الطبيبة التي أعمل هنا.
نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة وسألها:
-أسألك هنا...!
توترت فريدة وقالت له ضاحكة:
-آوه، كما تشاء، إن كنت ترغب في دخول العيادة لا أمانع.
ابتسم وقال لها:
-سأكون سعيد إن دخلت العيادة، ولكن سأكون أسعد إن قبلتِ دعوتي لاحتساء القهوة.
لم تتردد فريدة ووافقت وهي في قمة سعادتها...
ارتسمت السعادة على ملامحه عندما وافقت فريدة.
نزلت فريدة معه ومن حين لآخر تخطف نظره له وتقول في قرارة نفسها:
-أنه هو، هو بالضبط.
نظر لها نظرة تعجب ولكن سرعان ما ابتسم... هنا أكملت فريدة تساؤلاتها لنفسها:

-آوه يا حمقاء كيف توافقين على الخروج معه بهذه السهولة...؟ ولكن كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بعد غياب قد طال أكثر من ثمان سنوات.

أحقًا هو...؟ آووه كيف يكون هو...! إذا كان على قيد الحياة لكان عمره تجاوز ٤٦ عامًا.

هنا وصلا أمام باب العمارة فقطع شرودها صوته وهو يفتح باب سيارته لها:

-هل يمكن أن تتفضلي يا...؟!

-فريدة، فريدة يا...!

-زين... اسمي زين تاج الدين.

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم ومن ثم جلس هو في مقعده فبدأت فريدة فالكلام:

-إذا أنت عربي مثلي.

-آوه، أنتِ عربية كذلك.

- نعم، أنا مصرية.

-وأنا فلسطيني.

هنا شردت فريدة وقالت لنفسها:

-ليس هو يا فريدة، ولكن الشبه بينهما رهيب.

هنا زين قرر أن يكسر حاجز الصمت ويعرف عن نفسه:

-أنا مهندس ديكور، عمري ٢٦.

هنا دهشت فريدة وقررت أن تسأله:

-إذن ما برجك...؟

-أنا برج العقرب لقد ولدت يوم ١١-١١-٢٠١٩

هنا بدأت فريدة عينها تزرف الدمع لأن هذا هو اليوم الذي مات به فارس.

تعجب زين وقال لها محاولًا تغيير الوضع ممازحًا:

-لم أكن أعرف أن برج العقرب بهذا السوء، يمكنكِ أن تعتبريني جوزاء إن أحببتِ.

ولكن سرعان ما ارتسمت الضحكة على وجه فريدة ومسحت دمعها وهي تقول:

-لا أرجوك هذا أسوأ.

أخذا يتكلمان سويًا ويضحكان إلى أن وصلا مقهى راقٍ جدًّا، جلس زين أمامها سارح في ملامحها، فقررت فريدة بعد أن ابتسمت له أن تسأله:

-ها، قل لي يا زين ما هي استشارتك التي كنت ترغب في معرفة حلها...؟

ضحك زين ضحكة هادئة كشفت عن اسنانه الناصعة المتساوية وأردف:

-لم يعد هناك أي استفسار بخصوص أي شيء، لقد حلت المشكلة.

هنا ضحكت فريدة ونظرت له بتعجب وسألته:

-لا، بل قل لي ماذا كنت تريد أن تعرف...؟

-لا شيء، كل ما في الأمر كوابيس تراودني كل ما أفكر أن ارتبط.

في ذات الليلة أحلم بتلك الشابة التي قررت أن أوافق على الارتباط بها أراها بشكل قبيح، فبمجرد أن استيقظ أشعر أن قلبي غير مرتاح لها فأقرر الانفصال قبل البدء في الارتباط من الأساس.
-هل يمكن أن أعرف هل هن من يبدأن في خطوة الارتباط أم أنت...! وكم مرة تكرر هذا الأمر معك.
-هذا الأمر تكرر معي ست مرات، ستة هن من أصررن أن أرتبط، مع الإصرار أقرر أن أعطي فرصة خاصة أنهن لم يكن في أي منهن أي عيب، ولكن قلبي حقًا لم ينجذب إلهين. ولكن عدد المعجبات بي اللاتي ليس لديهن الجراءة على الإصرار والمواجهة فهن عددهن لا أستطيع ذكره.

ابتسمت فريدة وهي ترفع أحد حاجبيها وأردفت:
-الآن تأكدت أنك عربي.
ضحك زين وقال لها مؤكدًا:
-أقسم لكِ هذا ما حدث، فكان استفساري ما هو سبب رفضي الكامن بداخلي للارتباط، لمَ لا أنجذب لأي امرأة وإذا فكرت أرى تلك الكوابيس التي تجعلني أغلق الموضوع تمامًا.
أرجو أن لا تقولي لي بسبب الخوف من تحمل المسؤولية.

أنا شخصية جادة جدًّا ومتحمل المسؤولية... أوه هل تفهمين قصدي...؟!
هنا هزت فريدة رأسها مؤكدة:
-طبعًا أفهمك جيدًا ولكن أحب أن أسمع منك أكثر.
تحولت ملامح الجد من على وجه زين لابتسامة:
-لا يوجد ما أحكيه يبدو أن علاجي كان رؤياكِ وكفى.
ضحكت فريدة وقالت له:
-فلننتظر للغد ونرى نتيجة رؤياي، وفي حالة عدم جدوتها سنبدأ في جلساتنا.
في اليوم التالي اتصل بها زين وطلب منها أن يتقابلا ضروري، تقابلا في نفس المقهى بعد انتهاء دوامها، نظر لها زين من بعد صمت طول الطريق وقال لها:
-لقد رأيتكِ في منامي بالأمس...
-وكيف كنت...؟
-كنتِ ترتدين فستان وردي وجئتكِ أنا على حصاني البني الذي أملكه بالفعل، وأخذتكِ خلفي وكنا سعداء.
ابتسمت فريدة وأرفدت:
-أوه إن هذا أشبه بالخيال.
-حتى لقائي بكِ كذلك كان خيال، كنت عائدًا من عملي فرأيت لافتة عيادتك المضيئة فقررت أن أصعد وأريح عقلي...
صعدت كي أريح عقلي من التفكير ولكن لقد ارتاح قلبي كذلك.
*****

في بداية الأمر فريدة لم تكن تتخيل أن ترى فارس أو شخص يشبهه إلى هذا الحد، بدأت تسأل نفسها، هل تناسخ الأرواح حق...؟!
هل بالفعل عندما يموت المرء منا يعود من جديد للحياة...!
ولكن التناسخ يكون تناسخ روح فقط لا القلب والقالب.
استغفرت ربها عن هذه الفكرة الغير مذكورة في ديننا، وقررت أن تحمد الرب على هذه النعمة.
هي تعلم جيدًا أن يوجد لكل منا أربعين شبيهًا هكذا يقولون، ولكنها متأكدة أنها لولا المغامرة التي فعلتها مع فارس لما كانت تعلقت به هو ولا حتى بزين...
سبحان الرب المدبر في اختيار أقدارنا.

*****

مرت الأيام بل الشهور إلى أن مرت سنة.
أغلق زين المكالمة مع فريدة بعد أن اتفق معها أن يسافرا في الصباح إلى مصر كي يتعرف على والدتها ويبدئا في ترتيب أمور الزواج هو وفريدة.
استيقظت فريدة من نومها وهمت بخلع سلسلة لفظ الله قبل دخولها الحمام كي تتأهب لسفرها...
من ثم خرجت فريدة من الحمام وهي ترتدي روب الاستحمام، ولكنها رأت شيء جعلها تفزع...
لقد رأت زين جالس على سريرها.
قالت له بدهشة وتعجب:
-كيف دخلت إلى هنا يا زين...؟!

بدأ زين يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة زرعت الرعب في قلب فريدة وهي تتراجع للوراء، أخذ يهمس لها بصوت أشبه بالفحيح:

-إنه روبوت قلت له أني لي موعد مسبق معكِ، وهو سبق شاهدني معكِ، لذا لم أجد مشكلة.
هنا سمعت فريدة صوت خاتمها وبمجرد أن لمست الحجر الخاص به انبثقت الشاشة وظهر اسم زين...
هنا نظرت له وقالت في قرارة نفسها وهي ترجع للوراء:
-إن كان زين هو المتصل... من الذي أمامي...؟
هنا سمعت فريدة صوت قهقهة اتبعها صوت أجش:
-ألم أقل لكِ أن نهايتكِ على يدي...؟
هنا برزت على رقبته علامة شعله...
حينها فريدة صرخت عندما علمت صاحبها.
وهنا أنقض عليها و.....

*****

النهاية

اقلب الصفحة ضروري هناك نقطة أخيرة...

تعليق المؤلفة

هل تظنون أني أقوم بكتابة رواية ذات نهاية مفتوحة...؟
حاشا وكلا...
كم أمقت هذه النهايات يا أصدقائي... إنها تؤلم قلبي.
إن هذه رواية فريدة فكيف لها أن تموت وهي من سردت لي كل التفاصيل.
دعوني أكمل لكم...
استيقظت فريدة على صوت هاتفها وهي مفزوعة تحاول التقاط أنفاسها...
حمدت الرب أنه مجرد كابوس ليس له أي علاقة بالواقع...
ما زالت فريدة تعاني من كوابيس ولكن برغم ذلك لا تأخذ مهدئات...
معروفة "طباخ السم لا يذوقه"... أو كما يقولون بالمصري "باب النجار مخلع".
دكتور السمنة في بعض الأحيان سمين... ودكتور الأسنان أسنانه غير مرتبه... ودكتور العيون يرتدي النظارة...
والدكتور النفسي مريض ن... لا لن أكمل فريدة سوف تحزن مما سأقوله... دعوني أكمل لكم.
ردت على زين وهي تقول له بصوت منهك:
-سأكون على استعداد على الموعد...

*****

ولكن مغامرات فريدة لم تنتهي وما زالت في جعبتها الكثير من المغامرات الغامضة.

انتظروا الجزء الثاني من رواية "أولاد لوسيفر".

لا تنسوني من دعواتكم لي بالتوفيق ولكم بالمثل.

تمت بحمد الله

2022-6-6

رانيا رمضان

بنت البروفيسور